

(٩٩٢)

الأزلية

من مصنفات العقيدة والفرق
وكتب ابن تيمية

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"والحرز من ذلك وغيره المدينة وما حولها من الحجاز والسواحل أسلم من غيرها.حدثنا محمد بن حمير عن النجيب بن السري قال مر عيسى بن مريم عليه السلام بجبل الخليل فدعا لأهله ثلاث دعوات فقال اللهم من أتاه من خائف أمن فيه ولا تسلط على أهله السبع وإذا أجدبت الأرض فلا يجدب.حدثنا محمد بن حمير عن الوضين بن عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (جبل الخليل جبل مقدس وإن الفتنة لما ظهرت في بني إسرائيل أوحى الله تعالى إلى أنبيائهم أن يفروا بدينهم إلى جبل الخليل).قال ابن حمير وأخبرني محمد بن يزيد الصنعاني عن عمير بن هانئ العنسي أنه قال ليبلغني أن الرجل من اخواني اتخذ بجبل الخليل منزلا وأغبطه قيل ولم ذاك ؟ قال لأنه سينزله أهل مصر إما يحبس نيلهم (١) وإما يمد فيغرق حتى يتماسحوا جبل الخليل بينهم بالحيال.حدثنا أبو عمر عن ابن لهيعة عن عبد الوهاب بن حسين عن محمد بن ثابت عن أبيه عن الحارث عن عبد الله قال لا ينجو من بليتها ولا إلا من صبر على الحصار والمعقل من السفياني بإذن الله تعالى ثلاث مدن للأعاجم ناحية الثغور مدينة يقال لها أنطاكية ومدينة يقال لها قورس (١) ومدينة يقال لها سميساط (٣) والمعقل من الروم جبل يقال لها المعتق (٤).حدثنا عبد القدوس عن سعيد بن عبد العزيز عن عروة بن رويم عن كعب قال حمص من الجند الذي يشفع شهيدهم سبعين وأهل دمشق الذين يعرفون بالثياب الخضر في الجنة وأهل الأردن من الجند الذين هم في ظل العرش يوم القيامة وأهل فلسطين ممن ينظر الله إليهم كل يوم مرتين.حدثنا عبد القدوس عن عفير بن معدان عن قتادة عن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أول الخراب بمصر والعراق فإذا بلغ البناء لسلع (٥) فعليك يا أبا ذر بالشام قلت وإن أخرجوني منها ؟ قال انسق لهم أين ساقوك).____________(١) في ع (إما بجيش منهم).(٢) قورس مدينة **أزلية** بها آثار قديمة وكورة من نواحي حلب.معجم البلدان.(٣) مدينة حصينة على الفرات في تركية الآن واسمها شوشط.(٤) في معجم البلدان (معتق) جب ورد ذكره في شعر الاخطل.(٥) سلع جبل بسوق المدينة المنورة.معجم البلدان.(*)."(١)

"شبه المخلوقين علوا كبيرا ، وإنما كلامه صفة له **أزلية** موجودة بذاته لم يزل كان موصوفا." (٢)

"الثالث - أنه يلزم عليه أن يكون عددان، كل واحد منهما لا يتناهى، ثم أن أحدهما أقل من الآخر، ومحال أن يكون ما لا يتناهى أقل مما لا يتناهى لأن الأقل هو الذي يعوزه شيء لو أضيف إليه لصار

---

(١) الفتن لنعيم بن حماد، ص/١٤٥

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي، ٥٧٧/١

متساوياً، وما لا يتناهى كيف يعوزه شيء ؟ وبيانه أن زحل عندهم يدور في كل ثلاثين سنة دورة واحدة، والشمس في كل سنة دورة واحدة، فيكون عدد دورات زحل مثل ثلث عشر دورات الشمس، إذ الشمس تدور في ثلاثين سنة ثلاثين دورة، وزحل يدور دورة واحدة، والواحد من الثلاثين ثلث عشر. ثم دورات زحل لا نهاية لها وهي أقل من دورات الشمس، إذ يعلم ضرورة أن ثلث عشر الشيء أقل من الشيء، والقمر يدور في السنة اثنتي عشرة مرة، فيكون عدد دورات الشمس مثلاً نصف سدس دورات القمر، وكل واحد لا نهاية له وبعضه أقل من بعض، فذلك من المحال البين. فإن قيل: مقدورات الباري تعالى عندكم لا نهاية لها وكذا معلوماته، والمعلومات أكثر من المقدورات إذ ذات القديم تعالى وصفاته معلومة له وكذا الموجود المستمر الوجود، وليس شيء من ذلك مقدوراً. قلنا نحن: إذا قلنا لا نهاية لمقدوراته، لم نرد به ما نريد بقولنا لا نهاية لمعلوماته بل نريد به أن لله تعالى صفة يعبر عنها بالقدرة، يتأتى بها الايجاد، وهذا الثاني لا ينعدم قط.وليس تحت قولنا – هذا الثأني لا ينعدم – إثبات أشياء فضلاً من أن توصف بأنها متناهية أو غير متناهية، وإنما يقع هذا الغلط لمن ينظر في المعاني من الألفاظ فيرى توازن لفظ المعلومات والمقدورات من حيث التصريف في اللغة، فيظن أن المراد بهما واحد. هيهات لا مناسبة بينهما البتة. ثم تحت قولنا المعلومات لا نهاية لها أيضاً سر يخالف السابق منه إلى الفهم، إذ السابق منه إلى الفهم إثبات أشياء تسمى معلومات لا نهاية لها، وهو محال، بل الأشياء هي الموجودات، وهي متناهية، ولكن بيان ذلك يستدعي تطويلا.وقد اندفع الإشكال بالكشف عن معنى نفي النهاية عن المقدورات، فالنظر في الطرف الثاني وهو المعلومات مستغنى عنه في دفع الالزام، فقد بانت صحة هذا الأصل بالمنهج الثالث من مناهج الأدلة المذكورة في التمهيد الرابع من الكتاب وعند هذا يعلم وجود الصانع إذ بان القياس الذي ذكرناه، وهو قولنا أن العالم حادث وكل حادث فله سبب فالعالم له سبب. فقد ثبتت هذه الدعوى بهذا المنهج، ولكن بعد لم يظهر لنا إلا موجود السبب، فأما كونه حادثاً أو قديماً وصفاً له فلم يظهر بعد فلنشتغل به.الدعوى الثانية: ندعي أن السبب الذي أثبتناه لوجود العالم قديم فإنه لو كان حادثاً لافتقر إلى سبب آخر، وكذلك السبب الآخر ويتسلسل إما إلى غير نهاية وهو محال، وإما أن ينتهي إلى قديم لا محالة يقف عنده وهو الذي نطلبه ونسميه صانع العالم. ولا بد من الاعتراف به بالضرورة ولا نعني بقولنا قديم إلا أن وجوده غير مسبوق بعدم، فليس تحت لفظ القديم إلا إثبات موجود ونفي عدم سابق. فلا تظنن أن القدم معنى زائد على ذات القديم، فيلزمك أن تقول ذلك المعنى أيضاً قديم بقدم زائد عليه، ويتسلسل القوم إلى غير نهاية.الدعوى الثالثة: ندعي أن صانع العالم مع كونه موجوداً لم يزل فهو باق لا يزال لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه.

وإنما قلنا ذلك لأنه لو العدم لافتقر عدمه إلى سبب فإنه طارئ بعد استمرار الوجود في القدم. وقد ذكرنا ان كل طارئ فلا بد له من سبب من حيث انه طارئ لا من حيث أنه موجود، وكما افتقر تبدل العدم بالوجود إلى مرجح للوجود على العدم، فكذلك يفتقر تبدل الوجود بالعدم إلى مرجح للعدم على الوجود، وذلك المرجح إما فاعل بعدم القدرة، أو ضد انقطاع شرط من شروط الوجود. ومحال أن يحال على القدرة؛ إذ لوجود شيء ثابت يجوز أن يصدر عن القدرة، فيكون القادر باستعماله فعل شيئاً والعدم ليس بشيء، فيستحيل أن يكون فعلاً واقعاً بأثر القدرة. فإنا نقول: فاعل العدم هل فعل شيئاً ؟ فإن قيل نعم، كان محالاً، لأن النفي ليس بشيء.وإن قال المعتزلي أن المعدوم شيء وذات، فليس ذلك الذات من أثر القدرة، فلا يتصف أن يقول الفعل الواقع بالقدرة فعل ذلك الذات فإنها أزلية، وإنما فعله نفي وجود الذات، ونفي وجود الذات ليس شيئاً، فاذاً ما فعل شيئاً.وإذا صدق قولنا ما فعل شيئاً صدق قولنا أنه لم يستعمل القدرة في أثر البتة، فبقي كما كان ولم يفعل شيئاً.." (١)

"أما بعد: فإن بعض إخواني، سألني عقيدة أهل السنة والجماعة ؛ ليتبعها ، فأجبته إلى ذلك ؛ رجاء الثواب والدعاء ، والله الموفق والمستعان .فإن الواجب اعتقاده ، وهو أن يعلم أن الله واحدٌ أحدٌ ، فردٌ صمدٌ ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، قديمٌ أزليٌ ، لا أول لوجوده ، ولا آخر لدوامه ، ليس بجسم ولا بصورة ، و هو منزهٌ عن أمارات الحدث ، متفرد بالعدم على كل محدث(١).المسألة الأولى :تحدث المصنف في هذه المسألة عن أحدية الله عز وجل ، وأنه أحدٌ أحد ، فردٌ صمد، لم يلد ، ولم يولد ،ولم يكن له كفواً أحد .ثم عرج على عقيدة أهل السنة ، في مسألة الأعراض والأجسام ، وأن الله تعالى قديمٌ أزليٌ ، لا أول لوجوده ، ولا آخر لدوامه ، كما قال الإمام الطحاوي رحمه الله في الطحاوية : " قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد ، ولا يكون إلا ما يريد ، لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام "(٢) .ثم يثبت بعد ذلك مسألةً ، هي من غوامض المسائل ، ألا وهي :إثبات الصفات الاختيارية ، المتعلقة بالمشيئة والإرادة الإلهية ، مخالفاً بذلك عقيدة أبى سعيد الكلاب ، الذي يرى إثبات الصفات الاختيارية ؛ ولكنه يقول :إنها قديمة أزلية ، غير قابلة للحدوث ؛ لأن الله منزه عن الحوادث ، فلا يجوز أن تحل به الحوادث لأنه سبحانه ليس محلاً للحوادث . ولما كان عز وجل ليس محلاً للحوادث وجب أن تكون صفاته قديمة أزلية قائمة بذاته غير متحولة من حال إلى حال لأن التحول في جانب الله محال . وهذا هو حاصل قول المؤلف عن الله تبارك وتعالى : " قديم أزلي لا أول لوجوده ولا أخر لدوامه ،ليس بجسم ولا

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، ص/١١

بصورة ، وهو منزه عن أمارات الحدث ، منفرد بالعدم على كل محدث " .ـــــــــــــــــــ(٢) – شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، طبع المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الرابعة ١٣٩١هـ.." (١)

" أنه لم يحط علما يقينا بماهية الاقوال أو يحكم بعلم حين يتحقق ذلك والله الموفق وفي حديث ابن مسعود عن رسول الله أنه قال أفضل الناس أفضلهم عملا إذا فقهوا في دينهم وأعلمهم أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس وإن كان مقصرا في العلم وإن كان يزحف على أسته الحديث خرجه الناس وإن كان مقصرا في العمل وإن كان يزحف على أسته الحديث خرجه الحاكم في التفسير في سورة الحديد وقال صحيح الاسناد وهو كما قال والله سبحانه أعلم

فأما الطرف الجلي الذي لم يبحثوا عنه لجلاله فهو أن لنا أفعالا متوقفة على همنا بها ودواعينا اليها واختيارنا لها ولذلك شذ المخالف لذلك من الجبرية ونسب إلى مخالفة الضرورة ولم يخالف في ذلك أحد من أهل السنة ولا من طوائف الأشعرية بل نسب الرازي الجبرية إلى البراءة من ذلك وانما أراد من تسمى باسم الجبرية من الاشعرية وهو شيء يختص به الرازي وحده فيما علمت فانه يصحح الجبر في كثير من عباراته ويعنى به وجوب وقوع الراجح من الفاعل المختار وصرح ببقاء الاختيار مع تسميته جبرا

وأما الخفي الذي عظم فيه الاختلاف ودق وكثر فهو معرفة حقيقة أفعال العباد على جهة التعيين والتمييز لها عن سائر الحقائق وقد اختلف في ذلك على أربعة عشر قولا أو يزيد للمعتزلة منها ثمانية وللسنية والاشعرية أربعة وللجبرية قولان وهي هذه مسرودة

الأول من أقوال المعتزلة أن الذوات كلها ثابتة في العدم أزلية غير مقدورة لله تعالى ولا بخلقه الاجسام منها والاعراض وذوات أفعال الله تعالى وذوات أفعال العباد أعني ذوات الحركات والسكنات وأنها في العدم والأزل ثابتة ثبوتا حقيقيا في الخارج ثبوتا يوجب تماثلها فيه واختلافها عنه وأن المقدور لله تعالى ولعباده أمر آخر غير الذات ولا وجودها ولا مجموعهما بل جعل الذات على صفة الوجود وقد ادعى الرازي وغيره من أصحاب أبي الحسين من المعتزلة أنه غير معقول فانه لا يتصور إلا برده إلى أحد الأمور الثلاثة وهو أيضا يبتني على ثبوت الذوات في الازل والعدم وعلى الفرق بين الثبوت والوجود وعلى ثبوت الدليل القاطع على أن الوجود أمر ." (٢)

---

(١) إعتقاد أهل السنة .. للإمام أبي بكر بن قاسم الرحبي، ص/٤

(٢) إيثار الحق على الخلق، ص/٢٨٢

" حقيقي زائد على الموجود وعلى أن الأكوان من الحركة والسكون ذوات حقيقية لا صفات اضافية في ذلك كله نزاع طويل كثير دقيق بين العقلاء جملة تم بين المسلمين ثم بين المعتزلة وقد جود أبو الحسين منهم وأصحابه رد ذلك على أصحابهم من البهاشمة في كتبهم

الثاني لهم أيضا أن فعل الله تعالى وفعل العباد هو صفة الوجود لا ذات الموجود وهؤلاء مثل الأولين إلا أنهم اشتركوا في اثبات الامر الرابع الذي عده خصومهم محالا فعينوا مقدور القادر وبقي عليهم سائر ما يرد على أصحابهم وقد ألزموا جميعا أن الله تعالى لا يخلق شيئا قط على أصولهم لأن الشيء عندهم هو الثابت في الأزل والقدم وصفة الوجود عندهم ليست شيئا لأنهم قضوا **بالأزلية** في القدم للشيء وللذات ولصفاتها الذاتية ولم يبق إلا صفاتها المقتضاة وهي التحيز ثم اختلفوا فيه فمنهم من قضى أنه ثابت في الأزل أيضا حكاه مختار في المجتبى وابن متويه في التذكرة ولم يقبحه على قائله منهم والقائل به منهم جرى على مقتضى دليلهم العقلي وذلك لأن الصفة المقتضاة لا تخلف عن مقتضيها وتخلفها عنه محال ألا ترى أن صفات القادرية والعالمية ونحوها لما كانت مقتضاة عندهم من الصفة الاخص لم تخلف عنها كانت غير حادثة فكذلك هذا لكنهم خافوا أن يتفاحش الامر هنا بلزوم قدم العالم جهارا فاعتذروا بأن هذا التحيز لا يظهر إلا بشرط الوجود والوجود بالفاعل وهو الله تعالى فقد زعموا أن التحيز في الاجسام ليس به تعالى فلذلك لزمهم أن الله غير خالق لشيء ولا مؤثر فيه

وقد حاول ابن متويه الجواب عن هذا في تذكرته بأن خلق الشيء واحداثه هو إيجاده والله هو الذي حصل له صفة الوجود وهذا الجواب غير مخلص لأن معنى الالزام ان اتصاف الشيء عندهم بأنه محدث ومخلوق على قواعدهم مجاز لا حقيقة لأن الشيء عندهم ثابت في الازل غير مقدور لله عز و جل وإنما المخلوق المقدور حدوثه ووجوده وليسا بشيء عندهم لأنهما لو كانا شيئا كانا ثابتين في الازل وذلك تصريح بقدم العالم فلذلك قضوا أنهما ليسا بشيء ولذلك صرح الزمخشري في أساس البلاغة أن الله لا يسمى خالقا إلا مجازا وكل هذا مما يعترفون به ويذكرونه في مصنفاتهم ." (١)

"تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك . فقد علم من آمن بالله واليوم الأخر أن كتاب الله حق ، وما قاله فيه حق ، وأن لله نفسا ، وأن نفسه لا تموت ، وأن قوله كل نفس ذائقة الموت لا تدخل في هذا نفس الله . وكذلك يخرج كلامه من الكلام المخلوق ، كما تخرج نفسه من الأنفس التي تموت ، وقد فهم من آمن بالله وعقل عن الله أن كلام الله ، ونفس الله ، وعمل الله ، وقدرة الله ، وعزة الله ، وسلطان الله

---

(١) إيثار الحق على الخلق، ص/٢٨٣

، وعظمة الله ، وحلم الله ، وعفو الله ، ورفق الله ، وكل شيء من صفات الله أعظم الأشياء ، وأنها كلها غير مخلوقة لأنها صفات الخالق ومن الخالق ، فليس يدخل في قوله خالق كل شيء ، لا كلامه ، ولا عزته ، ولا قدرته ، ولا سلطانه ، ولا عظمته ، ولا جوده ، ولا كرمه ، لأن الله تعالى لم يزل بقوله وعلمه وقدرته وسلطانه وجميع صفاته إلها واحدا ، وهذه صفاته قديمة بقدمه ، **أزلية** بأزليته ، دائمة بدوامه ، باقية ببقائه ، لم يخل ربنا من هذه الصفات طرفة عين ، وإنما أبطل الجهمي صفاته يريد بذلك إبطاله . وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء :@." (١)

"ص -٢١١- وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾.وقال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾. وقال تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.وقال تعالى: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار﴾.وذلك أن المشركين من جميع الأمم لم يكن أحد منهم يقول إن للمخلوقات خالقين منفصلين متماثلين في الصفات فإن هذا لم يقله طائفة معروفة من بني آدم ولكن الثنوية من المجوس ونحوهم يقولون إن العالم صادر عن أصلين النور والظلمة والنور عندهم هو إله الخير المحمود والظلمة هي الإله الشرير المذموم.وبعضهم يقول أن الظلمة هي الشيطان وهذا ليجعلوا ما في العالم من الشر صادرا عن الظلمة ومنهم من قال إن الظلمة قديمة **أزلية** مع أنها مذمومة عندهم ليست مماثلة للنور.ومنهم من قال بل هي." (٢)

"ص -٢١٢- الناس لهم بالثنوية فهم لا يقولون إن الشرير مماثل للخير.وكذلك الدهرية دهرية الفلاسفة وغيرهم منهم من ينكر الصانع للعالم كالقول الذي أظهره فرعون لعنه الله ومنهم من يقر بعلة يتحرك الفلك للتشبه بها كأرسطو وأتباعه ومنهم من يقول بالموجب بالذات المستلزم للفلك كابن سينا والسهروردي المقتول بحلب وأمثالهما من متفلسفة الملل.وأما مشركو العرب وأمثالهم فكانوا مقرين بالصانع وبأنه خلق

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة، ١٧٢/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٩٣/٢

السموات والأرض فكانت عقيدة مشركي العرب خيرا من عقيدة هؤلاء الفلاسفة الدهرية إذ كانوا مقرين بأن هذه السموات مخلوقة لله حادثة بعد أن لم تكن وهذا مذهب جماهير أهل الأرض ومن أهل الملل الثلاثة المسلمون واليهود والنصارى ومن المجوس والمشركين وهؤلاء الدهرية من الفلاسفة وغيرهم يزعمون أن السموات أزلية قديمة لم تزل وكان مشركو العرب يقرون بأن الله قادر يفعل بمشيئته ويجيب دعاء الداعي إذا دعاه وهؤلاء المتفلسفة الدهرية." (١)

"ص -٣٥٧- الأنبياء أنهم يسمون صفة الله القائمة به ولا كلمته ولا حياته لا ابنا ولا روح قدس ولا يسمون كلمته ابنا ولا يسمونه نفسه ابنا ولا روح قدس ولكن يوجد فيما ينقلونه عنهم أنهم يصفون المصطفى المكرم ابنا وهذا موجود في حق المسيح وغيره كما يذكرون أنه قال تعالى لإسرائيل: "أنت ابني بكري أي بني إسرائيل".وروح القدس يراد به الروح التي تنزل على الأنبياء كما نزلت على داود وغيره فإن في كتبهم أن روح القدس كانت في داود وغيره وأن المسيح قال لهم أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم فسماه أبا للجميع لم يكن المسيح مخصوصا عندهم باسم الابن ولا يوجد عندهم لفظ الابن إلا اسما للمصطفى المكرم لا اسما لشيء من صفات الله ولا في كتب الأنبياء أن صفة الله تولدت منه.وإذا كان كذلك كان في هذا ما يبين أنه ليس المراد بالابن كلمة الله القديمة الأزلية التي يقولون أنها تولدت من الله عندهم مع كونها أزلية ولا بروح القدس حياة الله بل المراد بالابن ناسوت المسيح وبروح القدس ما أنزل عليه من الوحي والملك الذي نزل به فيكون قد أمرهم بالإيمان بالله وبرسوله وبما أنزله على رسوله والملك الذي نزل به وبهذا أمرت الأنبياء كلهم وليس للمسيح خاصة استحق بها أن يكون فيه شيء من اللاهوت لكن ظهر فيه نور الله وكلام الله وروح الله كما ظهر في غيره من الأنبياء والرسل فإن غيره أيضا فيما ينقلونه عن الأنبياء يسمى ابنا وروح." (٢)

"ص -٣٦٢- الله وأكرمها كما تقدم في قوله: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ وأن الأكثرين على أنه جبريل.وهذا الأصل الذي ذكرناه من الفرق فيما يضاف إلى الله بين صفاته وبين مملوكاته أصل عظيم ضل فيه كثير من أهل الأرض من أهل الملل كلهم فإن كتب الأنبياء التوراة والإنجيل والقرآن وغيرها أضافت إلى الله أشياء على هذا الوجه وأشياء على هذا الوجه فاختلف الناس في هذه الإضافة فقالت المعطلة نفاة الصفات من أهل الملل إن الجميع إضافة ملك وليس لله حياة قائمة به ولا علم قائم به ولا قدرة قائمة به

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٩٥/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٨٦/٢

ولا كلام قائم به ولا حب ولا بغض ولا غضب ولا رضى بل جميع ذلك مخلوق من مخلوقاته.وهذا أول ما ابتدعته في الإسلام الجهمية وإنما ابتدعوه بعد انقراض عصر الصحابة وأكابر التابعين لهم بإحسان وكان مقدمهم رجل يقال له الجهم بن صفوان فنسبت الجهمية إليه ونفوا الأسماء والصفات واتبعهم المعتزلة وغيرهم فنفوا الصفات دون الأسماء ووافقهم طائفة من الفلاسفة أتباع أرسطو.وقالت الحلولية بل ما يضاف إلى الله قد يكون هو صفة له وإن كان بائنا عنه بل قالوا هو قديم أزلي فقالوا روح الله قديمة **أزلية** صفة لله حتى قال كثير منهم إن أرواح بني آدم قديمة **أزلية** وصفة لله وقالوا إن ما يسمعه الناس من أصوات القراء ومداد المصاحف قديم أزلي وهو صفة لله.وقال حذاق هؤلاء بل غضبه ورضاه وحبه وبغضه وإرادته لما يخلقه قديم أزلي وهو صفة الله وكلامه الذي سمعه موسى قديم أزلي وأنه لم يزل راضيا محبا لمن علم." (١)

"ص -٣٦٣- أنه يطيعه قبل أن يخلق ولم يزل غضبانا ساخطا على من علم أنه يكفر قبل أن يخلق ولم يزل ولا يزال قائلا يا آدم يا نوح يا إبراهيم قبل أن يوجدوا وبعد موتهم ولم يزل ولا يزال يقول يا معشر الجن والإنس قبل أن يخلقوا وبعد ما يدخلون الجنة والنار.وأما سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين المشهورون بالإمامة فيهم كالأربعة وغيرهم وأهل العلم بالكتاب والسنة فيفرقون بين مملوكاته وبين صفاته فيعلمون أن العباد مخلوقون وصفات العباد مخلوقة وأجسادهم وأرواحهم وكلامهم وأصواتهم بالكتب الإلهية وغيرها ومدادهم وأوراقهم والملائكة والأنبياء وغيرها ويعلمون أن صفات الله القائمة به ليست مخلوقة كعلمه وقدرته وكلامه وإرادته وحياته وسمعه وبصره ورضاه وغضبه وحبه وبغضه بل هو موصوف بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسله ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يتأولون كلام الله بغير ما أراده ولا يمثلون صفات الخالق بصفات المخلوق بل يعلمون أن الله سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله بل هو موصوف بصفات الكمال منزه عن النقائص وليس له مثل في شيء من صفاته ويقولون إنه لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال لم يزل متكلما إذا شاء بمشيئته وقدرته ولم يزل عالما ولم يزل قادرا ولم يزل حيا سميعا بصيرا ولم يزل مريدا فكل كمال لا نقص فيه يمكن اتصافه به فهو موصوف به لم يزل ولا يزال متصفا بصفات الكمال منعوتا بنعوت الجلال والإكرام سبحانه وتعالى.والنصارى من أعظم الناس اضطرابا في هذا الأصل فتارة يجعلون كلامه الذي تكلم به كالتوراة

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٩١/٢

والإنجيل مخلوقا منفصلا عنه وينفون عنه الصفات وتارة يجعلون كلمته قديمة أزلية متولدة عنه لم تزل ولا تزال ثم يقولون هذه الكلمة هي ابنه ويجعلون هذه الكلمة." (١)

"ص -٣٦٤- علمه أو حكمته ويقولون إن هذه الكلمة هي إله خالق وهو الذي خلق السموات والأرض وأن هذه الكلمة هي المسيح والمسيح إله خالق العالم.ويقولون مع هذا أن هذه الكلمة ليست هي الآب الذي خلق السموات والأرض فيجعلون كلمته صفة قديمة أزلية ويجعلونها ابنا له ويجعلون الصفة إلها خالقا ويجعلون المسيح هو الإله الخالق ويقولون مع هذا هو إله حق من إله حق من جوهر أبيه.ولهم في كلام الله وصفاته من التناقض والاضطراب ومخالفة كلام الأنبياء وتفسيره بغير ما أرادوه ومخالفة صريح المعقول وصحيح المنقول ما سنذكر إن شاء الله منه ما ييسره الله سبحانه وتعالى إذ بيان فساد أقوال النصارى بالاستقصاء لا يتسع له هذا الكتاب ولما قص تعالى قصة المسيح قال: ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾.أي يشكون ويتمارون كتماري اليهود والنصارى.ثم قال تعالى: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾.فاختلف اليهود والنصارى فيه ثم اختلفت النصارى فيه وصاروا أحزابا كثيرة جدا كالنسطوري واليعقوبية والملكية والباروبية والمريمانية والسمياطية وأمثال هذه الطوائف كما سنذكر إن شاء الله كثيرا من طوائفهم واختلافهم في مجامعهم كما حكى ذلك عنهم أحد أكابرهم سعيد بن البطريق وغيره فإنه ليس في الأمم أكثر اختلافا في رب العالمين منهم فويل للذين كفروا من هذه الطوائف كلها من مشهد يوم عظيم﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾.يقول تعالى ما أسمعهم وما أبصرهم يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم كالنصارى الذين ظلموا بإفكهم وشركهم في ضلال مبين ضلوا عن الحق في المسيح وقد وصف الله النصارى بالضلال في مثل قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾.." (٢)

"ص -١٥١- ومن هذا الباب قول المسيح السماء والأرض يزولان وكلامي لا يزول فإن أراد علم الله فعلم الله باق سواء أراد به علمه القائم بذاته أو معلومه الذي أخبر ببقائه فلا حجة لكم فيه وكذلك إن أراد كلمة معينة فإن المسيح عندكم ليس كلمة معينة من كلامه بل هو عندكم هو الكلمة وهو الله الخالق وليس في هذا اللفظ ما يدل على أنه أراد بالكلمة المسيح والمسيح عندكم أزلي أبدي لا يوصف بالبقاء دون القدم ولو قدر أنه أراد بالكلمة المسيح فنحن لا ننكر أنه يسمى بالكلمة لأنه قال له كن فكان كما سيأتي

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٩٢/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٩٣/٢

بيان ذلك ويريد بذلك أما بقاؤه إلى أن ينزل إلى الأرض وإما أن يريد بقاء ذكره والثناء عليه ولسان صدق له إلى آخر الزمان.ومما يوضح هذا وأنه ليس المراد به ما يدعونه أنه قال وكلمة الله باقية إلى الأبد فوصفها بالبقاء دون القدم.وعندهم أن الكلمة المولودة من الأب قديمة **أزلية** لم تزل ولا تزال ومثل هذا لا يحتاج أن يوصف بالدوام والبقاء بخلاف ما وعد به من النعيم والرحمة والثواب فإنه يوصف بالبقاء والدوام كما في القرآن﴿أكلها دائم﴾ وقوله: ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾.وفي الزبور اعترفوا للرب فإنه صالح وإنه إلى الأبد رحمته.." (١)

"ص -١٦٩- ولكن إذا قيل في الإنسان هو جسم حساس تام متحرك بالإرادة ناطق فهنا قد يتصور الذهن هذه الأمور ويعبر عنها فكل واحد منهما جزء من الجملة التي في ذهنه ولسانه.والجملة التي في ذهنه ولسانه مركبة من هذه الأجزاء لا أن الإنسان الموجود في الخارج مركب من هذه الأجزاء وأنها متقدمة عليه أو أنها جواهر فإن هذا كله مما يعلم بصريح العقل أنه باطل لكن هؤلاء المتفلسفة اليونان ومن اتبعهم كثيرا ما يشتبه عليهم ما يتصورونه في الأذهان بما يوجد في الأعيان كما أثبت من أثبت من قدمائهم مثل فيثاغورس وأتباعه أعدادا مجردة موجودة في الخارج.وقد رد ذلك عليهم سائر العقلاء كما رده من بعده منهم.وقالوا إن العدد المجرد والمقدار المجرد إنما يوجد في الذهن لا في الخارج وإنما يوجد في الخارج المعدودات والمقدرات مثل الأجسام المتفرقة التي تعد كالكواكب أو المتصلة التي تقدر كالأفلاك وذلك هو المتصف بالكم المتصل والكم المنفصل الموجود في الخارج.وأثبت أصحاب أفلاطون الكليات العقلية في الخارج التي يسمونها المثل الأفلاطونية وزعموا أنها قديمة **أزلية** وأثبتوا بعدام وجودا مجردا جوهرا هو الخلاء وجوهرا قائما بنفسه هو الدهر وجوهرا مجردا قائما بنفسه هو المادة والهيولى **الأزلية.**وهذه كلها إنما تتصور في الأذهان لا في الأعيان بل وما أثبتوه من العقول المجردة." (٢)

"ص -١٨١- فإن كان الأول فالصفة ليست إلها ولا هي خالقة ولا يقال لها مولودة من الله ولا أنها مساوية لله في الجوهر ولم يسم قط أحد من الأنبياء ولا أتباع الأنبياء صفات الله لا ابنا له ولا ولدا ولا قال إن صفة الله تولدت منه ولا قال عاقل إن الصفة القديمة تولدت من الذات القديمة.وهم يقولون إن المسيح إله خلق السماوات والأرض لاتحاد ناسوته بهذا الابن المولود قبل كل الدهور المساوي الأب في الجوهر.وهذا كله نعت عين قائمة بنفسها كالجواهر القائمة بنفسها لا نعت صفات قائمة بغيرها وإذا كان

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/١٨١

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٢٠٢

كذلك كان التبعيض والتجزئة لازمة لقولهم فإن القول بالولادة الطبيعية مستلزم لأن يكون خرج منه جزء قال تعالى: ﴿وجعلوا له من عباده جزءا إن الأنسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون﴾ سورة الزخرف.وأما هذا المعنى الذي يثبته من يثبته من علماء النصارى ويسمونه ولادة وبنوة فيسمونه الصفة القديمة **الأزلية** القائمة بالموصوف ابنا ويسمونها تارة النطق وتارة الكلمة وتارة العلم وتارة الحكمة ويقولون هذا مولود من الله وابن الله.فهذا لم يقله أحد من الأنبياء وأتباعهم ولا من سائر العقلاء غير هؤلاء المبتدعة من النصارى ولا يفهم أحد من العقلاء من اسم الولادة والبنوة هذا المعنى.والأنبياء لم يطلقوا لفظ الابن إلا على مخلوق وهم يقولون هو أب للمسيح بالطبع ولغيره بالوضع فلا يعقل جمهور العقلاء وغيرهم من هذا المعنى إلا البنوة المعقولة بانفصال جزء من الوالد وهذا ينكره." (١)

"ص -٢٢٩- الماء".وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السماوات والأرض".وهو قد قال قبل أن تكون الدنيا ولم يقل إنه كان قديما أزليا مع الله لم يزل كما يقول النصارى إنه صفة الله **الأزلية** بل وقت ذلك بقوله قبل أن تكون الدنيا ولا يحسن أن يقال في رب العالمين كان قبل أن تكون الدنيا فإنه سبحانه قديم أزلي ولا ابتداء لوجوده فلا يوقت بهذا المبدأ لا سيما إن أريد بكون الدنيا عمارتها بآدم وذريته فإن الدنيا قد لا تدخل فيها السماوات والأرض بل يجعل من الآخرة وأرواح المؤمنين في الجنة في السماوات ويراد بالدنيا الحياة الدنيا أو الدار الدنيا.ولهذا قال لكنه لا يظهر إلا في الأيام التي تلده فيها الوالدة كما يظهر غيره أن الأنبياء بعد أن تلده أمه.والوالدة إنما ولدت الناسوت وأما اللاهوت فهو عندهم مولود من الله القديم الأزلي وإذا قالوا فهي ولدت اللاهوت مع الناسوت كان هذا معلوم الفساد من وجوه كثيرة وإذا قيل لم خص عيسى المسيح عليه السلام بالذكر قيل كما خص محمد بالذكر لأن أمر المسيح كان أظهر وأعظم ممن قبله من الأنبياء بعد موسى.وكذلك أمر محمد كان أظهر وأعظم منأمر جميع الأنبياء قبله وإذا عظم الشيء كان ظهوره في الكتاب أعظم.وظن بعض النصارى أن المراد بذلك وجود ذات المسيح يضاهي ظن طائفة من غلاة." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٢١٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٢٧٢

"ص -٢٣١- وهو من جنس قول الذين يجعلون روح الإنسان قديمة أزلية ويقولون هي صفة الله فيجعلون نصف الإنسان لاهوتا ونصفه ناسوتا لكن اللاهوت عندهم هو روحه لا لاهوت واحد كما يقوله النصارى وعلى قول هؤلاء مع قول النصارى يكون في المسيح وأمثاله ممن ادعى فيه اتحاد اللاهوت به لاهوتان روحه لاهوت والكلمة لاهوت ثان ومن جنس هؤلاء من ينشد ما يحكى عن الحلاج أنه أنشد.سبحان من أظهر ناسوته. سر سنا لاهوته الثاقب.ثم بدا في خلقه ظاهرا. في صورة الأكل والشارب.حتى لقد عاينه خلقه. كلحظة الحاجب للحاجب.ولو قدر أن نفسه هي التي كانت قبل أن تكون الدنيا فهذا لا يدل على أنه الله أو صفة الله بل إذا قال من يدعي أن روحه كانت موجودة حينئذ المراد روحه كان هذا أقرب من قول النصارى وفي الجملة ما يخبر عن المسيح أنه كان قبل أن تكون الدنيا بمنزلة ما عند أهل الكتاب عن سليمان أنه قال كنت قبل أن تكون الدنيا ثم قد ثبت باتفاق الخلائق أن سليمان لم يكن اللاهوت متحدا به فعلم أن مثل هذا الكلام لا يوجب اتحاد اللاهوت به بل المسلمون يعدلون في القول ويفسرون كلام الله في كتبه بعضه ببعض ويجعلون كلامه يصدق بعضه بعضا لا يناقض بعضه بعضا.وأما أهل الضلال من النصارى وغيرهم فيفضلون المفضول على من هو أفضل منه ويبخسون الفاضل حقه ويغلون في المفضول ويبخسون الأنبياء حقوقهم مثل تنقصهم لسليمان فإن كثيرا من اليهود والنصارى يطعنون فيه.منهم من يقول: كان ساحرا وأنه سحر الجن بسحره.ومنهم من يقول: سقط عن درجة النبوة فيجعلونه حكيما لا نبيا ولهذا ذكر الله في القرآن تبرئة سليمان عن ذلك وذلك أن سليمان سأل الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده.." (١)

"ص -٣٣٢- فصل.قالوا وقال أيضا في موضع آخر: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾.فأعنى بقوله مثل عيسى إشارة إلى البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة لأنه لم يذكر ها هنا اسم المسيح إنما ذكر عيسى فقط.كما أن آدم خلق من غير جماع ولا مباضعة فكذلك جسد السيد المسيح خلق من غير جماع ولا مباضعة وكما أن جسد آدم ذاق الموت فكذلك جسد المسيح ذاق الموت وقد يبرهن بقوله أيضا قائلا إن الله ألقى كلمته إلى مريم وذلك حسب قولنا معشر النصارى إن كلمة الله الأزلية الخالقة حلت في مريم وتجسدت بإنسان كامل وعلى هذا المثال نقول في السيد المسيح طبيعتان طبيعة لاهوتية التي هي طبيعة كلمة الله وروحه وطبيعة ناسوتية التي أخذت من مريم العذراء واتحدت به ولما تقدم به القول من الله تعالى على لسان موسى النبي إذ يقول أليس هذا الأب الذي خلقك وبراك واقتناك قيل

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٧٤/٤

وعلى لسان داود النبي روحك القدس لا تنزع مني وأيضا على لسان داود النبي بكلمة الله تشددت السماوات وبروح فاه جميع قواهن وليس يدل هذا القول على ثلاثة خالقين بل خالق واحد الأب ونطقه أي كلمته وروحه أي حياته.والجواب من وجوه.أحدها أن قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾.كلام حق فإنه سبحانه خلق هذا النوع البشري على الأقسام الممكنة ليبين عموم قدرته فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى كما قال." (١)

"ص -٣٣٧- اللاهوت ما يكرهه كانا متباينين وقد اتفقا على المكر بالعدو ولم يجزع الناسوت كما جرى ليوسف معأخيه لما وافقه على أنه يحمل الصواع في رحله ويظهر أنه سارق لم يجزع أخوه لما ظهر الصواع في رحله كما جزع إخوته حيث لم يعلموا وكثير من الشطار العيارين يمسكون ويصلبون وهم ثابتون صابرون فما بال هذا يجزع الجزع العظيم الذي يصفون به المسيح وهو يقتضي غاية النقص العظيم مع دعواهم فيه الإلهية.الوجه السادس: قولهم إنه كلمته وروحه تناقض منهم لأن عندهم أقنوم الكلمة فقط لا أقنوم الحياة.الوجه السابع: قولهم وقد برهن بقوله رأينا أيضا في موضع آخر قائلا إن الله ألقى كلمته إلى مريم وذلك حسب قولنا معشر النصارى إن كلمة الله الخالقة الأزلية حلت في مريم واتحدت بإنسان كامل.فيقال لهم أما قول الله في القرآن فهو حق ولكن ضللتم في تأويليه كما ضللتم في تأويل غيره من كلام الأنبياء وما بلغوه عن الله وذلك أن الله تعالى قال: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ سورة آل عمران.ففي هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق وليس هو ما يقوله النصارى." (٢)

"ص -٣٤٣- السلف وهؤلاء يقولون قد يكون الحال من المعطوف دون المعطوف عليه كما في قوله تعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا﴾.أي قائلين وكلا القولين حق باعتبار فإن لفظ التأويل يراد به التفسير ومعرفة معانيه.والراسخون في العلم يعلمون تفسير القرآن قال الحسن البصري لم ينزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم في ماذا نزلت وماذا عنى بها.وقد يعنى بالتأويل ما استأثر الله بعلمه من كيفية ما أخبر به عن نفسه وعن اليوم الآخر ووقت الساعة ونزول عيسى ونحو ذلك فهذا التأويل لا

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٩٩/٤

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٠٨/٤

يعلمه إلا الله وأما لفظ التأويل إذا أريد به صرف اللفظ عن ظاهره إلى ما يخالف ذلك لدليل يقترن به فلم يكن السلف يريدون بلفظ التأويل هذا ولا هو معنى التأويل في كتاب الله عز وجل.ولكن طائفة من المتأخرين خصوا لفظ التأويل بهذا بل لفظ التأويل في كتاب الله يراد به ما يؤول إليه الكلام وإن وافق ظاهره كقوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل﴾.ومنه تأويل الرؤيا كقول يوسف الصديق: ﴿هذا تأويل رؤياي من قبل﴾.وكقوله: ﴿إلا نبأتكما بتأويله﴾.وقوله: ﴿ذلك خير وأحسن تأويلا﴾.وهذا مبسوط في موضع آخر.والمقصود هنا أنه ليس للنصارى حجة لا في ظاهر النصوص ولا في باطنها كما قال تعالى: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾.والكلمة عندهم هي جوهر وهي رب لا يخلق بها الخالق بل هي الخالقة لكل شيء كما قالوا في كتابهم إن كلمة الله الخالقة الأزلية حلت في مريم والله تعالى قد أخبر أنه سبحانه ألقاها إلى مريم والرب سبحانه هو الخالق والكلمة التي ألقاها ليست خالقة إذ الخالق لا يلقيه شيء بل هو يلقي غيره وكلمات الله." (١)

"ص -٣٨٨- وتلك الألفاظ موجودة في كلام الأنبياء عليهم السلام لها معان أخر ويجعل تلك الألفاظ دالة على معانيه التي رآها ثم يجعل الألفاظ التي تكلمت بها الأنبياء وجاءت بها الكتب الإلهية أرادوا بها معانيه هو وهكذا فعل سائر أهل الإلحاد في سائر الكتب الإلهية كما فعلته النصارى مثل ما عمدت الملاحدة المتبعون لفلاسفة اليونان القائلون بأن هذه الأفلاك قديمة أزلية لم تزل ولا تزال وأن الله لم يتكلم بالتوراة ولا غيرها من الكتب الإلهية ولا هو عالم بالجزئيات لا بموسى بن عمران ولا بغيره ولا هو قادر أن يفعل بمشيئه ولا يقيم الناس من قبورهم فقالوا خلق وأحدث وفعل وصنع ونحو ذلك يقال على الإحداث الذاتي والإحداث الزماني.فالأول: هو إيجاب العلة لمعلولها المقارن لها في الزمان.والثاني: إيجاد الشيء بعد أن لم يكن ثم قالوا ونحن نقول إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما وأحدث ذلك وأبدعه وصنعه كما أخبرت بذلك الأنبياء عليهم السلام لكن مرادهم بذلك الإحداث الذاتي وهو أن ذلك معلوم له لم يزل معه.فيقال لهم لم يستعمل أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل ولا أحد من سائر الأمم لفظ الخلق والإحداث إلا فيما كان بعد عدمه وهو ما كان مسبوقا بعدمه ووجود غيره ومعنى هذا اللفظ معلوم بالاضطرار في جميع لغات الأمم وأيضا فاللفظ المستعمل في لغة العامة والخاصة لا يجوز أن يكون معناه ما لا يعرفه إلا بعض الناس وهذا المعنى الذي يدعونه لو كان حقا لم يتصوره إلا بعض الناس فلا يجوز أن يكون اللفظ العام الذي تداوله العامة والخاصة موضوعا له إذا كان هذا يبطل مقصود اللغات ويبطل تعريف

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٤١٧

الأنبياء للناس فكيف وهو باطل في صريح المعقول كما هو باطل في صحيح المنقول فإنه لم يعرف أن أحدا قط عبر عن القديم الأزلي الذي لم يزل موجودا ولا يزال بأنه محدث أو مخلوق أو مصنوع أو مفعول فهذا الذي ذكرتموه كذب صريح على الأنبياء عليهم السلام لتوهموا الناس أنكم." (١)

"ص -٣٨٩- خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام والقديم الأزلي لا يكون مخلوقا في ستة أيام وكذلك الكتب الإلهية كالتوراة والقرآن قد أخبرت بتكليم الله لموسى وبندائه إياه من الطور من الشجرة وفي التوراة أنها شجرة العليق.وأخبرت بأن موسى عليه السلام كان يلقي عصاه فتصير حية تسعى ويخبر بأن الله فلق البحر فقالت الملاحدة إن الشيء الثابت يسمى طورا فإنه ثابت كالجبل والقلوب تسمى أودية وإظهار العلوم بتفجير ينابيع العلم والحجة المبتلعة كلام أهل الباطل هي عصا معنوية فمراد الكتب بالطور العقل الفعال الذي فاض منه العلم على قلب موسى عليه السلام والوادي قلب موسى والكلام الذي سمعه موسى سمعه من سماء عقله وتلك الأصوات كانت في نفسه لا في الخارج والملائكة التي رآها كانت أشخاصا نورانية تمثلت في نفسه لا في الخارج والبحر الذي فلقه هو بحر العلم والعصا كانت حجته غلب على السحرة بحجته العلمية فابتلعت حجته شبههم التي جعلوها حبالا يتوسلون بها إلى نيل أغراضهم وعصيا يقهرون بها من يجادلونه.أفليس من قال مثل هذا الكلام يعلم بالاضطرار أنه يكذب على الكتب الإلهية التي أخبرت بقصة موسى كالتوراة والقرآن وأنه ليس مراد الرسل بما أخبروا به من قصة موسى هذا بل صرحوا بأن موسى سمع نداء الله له وأنه كلمه من الطور طور سينا الذي هو الجبل وقلب عصاه التي كان يهش بها على غنمه ثعبانا عظيما وفلق له البحر وأغرق فيه آل فرعون فغرقوا وماتوا فيه وهلكوا وأمثال هذا من تحريفات الملاحدة كثير.فهكذا النصارى حرفوا كتب الله وسموا صفة الله القديمة الأزلية التي هي علمه أو حكمته ابنا وسموها أيضا كلمة وسموا صفته القديمة الأزلية التي هي حياته روح القدس وتسمية هذه الصفات بهذه الأسماء لا توجد في شيء من كلام الأنبياء ولا غيرهم ولا يعرف أن أحدا قط لا من الأنبياء ولا غيرهم سمى علم الله القائم به ابنه بل ولاسمى علم أحد من العالمين القائم به ابنه." (٢)

"ص -٤٠٢- ملكوت السماء يأكل ويشرب مع تلاميذه على مائدته وهذا ما لا شك لكم فيه وهو مخالف لقولكم فيما يصير إليه وفي الأكل والشرب والنعيم هناك ثم قوله لشمعون حين أتته الجموع فأخذوه أم تظن أني لست قادرا أن أطلب إلى أبي فيقيم لي اثني عشر جندا من ملائكته أو أكثر ولكن كيف تتم

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٤٦٨

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٤٧٠

الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون ولم يقل إني قادر أن أدفعهم عن نفسي ولا أني آمر الملائكة أن يمنعوا عني كما يقول من له القدرة والأمر.قال ونجدكم تقولون في المسيح عليه السلام إنه مولود من أبيه أزلي ويجب على المدعي القول أن يثبت الحجة فيه ويعلم أنه مطالب بإيضاحها لا سيما في مثل هذا الخطب الجليل الذي لا يقع التلاعب به ولا تجترىء النفوس على ركوب الشبهات فيه والويل الطويل لمن تأول في ذلك تأويلا لا حقيقة له فإنه يهلك نفسه ومن كان من الناس معه ممن يتبع قوله إن كان هذا الابن أزليا على ما في شريعة إيمانكم فليس هذا بمولود وإن كان مولودا فليس بأزلي لأن اسم **الأزلية** إنما يقع على من لا أول له ولا آخر.ومعنى المولود أنه حادث مفعول وكل مفعول فله أول فكيفما أردتم القول فيه كان بطلان الشريعة.قال ونسألكم أيضا عن واحدة لم سميتم الأب أبا والابن ابنا فإنه إن كان وجب للأب اسم الأبوة لقدمه فالابن أيضا يستحق هذا الاسم بعينه إذ كان قديما مثله وإن كان الأب عالما عزيزا فهو أيضا عالم عزيز تشهد شريعة الإيمان له بذلك في قولها إنه خلق الخلائق كلها وأتقنت على يده وأنه نزل لخلاصكم ومن قدر على ذلك لم يكن إلا." (١)

"ص -٤٦٣- والتوراة كلام الله والإنجيل كلام الله ولا يقل أحد إن شيئا من ذلك خلق السماوات والأرض ولا يقول أحدا يا كلام الله اغفر لي وارحمني.فقول هؤلاء إن كلمته هي الخالقة وإنه خلق بها كلام متناقض.فإنها إن كانت هي الخالقة لم تكن هي المخلوق به فالمخلوق به ليس هو الخالق.الوجه الثالث: أن يقال قولكم كلمة الله الخالقة أهي كلام الله كله أم هي بعض كلام الله أم هي المعنى القائم بالذات القديم الأزلي الذي يثبته ابن كلاب أم حروف وأصوات قديمة **أزلية** كما يقوله بعض الناس أم هي الذات المتكلمة.فإن كانت هي الذات المتكلمة فهي الأب والرب وتكون هي الموصوفة بالحياة فلا يكون هناك كلام مولود ولا كلمة أرسلت ولا غير ذلك مما ذكره وهذا خلاف قولهم كلهم فإن الكلمة المتحدة بالمسيح ليست هي الأب عندهم.وإن قالوا بل هي كلام الله كله.قيل لهم فيكون المسيح هو التوراة والإنجيل والقرآن وسائر كلام الله وهذا لا يقولونه ولم يقله أحد ولا يقوله عاقل.وإن قالوا إنها هي المعنى الواحد القديم الأزلي أو الحروف والأصوات القديمة **الأزلية**.قيل لهم هذان القولان وإن كانا باطلين فإن قلتم: بهما لزمكم أن يكون المسيح هو كلام الله كله فإن هذين عند من يقول بهما هما جميع كلام الله.والتوراة والإنجيل وسائر كلام الله عبارة عن ذلك المعنى القائم بذات الله وهو الحروف والأصوات القديمة القائمة بالذات عند من يقول بهذين إن قلتم إن المسيح بعض كلمات الله فحينئذ لله كلمات أخر غير المسيح فاجعلوا

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٤٨٦

كل كلمة خلقا كما جعلتم الكلمة المتحدة بالمسيح خالقا إذ كنتم تقولون الكلمة هي الخالقة وهي المخلوق بها فقولوا عن سائر كلمات الله إنها خالقة مخلوق بها وحينئذ فيتعدد الخالق بتعدد كلمات الله.." (١)

"ص -٤٦٤- وإذا كانت كلمات الله لا نهاية لها كان الخلق خالقون لا نهاية لهم وهذا غاية الباطل والكفر.وبالجملة أي شيء فسروا به الكلمة تبين به فساد قولهم ولكنهم يتكلمون بما لا يفهمونه ويقولون الكذب والكفر المتناقض وإنما عندهم تقليد من أضلهم كما قال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾.الوجه الرابع: أن يقال لهم ما لم يعلم بالمعقول فليس في المنقول ما يدل عليه وأنتم لا تدعون أنكم عرفتموه بالعقل لكن بما نقل عن الأنبياء وأنتم قد فسرتم كلمته بعلمه وحكمته وروح القدس بحياته فمن أي نبي تنقلون أن علم الله وحكمته مولودة منه وأنه يسمى ابنا وأن علمه أو حكمته خلق كل شيء وأن حياته خلقت كل شيء وأن علمه خالق وإله ورب وحياته خالقة وإله ورب وليسفي الأنبياء من سمى شيئا من صفات الرب ولدا له ولا ابنا ولا ذكر أن الله ولد شيئا من صفاته فدعواكم أن صفته القديمة **الأزلية** ولدت مرتين مرة ولادة قديمة **أزلية** وولادة حادثة من فرج مريم كذب معلوم على الأنبياء لم يقل أحد منهم إن الله ولد ولا إن شيئا من صفاته ولده لا ولادة روحانية ولا ولادة جسمانية.وهذا وإن أبطل قول الملكية فهو لقول اليعقوبية أشد إبطالا وهو مبطل أيضا لقول النسطورية فإنهم يقولون بالأمانة التي فيها أنه مولود قديم أزلي فإن طوائفهم الثلاثة متفقون على الأمانة التي ابتدعوها في زمن قسطنطين بعد أكثر من ثلاثمائة سنة من المسيح.الوجه الخامس: قولكم بعث كلمته الخالقة فهبطت كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء ليست مخلوقة ولكن مولودة منه ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط.من قال من الأنبياء أنه لم يكن بلا روحه قط أو أن روحه صفة له قديمة أو أنها حياته.وكلام الأنبياء كله ينطق بأن روح الله وروح القدس." (٢)

"ص -٤٦٦- مولود قديم أزلي وهل يعقل مولود إلا محدثا.وأيضا فإذا جاز أن تكون الكلمة التي يفسرونها بالعلم أو الحكمة مولودة منه فكذلك حياته مولودة منه وإن كانت حياته منبثقة منه فكلمته منبثقة منه.فجعل إحدى الصفتين الأزليتين مولودة من الأزل غير منبثقة والأخرى ليست مولودة من الأزل بل منبثقة مع كونه باطلا فهو متناقض وتفريق بين المتماثلين.فإنه إن جاز أن يقال للصفة القديمة **الأزلية** إنها مولودة منه فالحياة مولودة وإن جاز أن يقال إنها منبثقة فالكلمة منبثقة.وأيضا فكون الصفة إلها خالقا وإثبات ثلاثة

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥/٥٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥/٥٣

آلهة خالقين مع قولهم إن الخالق واحد تناقض آخر.وأيضا فقوله ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط إن إراد بروحه حياته فهذا صحيح لكن من من الأنبياء سمى حياة الله روحه ومن الذي جعل الله روحا قديمة أزلية وهل هذا إلا افتراء على الأنبياء.وليس لقائل أن يقول إن هذا نزاع لفظي فلا اعتبار به لأن هذا تفسير لكلام الأنبياء فهم الذين تكلموا بروح الله وروح القدس ونحو ذلك ولم يرد أحد بذلك حياة الله قط.فتسمية حياة الله روحا وتفسير مراد الأنبياء بذلك افتراء على الله ورسله.الوجه الثامن: قوله فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم الثابت الذي لم يزل ولا يزول فالتحمت من مريم العذراء وهي جارية طاهرة مختارة من نسل داود اصطفاها الله لهذا التدبير من نساء العالمين وطهرها بروح القدس روحه الجوهرية التي جعلها أهلا لحلول كلمة الله الجوهرية بها فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق خلقته لنفسها بمسرة الأب ومؤازرة روح القدس خلقا جديدا.فيقال إن الكتب دلت على أن المسيح تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء البتول وهكذا هو في الأمانة التي لهم وبهذا أخبر القرآن حيث أخبر في غير موضع أنه نفخ في مريم من روحه مع إخباره أنه أرسل إليها روحه.قال تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها." (١)

"ص -٤٦٧- تقيا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة﴾.وقال تعالى: ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾.وقال تعالى: ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾.فالكتب الإلهية يصدق بعضها بعضا.لكن دعواكم أن روح القدس روح الله الجوهرية أي حياته القديمة الأزلية أمر مخالف لجميع كتب الله وأنبيائه.فلم يفسر أحد منهم روح القدس بصفة الله لا جوهرية ولا غير جوهرية ولا قديمة ولا غير قديمة ولا أرادوا بذلك حياة الله.فقولكم هذا تبديل لكلام الله وكلام أنبيائه ورسله كما أنكم في قولكم إن كلمة الله أو علمه أو حياته مولودة منه وإن صفته القديمة الأزلية هي ابنه مما حرفتم فيه كلام الأنبياء فلم يرد أحد منهم هذا المعنى بهذا اللفظ قط ولم يطلق في جميع الكتب التي عندكم لفظ الابن المولود إلا على محدث مخلوق لا على شيء قديم أزلي لا موصوف ولا صفة لا علم ولا كلام ولا حكمة ولا غير ذلك.وكل ولادة في الكتب الإلهية التي عندكم وغيرها فهي ولادة حادثة زمانية وكل مولود فهو محدث مخلوق زماني

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥٦/٥

ليس في الكتب ولادة قديمة أزلية ولا مولود قديم أزلي كما أنكم ذكرتم ذلك في امانتكم وغيرها.فلو كان ما ذكرتموه ممكنا في العقول لم يجز أن تجعلوه موجودا واقعا وتقولوا الأنبياء أرادوا ذلك إلا أن." (١)

"ص -٤٨٤- أفلاطون أنهم أثبتوا هذه الكليات المجردة عن الأعيان في الخارج وقالوا إنها قديمة أزلية إنسانية مطلقة وحيوانية مطلقة ويسمونها المثل الأفلاطونية والمثل المعلقة.وقد رد ذلك عليهم إخوانهم أرسطو وشيعته وجماهير العقلاء وبينوا أن هذه إنما هي متصورة في الأذهان لا موجودة في الأعيان كما يتصور الذهن عددا مطلقا ومقادير مطلقة كالنقطة والخط والسطح والجسم التعليمي ونحو ذلك مما يتصوره الذهن وليس من ذلك شيء في الموجودات الثابتة في الخارج.وهذا المطلق بشرط الإطلاق يظن هؤلاء ثبوته في الخارج وقد يسمونه الإحاطة وهو الوجود المجرد عن جميع القيود ثم بعده الوجود المطلق لا بشرط وهو العام المنقسم إلى واجب وممكن إلى قديم وحادث ونحو ذلك كانقسام الحيوان إلى ناطق وأعجم.وهذا المطلق لا بشرط يوجد في الخارج فإن الاسم المفرد يصدق عليه فيقال هذا حيوان هذا إنسان وإن كان الاسم العام شامل لأنواعه وأشخاصه لكن لا يوجد في الخارج إلا مقيدا معينا.ومن قال إنه يوجد في الخارج كليا فقد غلط فإن الكلي لا يكون كليا قط إلا في الأذهان لا في الأعيان وليس في الخارج إلا شيء معين إذا تصور منع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه ولكن العقل يأخذ القدر المشترك الكلي بين المعينات فيكون كليا مشتركا في الأذهان.وهؤلاء يجعلون الوجود الواجب هذا وقد يجعلونه بعد هذا فيقولون هذا فرق الواجب.وهذا الوجود الكلي إذا قيل إنه لا يوجد في الخارج إلا معينا فلا موجود في الخارج سوى الموجودات المعينة المشخصة بما فيها من الصفات القائمة بها.وإن قدر وجوده في الخارج فهو إما جزء من المعينات وأما صفة لها.." (٢)

"ص -٤٩١- فصلقال سعيد بن البطريق وذلك مثل ما أن الشعاع المولود من عين الشمس الذي يملأ ضوؤه ما بين السماء والأرض نورا وفي بيت من البيوت يكون فيه ضياء بنوره من غير مقارنة لعين الشمس التي تولد منها حقا لأنه لم ينقطع من العين ولا من الضوء فكذلك سكن الله في الناسوت من غير أن يفارقه الأب فهو مع الناسوت وهو مع الأب وروح القدس حقا.فيقال هذا التمثيل لو قدر أنه صحيح فإنما يشبه من بعض الوجوه قول من يقول إنه بذاته في كل مكان كشعاع الشمس الذي يظهر في الهواء والأرض.وأما النصارى فإنهم يخصونه بناسوت المسيح دون سائر النواسيت ولو مثل بهذا من يقول إنه بذاته

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥/٥٨

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥/٨٢

في كل مكان لكان باطلا فكيف النصارى فإن الضوء إنما يكون في الهواء وسطوح الأرض لا يكون تحت السقوف والغيران وباطن الأرض ثم هذا التمثيل باطل من وجوه.أحدها: أن الشعاع ليس متولدا من جرم الشمس ولا شعاع النار متولد من جرم النار بل هو حادث بائن عن جرم الشمس ولكنها سبب في حصوله.ولهذا يشبه به العلم الحاصل في قلب المتعلم بسبب تعلم العلم من غير أن يكون من ذات علم العالم.ولهذا يشبه علم العالم بالسراج الذي يقتبس كل أحد من نوره وهو لم ينقص.بخلاف تولد المولود عن والده فإنه متولد عن عينه.والشعاع القائم بالهواء والأرض ليس هو قائما بذات الشمس والنار بل هو عرض قائم بمحل آخر والعرض الواحد لا يكون في محلين.والنصارى يقولون إن الكلمة التي هي علم الله أو حكمته متولدة منه وهي قديمة أزلية والصفة قائمة بالموصوف فالصفة مثل ما يقوم بذات الشمس من استدارة وضوء فذاك صفة." (١)

"ص -٤٩٥- وارحمني كان قد تكلم بباطل عند جميع أهل الملل والعقلاء.وأنتم تقولون المسيح إله خالق وهو يدعى ويعبد فكيف تشبهونه بكلام الله المكتوب في القراطيس.الثاني: أن الكلام المكتوب صفة للمتكلم يقوم به ويكتب في القراطيس عند سلف أهل الملل وجماهيرهم.وعند بعضهم هو عرض مخلوق يخلقه في غيره.فالجميع متفقون على أن الكلام صفة تقوم بغيرها ليس جوهرا قائما بنفسه.والمسيح عندكم لاهوته جوهر قائم بنفسه وهو إله حق من إله حق وهو عندكم إله تام وإنسان تام.فكيف تجعلون الإله الذي هو عين قائمة بنفسها كالصفة التي لا تقوم إلا بغيرها.الثالث: قولكم إن كلمة الإنسان مولودة من عقله لو كان صحيحا فالتولد لا يكون إلا حادثا.وأنتم تقولون إن كلمة الله القديمة **الأزلية** متولدة منه قبل الدهور وتقولون مع هذا هي إله.وهذا كما أن بطلانه معلوم بصريح العقل فهي بدعة وضلالة في الشرع فإنه لم يسم أحد من الأنبياء شيئا من صفات الله ابنا له ولا قال إن صفته متولدة منه ولفظ الابن لا يوجد عندكم عن الأنبياء إلا اسما لناسوت مخلوق لا لصفة الله القديمة فقد بدلتم كلام الأنبياء بهذا الافتراء.الرابع: قولكم مولودة من عقله إن أردتم بعقله العين القائمة بنفسها التي يسميها قلبا وروحا ونفسا أو نفسا ناطقة فتلك إنما تقوم بها المعاني وأما الألفاظ فإنما تقوم بفمه ولسانه.." (٢)

"ص -٥٠٣- بالذات هو معنى جميع كلام الله.وذلك المعنى إن عبر عنه بالعبرية كان توراة وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا والأمر والنهي والخبر صفات له لا أنواع له.ومن

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٨٩/٥

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٩٣/٥

هؤلاء من قال بل هو قديم وهو حروف أو حروف وأصوات أزلية قديمة وأنها هي التوراة والإنجيل والقرآن.فقال الناس لهؤلاء خالفتم الشرع والعقل في قولكم إنه قديم وابتدعتم بدعة لم يسبقكم إليها أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وفررتم من محذور إلى محذور كالمستجير من الرمضاء بالنار.ثم قولكم إنه معنى واحد وهو مدلول جميع العبارات مكابرة للعقل والشرع فإنا نعلم بالاضطرار أنه ليس معنى آية الكرسي هو معنى آية الدين ولا معنى ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ هو معنى سورة الإخلاص.والتوراة إذا عربناها لم تصر هي القرآن العربي الذي جاء به محمد وكذلك إذا ترجمنا القرآن بالعبرية لم يكن هو توراة موسى.وقول من قال منكم إنه حروف أو حروف وأصوات أزلية ظاهر الفساد فإن الحروف متعاقبة فيسبق بعضها بعضا والمسبوق بغيره لا يكون قديما لم يزل والصوت المعين لا يبقى زمانين فكيف يكون قديما أزليا.والسلف والأئمة لم يقل أحد منهم بقولكم لكن قالوا إن الله تكلم بالقرآن وغيره من الكتب المنزلة وإن الله نادى موسى بصوت سمعه موسى بأذنه كما دلت على ذلك النصوص.ولم يقل أحد منهم إن ذلك النداء الذي سمعه موسى قديم أزلي ولكن قالوا إن الله لم يزل متكلما إذا شاء وكيف شاء لأن الكلام صفة كمال لا صفة نقص وإنما تكون صفة كمال إذا قام به لا إذا كان مخلوقا بائنا عنه فإن الموصوف إلا بما قام به لا يتصف بما هو." (١)

"ص -٥٧٥- وما يفعلونه من دعاء المخلوقين كالملائكة أو كالأنبياء والصالحين الذين ماتوا مثل دعائهم مريم وغيرها وطلبهم من الأموات الشفاعة لهم عند الله لم يبعث به أحد من الأنبياء فكيف وقد صوروا تماثيلهم ليكون تذكيرا لهم بأصحابها ويدعون تلك الصور.وإن قصدوا دعاء أصحابها فهم إذا صرحوا بدعاء أصحابها وطلبوا منهم الشفاعة وهم موتى وغائبون كانوا مشركين.فكيف إذا كان الدعاء في الظاهر لتماثيلهم المصورة وهذا مما يعترف حذاق علمائهم بأنه مخالف لدين الأنبياء كلهم.ولهذا وقع بينهم تنازع في اتخاذ الصور في الكنائس لما ابتدعه بعضهم كما هو مذكور في أخبارهم ولم يأت من ابتدع ذلك بحجة شرعية.والمجسمة يعتقدون أن الله قديم أزلي وأنه عظيم جدا لا يقولون إنه متحد بشيء من الأجسام المخلوقة ولا يحل فيها فمنقال باتحاده وحلوله فيها كان قوله شرا من قول هؤلاء المجسمة.كما أن المتفلسفة الذين يقولون بأن الأفلاك أجسام قديمة أزلية واجبة بنفسها أولها علة تتشبه بها كما يقوله أرسطو وذووه أو يثبتون لها علة فاعلة لم تزل مقارنة لها كما يقوله ابن سينا وأمثاله.وهؤلاء قولهم شر من قول اليهود والنصارى ومشركي العرب الذين يثبتون للسموات والأرض خالقا خلقها بمشيئته وقدرته.ولو قال من قال

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٠٢/٥

منهم إن ذلك جسم فغايته أن يثبت جسما قديما أزليا موصوفا بصفات الكمال.فمن أثبت جسما قديما أزليا ليس موصوفا بصفات الكمال كان قوله شرا من قول هذا.فتبين أن المجسمة الذين يثبتون جسما قديما أزليا واجب الوجود بنفسه عالما بكل شيء قادرا على كل شيء مع قولهم إنه تحله الحوادث وتقوم به الحركة والسكون خيرا من قول الفلاسفة الذين يقولون إن الأفلاك أجسام قديمة أزلية واجبة الوجود بنفسها كما يقوله أرسطو وذووه وخير من النصارى أيضا.." (١)

"ص -٥٧٩- بين الزنادين فإذا قدح أحدهما بالآخر خرج منهما جزء لطيف فاستحال نارا ثم سقط على الحراق.وقد توسع بعض الناس في الولادة حتى عبر به عما يحدث عن الشيء وإن لم يكن بانفصال جزء منه كتولد الشعاع عن النار والشمس وغيرها لأن هذا يحدث بشيئين أحدهما ما يصدر عنه من الشمس والنار والثاني المحل القابل له الذي ينعكس عليه وهو الجرم المقابل له الذي يقوم به الشعاع.فأما ما يحدث عن شيء واحد فلا يعرف أنه يسمى ولادة إن قدر وجود ذلك وكذلك لا يعرف ما يلزم الشيء الواحد أنه يسمى ولدا.فأما ما يقوم بالموصوف من صفاته اللازمة له فهذا أبعدشيء عن أن يسمى هذا الملزوم ولادة بل لا تكون الولادة إلا عن أصلين.وكل من قال إن لله ولدا لزمه أن يكون له صاحبة بأي وجه فسر الولادة وأن يكون له ولد حادثا ولهذا قال تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم﴾.فاستفهم تعالى استفهام إنكار ليبين امتناع أن يكون له ولد إذ لم تكن له صاحبة فإن الولد لا يكون إلا من أصلين وهذا مما ينبغي أن يتفطن له فإن جعل ما يلزم الشيء الواحد متولدا عنه لا يعرف لا سيما صفاته القائمة به اللازمة له كعلمه وحياته لا سيما الصفات القديمة الأزلية اللازمة لذات رب العالمين الذي لم يزل ولا يزال موصوفا بها فإن صفات العبد اللازمة له كحياته وقدرته ونحو ذلك ليست متولدة عنه عند جميع العقلاء.ولا يقول عاقل يعقل ما يقول إن لون السماء وقدرها متولد عنها ولا إن قدر الشمس وضوءها القائم بها اللازم لها متولد عنها ولا يقول أحد إن حرارة النار وضوءها القائم بها." (٢)

"ص -٥٨٠- متولد عنها وإنما يقال إن قيل فيما ليس بقائم بها بل قائم بغيرها أو فيما هو حادث بعد أن لم يكن كالشعاع القائم بالأرض والحيطان وهذا ليس بقائم بها بل قائم بغيرها هو حادث متولد عن أصلين لا عن أصل واحد.فأما صفات المخلوق القائمة به اللازمة له فلا يقول أحد من العقلاء إنها متولدة

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٨٧/٥

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٩١/٥

عنه.والنصارى يزعمون أن كلمة الله التي يفسرونها بعلمه أو حكمته وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته هي صفة له قديمة أزلية لم يزل ولا يزال موصوفا بها.ويقولون مع ذلك إن الكلمة هي مولودة منه فيجعلون علمه القديم الأزلي متولدا عنه ولا يجعلون حياته القديمة الأزلية متولدة عنه.وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم فإنه أنواع كثيرة فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته يقال إنها ابنه وولده ومتولد عنه ونحو ذلك فتكون حياته أيضا ابنه وولده ومتولدا عنه وإن لم يكن كذلك فلا يكون علمه ابنه ولا ولده ولا متولدا عنه.وأبلغ من ذلك أن روح القدس المنفصلة عنه القائمة بالأنبياء والصديقين لايقولون إنها ولده ولا إنها متولدة عنه بل يخصون ذلك بالكلمة فلا ينقلون عن أحد من الأنبياء أنه سمى شيئا من صفات الله ابنا ولا ولدا ولا قال إن علم الله أو كلامه أو حكمته ولده أو ابنه أو هو متولد عنه.فعلم أن القوم في غاية التناقض في المعاني والألفاظ وأنهم مخالفون للكتب الإلهية كلها ولما فطر الله عليه عباده من المعقولات التي يسمونها نواميس عقلية ومخالفون لجميع لغات الآدميين وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم فإنهم قالوا تولدت الكلمة عنه كما تولد الكلمة والحكمة فينا عن العقل.فيقال لهم لو قدر أن الأنبياء سموا ذلك تولدا فما يتولد فينا حادث بعد أن لم يكن وحدوثه يتسبب من فعلنا وقدرتنا ومشيئتنا.فاما صفاتنا اللازمة لنا التي لا اختيار لنا في اتصافنا بها ولم نزل متصفين بها فلا." (١)

"ص -٥٨١- يقول عاقل إنها متولدة فينا وعنا.وأنتم تجعلون صفة الله القديمة اللازمة له التي لم يزل ولا يزال متصفا بها متولدة عنه.فلو قدر أن ما ذكرتموه من التولد العقلي أمرا معروفا في اللغة والعقل والشرع لم يكن لكم أن تجعلوا علم الله وحكمته التي فسرتم بها كلمته ابنا له ومولودا منه لم يزل مولودا منه لأن هذا باطل عقلا وشرعا ولغة.اما العقل فإن صفة الموصوف اللازمة له وإن كان مخلوقا ليست متولدة عنه فكيف الصفة القديمة للموصوف القديم.ولو جاز هذا جاز أن يجعل ما كان لازما لغيره ولدا له ومولودا منه فيجعل كيفيات الأشياء وكمياتها متولدة عنها وأمثالها.ويقال إن طول الجسم وعرضه وعمقه متولد عنه وإن حياة الحي متولدة عنه وإن القوى والطبايع التي جعلها الله في المخلوقات متولدة عنها.وأما الشرع فإن هذا لو كان متولدا وهو في بعض اللغات يسمى ولدا لم يجز أن يحمل على ذلك كلام الأنبياء إلا أن يكون في لغتهم يسمى ولدا.وكل من نظر في كتب الأنبياء من علماء النصارى وغيرهم لم يجد أحدا من الأنبياء يسمى علم الله وكلمته وحياته ولدا له ولا ابنا له ولا قال إن ذلك يتولد عنه.فقولهم عن المسيح عمدوا الناس باسم

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٩٢/٥

الأب والابن وروح القدس أنه أراد بالابن كلمة الله القديمة **الأزلية** وأنها متولدة منه وأنه أراد بروح القدس حياة الله القديمة **الأزلية** كذب محض على المسيح عليه السلام لا يوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء أنهم سموا علم الله وحكمته ولا شيئا من صفاته القائمة به ابنا ولا سموا حياته روح القدس.وأما اللغة فإن هذا التعبير الذي ذكروا وهو تسمية صفات الموصوف اللازمة له ولدا وابنا ومتولدا لا يعرف في لغات بني آدم المعروفة.." (١)

"ص -٥٨٥- في الحادث المتجدد فإنه مفعول فعل الوالد.والقديم الأزلي لا يكون مفعولا مولودا.وأيضا فتسمية الصفة القديمة **الأزلية** مولودا وابنا لا يوجد في كلام أحد من الأنبياء عليهم السلام.فهب أن هذا مما يسوغ لنا في اللغة أن نقوله لكن لا يجوز أن نحدث لغة غير لغة الأنبياء ونحمل كلام الأنبياء عليها فإن هذا كذب عليهم.وهكذا تفعل النصارى وأمثالهم من أهل التحريف بكلام الأنبياء يحدثون لهم لغة مخالفة للغة الأنبياء ويحملون كلام الأنبياء عليه.مثال ذلك أن الأنبياء أخبروا بأن الله إله واحد وكفروا من أثبت إلهين اثنين وأمروا بالتوحيد ودعوا إليه وحرموا الشرك وكفروا أهله وأخبروا أن الله واحد أحد وكان مرادهم بذلك توحيده وأنه لا يجوز أنيعبد إلا الله وأنه لا يستحق العبادة إلا هو ليس مقصودهم بذلك نفي صفاته.فلم يقصدوا بلفظ الأحد والواحد أنه ليس له علم ولا قدرة ولا شيء من الصفات.فجاء طائفة من أهل البدع ففسروا لفظ اسم الواحد والأحد بما جعلوه اصطلاحا لهم فقالوا الواحد الذي ليس فيه تركيب ولا ينقسم ولو كان له صفات لكان مركبا ولو قامت به الصفات لكان جسما والجسم مركب من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة فلا يكون أحدا ولا واحدا.فيقال هذا الذي قالوه لو قدر أنه صحيح في العقل واللغة فليس هو لغة الأنبياء التي خاطبوا بها الخلق فكيف إذا لم يكن هذا الواحد من لغة أحد من الأمم.بل جميع الأمم تسمي ما قام به الصفات واحدا بل يسمونه وحيدا وقد يسمونه في غير الإثبات أحدا كقوله: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾.وقوله: ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾.وأمثال ذلكوأما البحث العقلي في هذا فقد بسطناه في غير هذا الموضع وبينا أن ما يسميه هؤلاء المتفلسفة تركيبا كقولهم إن الشيء مركب من وجود وماهية وقولهم إن الأنواع مركبة." (٢)

"ص -٥٨٩- تعالى: ﴿ولا الليل سابق النهار﴾.أي لا يتقدم عليه بحيث يكون بينهما انفصال بل كال منهما متصل بالآخر.والمقصود هنا أن معرفة اللغة التي خاطبنا بها الأنبياء وحمل كلامهم عليها أمر

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٩٣/٥

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل ديىن المسيح، ١٩٨/٥

واجب متعين ومن سلك غير هذا المسلك فقد حرف كلامهم عن مواضعه وكذب عليهم وافترى.ومثل هذا التحريف والتبديل قد اتفق المسلمون واليهود والنصارى على أنه وقع فيه خلق كثير من أهل الكتب الثلاثة وأن التوراة والإنجيل حرفا بهذا الاعتبار وكذلك القرآن حرفه أهل الإلحاد والبدع بهذا الاعتبار.فأهل الكتاب نقلوا عن الأنبياء أنهم تكلموا بلفظ الاب والابن ومرادهم عندهم بالأب الرب وبالابن المصطفى المختار المحبوب.ولم ينقل أحد منهم عن الأنبياء أنهم سموا شيئا من صفات الله ابنا ولا قالوا عن شيء من صفاته أنه تولد عنه ولا أنه مولود له.فإذا وجد في كلام المسيح عليه السلام أنه قال عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس ثم فسروا الابن بصفة الله القديمة **الأزلية** كان هذا كذبا بينا على المسيح حيث لم يكن في لغته أن لفظ الابن يراد به صفة الله القديمة **الأزلية**.وكذلك إذا لم يكن في كلام الأنبياء أن حياة الله تسمى روح القدس وإنما يريدون بروح القدس ما ينزله الله تبارك وتعالى على الأنبياء والصالحين ويؤيدهم كان تفسير قول المسيح روح القدس أنه أراد حياة الله كذبا على المسيح.وهذا من بعض الوجوه أفسد من قول بعض المتفلسفة إن العقول والنفوس والأفلاك معلولة له متولدة عنه لازمة له أزلا وأبدا وإن كان هذا أيضا باطلا في صريح العقل كما هو كفر بما أخبرت به الأنبياء كما قد بسط في موضع آخر فإنه لا يصدر شيء عن فاعل الأشياء بعد شيء لا يتصور أن يكون المفعول مقارنا للفاعل لا يتأخر عنه ولا يكون التولد إلا عن أصلين.والواحد من كل وجه الذي ليس له صفة ثبوتية لا وجود له ولو كان له وجود لم يصدر عنه وحده شيء كما قد بسط الكلام على ذلك في مواضع." (١)

"ص -٥٩٠- ومما يوضح ذلك أن خواص النصارى وعلماءهم مع تجويزهم أن يقال أن المسيح ابن الله يلزمهم أن تكون مريم صاحبة الله وامرأته كما قال ذلك من يغلو منهم ومنهم من يجعل مريم إلها مع الله كما جعل المسيح إلها.فإن قالوا: بذلك جعلوا لله صاحبة وولدا وجعلوا المسيح بنمريم وأمه إلهين من دون الله كما فعل ذلك من فعله منهم.فإنهم يعبدون مريم ويدعونها بما يدعون به الله سبحانه والمسيح ويجعلونها إلها كما يجعلون المسيح إلها فيقولون يا والدة الإله اغفري لنا وارحمينا ونحو ذلك فيطلبون منها ما يطلبونه من الله عز وجل.ومنهم من يقول عن مريم إنها صاحبة الله سبحانه وتعالى.وبيان لزوم ذلك أن المسيح عندهم إنسان تام وإله تام ناسوت ولاهوت فناسوته من مريم ولاهوته الكلمة القديمة **الأزلية** وهي الخالق عندهم.فالمسيح بين أصلين ناسوت ولاهوت فإذا كان الأب هو الله عندهم والكلمة المولودة عن الأب ابن الله فمعلوم أن اللاهوت لما التحم بالناسوت ليصير منهما المسيح ازدوج به وقارنه وهذا معنى

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٠٢/٥

الزوجية.فكما أنهم قالوا إن الولادة عقلية لا حسية فكذلك الازدواج والنكاح عقلي لا حسي فإن اللاهوت على قولهم ازدوج بناسوت مريم ونكحها نكاحا عقليا وخلق المسيح من هذا و هذا.وهم يقولون في الأمانة إن المسيح تجسد من مريم ومن روح القدس.فإن فسروا روح القدس بجبريل كما يقوله المسلمون فهو الحق وبطل قولهم لكنهم يقولون روح القدس هو الأقنوم الثالث كما يقولون في الكلمة وهو اللاهوت عندهم.فهم قد ذكروا أنه تجسد من الناسوت واللاهوت فيلزمهم على هذا أن يكون المسيح هو الابن وهو روح القدس فيكون أقنومين لا أقنوما واحدا وقد تقدم تناقضهم في هذا.والمقصود هنا أنهم إذا قالوا إن الرب أو بعض صفاته اتحد بما خلق من مريم فلا بد أن يحصل له اتصال بمريم قبل اتصاله بما خلق منها وذلك هو معنى النكاح والازدو ا ج.وعند جمهور النصارى أن مريم ولدت اللاهوت كما ولدت الناسوت." (١)

"ص -٢٧- وأبي حاتم بن حبان البستي وأبي الحسن الدارقطني وأبي الفرج بن الجوزي وغيرهم.ثم لفظه لو كان صحيحا حجة على نقيض مطلوبهم فإنه قال أول ما خلق الله العقل بنصب أول وفي لفظ لما خلق الله العقل قال له.فلفظه يقتضي أنه خاطبه في أول ما خلقه فحرفوا لفظه وقالوا أول ما خلق الله العقل بالضم وليس هذا لفظه ولكن لفظه يقتضي أنه خاطبه في أول أوقات خلقه ولهذا قال ما خلقت خلقا أكرم علي منك وهذا يقتضي أنه خلق قبله غيره.وعندهم هو أول المبدعات يمتنع أن يتقدمه شيء مع أنه وسائر العقول والأفلاك عندهم قديمة أزلية لم تزل ولا تزالثم قال فبك آخذ وبك أعطي وبك الثواب وعليك العقاب فجعل به هذه الأنواع الأربعة.وعندهم أن العقل صدر عنه جميع العالم العلوي والسفلي وذلك أن لفظ العقل في الحديث سواء كان صحيحا أو ضعيفا هو العقل في لغة الأنبياء والمرسلين هو عقل الإنسان وهو عرض قائم به وهذه صفة قائمة بالإنسان ليس هو جوهرا قائما بنفسه.والعقل في لغة هؤلاء الفلاسفة هو جوهر قائم بنفسه وأما النفس الفلكية فلهم فيها قولانقيل إنها عرض قائم بالفلك وهو قول أكثرهم وقيل بل جوهر قائم بنفسه ولهذا." (٢)

" من الأجسام ما هو قديم أمكنني التزام ذلك على قول طوائف من أهل الكلام بل على قول كثير منهم ولم أكن في ذلك موافقا للدهرية الذين يقولون إن الأفلاك قديمة أزلية حتى يقال هذا مخالف للكتاب والسنة أو هذا كفر بل الذي نطق به الكتاب والسنة واتفق عليه المسلمون من خلق المخلوقات وحدوث المحدثات أقول به وأما كون الباري جسما أو ليس بجسم حتى يقال الأجسام كلها محدثة فمن المعلوم

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٠٤/٥

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٥/٦

أن الكتاب والسنة والإجماع لم تنطق بأن الأجسام كلها محدثة وأن الله ليس بجسم ولا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين فليس في تركي لهذا القول خروج عن الفطرة ولا عن الشريعة بخلاف قولي بأن الله تعالى ليس فوق العالم وأنه موجود لا داخل العالم ولا خارجه فإن فيه من مخالفة الفطرة والشرعة ما هو بين لكل أحد وهو قول لم يقله إمام من أئمة المسلمين بل قالوا نقيضه فكيف التزم خلاف المعقول الفطري وخلاف الكتاب والسنة والإجماع ،القديم خوفا أن أقول قولا لم أخالف فيه كتابا ولا سنة ولا إجماعا ولا معقولا فطريا

بل يقول في الوجه التاسع هذه المعارضة تؤكد مذهبي وتقوية وتكون حجة ثانية لي على صحة قولي فإن احتججت علي بأن الله تعالى مباين للعالم بأن الموجودين إما أن يكون أحدهما مباينا للآخر أو محايثا له فقلتم هذا معارض بقول الفيلسوف إن الموجودين إما أن يكون أحدهما متقدما على العالم أو مقارنا له وذلك يستلزم القول بقدم الزمان المستلزم للقول بقدم بعض الأجسام فأقول إذا كانت هذه الحجة التي عارضتموني بها مستلزمة لكون بعض الأجسام قديمة من غير أن تعين جسما أمكن أن يكون ذلك الذي يعنونه بأنه الجسم القديم هو الله سبحانه وتعالى كما يقوله المثبتون وأن ذلك هو ملازم لقولنا إنه موصوف وقائم بنفسه ونحو ذلك فتكون هذه الحجة التي عارضتم بها دليلا على أن الله ." (١)

" وتغيره لأنهم لم يقدروا الله حق قدره وكان ينبغي كلما شهدوه على عظم العالم وقدره يدلهم على قدر مبدعه لكن لما ضل من ضل منهم لم يثبت لخالقه ومبدعه إلا وجودا مطلقا لا ينطبق إلا على العدم وإن أثبت له نوعا من الخصائص الكلية فهي أيضا لا تمنع أنه إنما يطابق العدم ولهذا كان هؤلاء من الدهرية المعطلة نظيرا للصفاتية الذين لا يثبتون حقيقة الذات المباينة للعالم فإن حقيقة قولهم يعود إلى قول معطلة الصفات أيضا

وإذا كان الأمر كذلك فيقال لمن يلتزم منهم نفي الصانع ويقول أنا أقول إنه قديم واجب بنفسه لئلا يلزمني هذا المحذور الذي ذكرتموه في صدوره عن فاعل قديم كما قد يقول بعض الصفاتية إذا ضاقت عليهم الحجج في مسألة العرش والقرآن والرؤية وغيرها نحن نلتزم قول المعتزلة بنفي الصفات مطلقا فإنه يقال لهذا الدهري إذا كنت تجوز في عقلك وجود هذه الأفلاك قديمة أزلية واجبة الوجود أو حادثة بذاتها فإنها إذا لم تكن مفعولة لغيرها فإما أن تكون قديمة بنفسها أو حادثة بنفسها فإذا جوزت ذلك بلا زمان ولا مكان ولا من مادة ولا عن خالق لأن في إثبات الخالق صدور عن فاعل قديم أو حدوثها عنه بلا زمان

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١١٨

ولا مكان ولا من مادة وهذا خلاف ما يشهد من صدور الأجسام عن غيرها أو حدوثها فإن تجويز وجوبها بنفسها وقدمها أو حدوثها بنفسها بلا فاعل أبعد عن المشهود والمحسوس والمعقول من صدورها عن فاعل بلا مادة ولا مكان ولا زمان فإن المشهودات صادرة في مكان وزمان ومن مادة وعن فاعل في الجملة وإن سميتموه طبيعة أو قوى فلكية أو غير ذلك فإنكم لا يمكنكم إنكار الأسباب الحادثة المحسوسة فإذا جوزتم وجود ذلك في غير زمان ولا مكان ولا من مادة ولا بفاعل كان ذلك أبعد عن المحسوس والمعقول مما فررتم منه وإذا قلتم ذلك قديم واجب الوجود ." (١)

" أو الحركات أو ينكرون وجود النفس وأن لها نعيما وعذابا ويقولون إن ذلك إنما هو للبدن بلا نفس ويزعمون أن الروح عرض من أعراض البدن ونحو ذلك من المقالات التي خالفوا فيها الكتاب والسنة إذ كانوا فيها هم والفلاسفة على طرفي نقيض وهذا الذي ابتدعه المتكلمون باطل باتفاق سلف الأمة وأئمتها

لكن يقال لهؤلاء الفلاسفة لا ريب أنكم أنتم وهؤلاء كلاكما مخالفون لما نطقت به الكتب الإلهية كما أنكم مخالفون لصرائح المعقولات ومن وافق ظالما في ظلمه كان جزاؤه أن يقال له ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشركون وأنت قد اعترفت أن الأخبار الإلهية ناطقة بأن صورة العالم أي صورة السموات والأرض محدثة وأما قولك إن ظاهر الشرع أن نفس الوجود والزمان مستمر من الطرفين فليس في القرآن ما يدل ظاهره على أن وجودا غير وجود الله أو زمانا موجودا خارجا عنه هو مقارن لوجوده وما ذكرته إنما يدل على أن العرش كان قبل السموات وهذا حق لكن ليس فيه أن وجود العرش أزلي وقد جاء ذكر خلقه في الأحاديث كحديث أبي رزين الآتي ذكره مع ما في القرآن من أنه رب العرش وأمثال ذلك وكذلك ما فيه من ذكر زمان قبل هذا الزمن المتعلق بحركة الفلك لا يدل على أن ذلك قديم أزلي مقارن لوجود الله تعالى وكذلك ما فيه من ذكر مادة لخلق السموات والأرض لا يقتضي أن تلك المادة قديمة أزلية هذا مع ما في القرآن من أنه خالق كل شيء في غير موضع و رب كل شيء ولفظ الخلق ينافي ما يذكرونه من لزوم العالم له كلزوم الصفة للموصوف

وحديث أبي رزين رواه أحمد والترمذي وغيره قال الترمذي في كتاب التفسير في تفسير سورة هود لأجل قوله تعالى هو الذي خلق السموات ." (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٤٦

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٥٣

" قال الأنصاري أشار إلى وحدة الإله فإن الجوهر واحد لا ينقسم ولكن يقبل النهاية والإله سبحانه واحد على الحقيقة فلا يقبل فصلا ولا وصلا

قال فإن قال قائل الوحدانية ترجع إلى صفة إثبات أم هي من الأوصاف التي تفيد النفي قلنا قال بعض المتكلمين المقصد من الواحد انتفاء ما عدى الموجود الفرد وربما يميل القاضي أبو بكر إلى هذا وقال الجبائي كونه واحدا ثابت لا للنفس ولا للمعنى وطرد ذلك شاهدا وغائبا والذي يدل عليه كلام القاضي أن الأتحاد صفة إثبات ثم هي صفة النفس

قال أبو المعالي فإن قيل أوضحوا معنى التوحيد قيل مراد المتكلمين من إطلاق هذه اللفظة الوحدانية والحكم بذلك وأبو المعالي كثيرا ما يقول قال الموحدون ويعني بهم هؤلاء وسلك سبيله ابن التومرت في لفظة الموحدين لكن لم يذكر في مرشدته الصفات الثبوتية كما يذهب إليه أبو المعالي ونحوه لكن اقتصر على الصفات السلبية وعلى الأحكام وهذه طريقة المعتزلة والنجارية ونحوهم

وكذلك قد وافق هؤلاء في تفسير الواحد بهذه المعاني الثلاثة طائفة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم قال القاضي أبو يعلى في المعتمد كما ذكر ابن الباقلاني وأما الواحد والفرد والوتر فمعناه استحالة التجزئة والانقسام والتبعيض عليه فقال ونفي الشريك عنه ونفى الثاني عنه فيما لم يزل ونفي المثل عنه تعالى وعن صفاته الأزلية فجعل في هذا الموضع اسم الواحد يعم ." (١)

" فاطر السموات والأرض وإنما كان النزاع في عبادة غير الله واتخاذه ربا فكانوا يعبدون الكواكب السماوية ويتخذون لها أصناما أرضية

وقوله لا أحب الآفلين فالآفل هو الذي يغيب تارة ويظهر تارة فليس هو قائم على عبده في كل وقت والذين يعبدون ما سوى الله من الكواكب ونحوها ويتخذونها أوثانا يكونون في وقت البزوغ طالبين سائلين وفي وقت الأفول لا يحصل مقصودهم ولا ومرادهم فلا يجلبون منفعة ولا يدفعون مضرة ولا ينتفعون إذ ذاك بعبادة فبين ما في الآلهة التي تعبد من دون الله من النقص وبين ما لربه فاطر السموات والأرض من الكمال بأنه الخالق الفاطر العليم السميع البصير والهادي الرازق المحيي المميت

ففي الجملة الاحتجاج بلفظ التغير إن كان سمعيا فالأفول ليس هو التغير وإن كان عقليا فإن أريد بالتغير الذي يمتنع على الرب محل النزاع لم يحتج به وإن أريد به مواقع الإجماع فلا منازعة فيه

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٤٧٠

ولما فسر هؤلاء الأفوال بالحركة وفتحوا باب تحريف الكلم عن مواضعه دخلت الملاحدة من هذا الباب ففسر ابن سينا وأمثاله من الملاحدة الأفول بالإمكان الذي ادعوه حيث قالوا أن الأفلاك قديمة أزلية وهي مع ذلك ممكنة وكذلك ما فيها من الكواكب والنيرين قالوا فقول إبراهيم لا أحب الآفلين أي لا أحب الممكن المغلول وإن كان قديما أزليا وأين في لفظ الأفول ما يدل على هذا المعنى ولكن هذا ." (١)

" اسم لكل موجود سوى الله تعالى فلو كان فوقه شيء موجود غير الله لكان ثم موجود غير الله لم يخلقه الله بل هو مستغن عن الله لاسيما وقد جعل الله محتاجا إليه وهذا لا يقوله عاقل فضلا عن أن يقوله مسلم وقد تقدم الكلام على هذا بأبسط من هذا لما ذكر أن الله يحتاج إلى حيز في الأدلة العقلية ولما ذكر أن الحيز منها في الأدلة السمعية وفي غير ذلك

الوجه السادس أنا قد قررنا غير مرة أن ليس فوق العالمين إلا رب العالمين وليس هناك غيره ولا شيء يشاركه في العلو غيره بوجه من الوجوه فضلا عن أن يكون هناك ما هو عال عليه فقوله الجهة التي في جهة العلو لا يمكن فرض وجودها خالية عن هذا العلو يقال له لا جهة هناك إلا الله فهو الذي يشار إليه موجودا والاشارة إلى موجود غيره هناك ممتنعة فإن كنت تعتقد أن هناك موجودا يشار إليه فأبطل ما تعتقده وإلا فالناس لا يعتقدون هذا ومنازعة الانسان فيما لا يعتقده تضييع زمان ونوع من الكذب والبهتان

الوجه السابع قولك إن الحاصل في الجهة يكون عاليا لا لذاته لكن تبعا لكونه حاصلا في تلك الجهة العالية على العالم ممنوع بل باطل لأنه استحق العلو بذاته لا لأمر منفصل عنه كما استحق الأزلية بنفسه لا لأمر منفصل عنه فقول القائل علوه تبع لعلو الجهة كقوله إنه قديم تبع لقدم الزمان وكل من الخيالات الفاسدة بل هو الأول بنفسه الذي ليس قبله شيء وهو الآخر بنفسه الذي ليس بعده شيء وهو الظاهر بنفسه الذي ليس فوقه شيء وهو الباطن بنفسه الذي ليس دونه شيء

الوجه الثامن هب أن الجهة في العلو أو الدهر في القدم شيء موجود تبع له فوجوده تبع لوجود الحق لا أن علو الحق وقدمه تبع له فإن ذلك يكون ." (٢)

"وهم يقولون إمكانه له من ذاته ووجوده من غيره بناء على تفريقهم في الخارج بين وجود الشيء وذاته فالإمكان عندهم أولى بذاته من الوجود

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٥٣١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٢٨٢

ولو قال فلما وجدت أو خلقت أو أبدعت قال لا أحب الموجودين والمخلوقين كان هذا قبيحا متناقضا إذ لم يزل كذلك فكيف إذا قال فلما صارت ممكنة وهي لم تزل ممكنة

وأيضا فهى من حين بزغت وإلى أن أفلت ممكنة بذاتها تقبل الوجود والعدم مع كونها عندهم قديمة أزلية يمتنع عدمها وحينئذ يكون كونها متحركة ليس بدليل عند إبراهيم على كونها ممكنة تقبل الوجود والعدم

وأما قول القائل كل متحرك محدث أو كل متحرك ممكن يقبل الوجود والعدم فهذه المقدمة ليست ضرورية فطرية باتفاق العقلاء بل من يدعي صحة ذلك يقول إنها لا تعلم إلا بالنظر الخفي ومن ينازع في ذلك يقول إنها باطلة عقلا وسمعا ويمثل من مثل بها في أوائل العلوم الكلية لقصوره وعجزه وهو نفسه يقدح فيها في عامة كتبه

وأما قوله كل متغير محدث أو ممكن فإن أراد بالتغير ما يعرف من ذلك في اللغة مثل استحالة الصحيح إلى المرض والعادل إلى الظلم والصديق إلى العداوة فإنه يحتاج في إثبات هذه الكلية إلى دليل وإن أراد بالتغير معنى الحركة أو قيام الحوادث مطلقا حتى تسمى الكواكب حين بزوغها متغيرة

". (١)

"

هل هي موجودة قبل هذا العالم وهل كان قبله مدة ومادة أم هو أبدع ابتداء من غير تقدم مدة ولا مادة

فالذي جاء به القرآن والتوراة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع أئمة أهل الكتاب أن هذا العالم خلقه الله وأحدثه من مادة كانت مخلوقة قبله كما أخبر في القرآن أنه ﴿ استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ أي بخار ﴿ فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ﴾ سورة فصلت ١١ وقد كان قبل ذلك مخلوق غيره كالعرش والماء كما قال تعالى ﴿ وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ﴾ سورة هود ٧ وخلق ذلك في مدة غير مقدار حركة الشمس والقمر كما أخبر أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١١٢/١

والشمس والقمر هما من السموات والأرض وحركتهما بعد خلقهما والزمان المقدر بحركتهما وهو الليل والنهار التابعان لحركتهما إنما حدث بعد خلقهما وقد أخبر الله أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام فتلك الأيام مدة وزمان مقدر بحركة أخرى غير حركة الشمس والقمر

وهذا مذهب جماهير الفلاسفة الذين يقولون إن هذا العالم مخلوق محدث وله مادة متقدمة عليه لكن حكي عن بعضهم أن تلك المادة المعينة قديمة **أزلية** وهذا أيضا باطل كما قد بسط في غير هذا الموضع فإن المقصود هنا إشارة مختصرة إلى قول من يقول إن أقوال هؤلاء دل عليها السمع

". (١)

"والمعتزلة ومن اتبعهم بحدوث العالم وقد يحكونه عن أهل الملل وهو بهذا المعنى لا يوجد لا في القرآن ولا غيره من كتب الأنبياء لا التوراة ولا غيرها ولا في حديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف هذا عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

والمعنى الثالث الذي أحدثه الملاحدة كابن سينا وأمثاله قالوا نقول العالم محدث أي معلول لعلة قديمة **أزلية** أوجبته فلم يزل معها وسموا هذا الحدوث الذاتي وغيره الحدوث الزماني

والتعبير بلفظ الحدوث عن هذا المعنى لا يعرف عن أحد من أهل اللغات لا العرب ولا غيرهم إلا من هؤلاء الذين ابتدعوا لهذا اللفظ هذا المعنى والقول بأن العالم محدث بهذا المعنى فقط ليس قول أحد من الأنبياء ولا أتباعهم ولا أمة من الأمم العظيمة ولا طائفة من الطوائف المشهورة التي اشتهرت مقالاتها في عموم الناس بحيث كان أهل مدينة على هذا القول وإنما يقول هذا طوائف قليلة مغمورة في الناس

وهذا القول إنما هو معروف عن طائفة من المتفلسفة المليين كابن سينا وأمثاله وقد يحكون هذا القول عن أرسطو وقوله الذي في كتبه أن العالم قديم وجمهور الفلاسفة قبله يخالفونه ويقولون إنه محدث ولم يثبت في كتبه للعالم فاعلا موجبا له بذاته وإنما أثبت له علة يتحرك للتشبه بها ثم جاء الذين

". (٢)

"

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/١٢٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١/١٢٦

قلت هذا الجواب يجيب به من قد يعلل الأفعال كما هو مذهب المعتزلة والكرامية وغيرهم وقد يوافق المعتزلة ابن عقيل ونحوه كما قد يوافق الكرامية في تعليلهم القاضي أبو خازم ابن القاضي أبي يعلى وغيره

قال الجواب الرابع أن **الأزلية** مانعة من الإحداث لما سبق

الجواب الخامس أنه لم يكن ممكنا قبله ثم صار ممكنا فيه

قلت هذان الجوابان أو أحدهما ذكرهما غير واحد من أهل الكلام المعتزلة والأشعرية وغيرهم كالشهرستاني وغيره وهذا جواب الرازي في بعض المواضع

قال الجواب السادس أن القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح كالهارب من السبع إذا عرض له طريقان متساويان والعطشان إذا وجد قدحين متساويين

قلت هذا جواب أكثر الجهمية المعتزلة وبه أجاب الرازي في نهاية العقول فإنه قال في كتابه المعروف بنهاية العقول وهو عنده أجل ما صنفه في الكلام قال قوله في المعارضة الأولى جميع جهات مؤثرية الباري عز وجل لا بد وأن يكون حاصلا في الأزل ويلزم من ذلك امتناع تخلف العالم عن الباري عز وجل

". (١)

"بعضه موافق لقول أهل الملل وبعضه موافق لقول الفلاسفة الدهرية فإنه مبنى على إثبات العقول والنفوس وأنها ليست أجساما وكونها قديمة أزلي لازمة لذات الله تعالى وهذه الأقوال ليست من أقوال أهل الملل بل هي أقوال باطلة كما قد بسط في غير هذا الموضع وبين أن ما يدعونه من المجردات إنما ثبوتها في الأذهان لا في الأعيان

وإنما أجاب الأرموي بهذا الجواب لأن هؤلاء المتأخرين كالشهرستاني والرازي والآمدي زعموا أن ما ادعاه هؤلاء المتفلسفة من إثبات عقول ونفوس مجردة لا دليل للمتكلمين على نفيه وأن دليلهم على حدوث الأجسام لا يتضمن الدلالة على حدوث هذه المجردات

وهذا قول باطل بل أئمة الكلام صرحوا بأن انتفاء هذه المجردات وبطلان دعوى وجود ممكن ليس جسما ولا قائما بجسم مما يعلم انتفاؤه بضرورة العقل كما ذكر ذلك الأستاذ أبو المعالي وغيره بل قال طوائف من أهل النظر إن الموجود منحصر في هذين النوعين وإن ذلك معلوم بضرورة العقل وقد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٣٢٥

والمقصود هنا أن هذا الجواب الذي ذكره الأرموي مبنى على هذا الأصل

ومضمونه أن الرب تعالى موجب بالذات للعقول والنفوس الأزلية اللازمة لذاته لا فاعل لها بمشيئته وقدرته وهم يفسرون العقول بالملائكة فتكون الملائكة قديمة أزلية متولدة عن الله تعالى لازمة لذاته

". (١)

"

وهذا شر من قول القائلين بأن الملائكة بنات الله وهو موافقة للدهرية على العلة والمعلول لكن النزاع بينهم في حدوث العالم الجسماني لكنه في الجملة يبطل احتجاجهم على أن السماوات قديمة أزلية فهو قطع لنصف شرهم

وهذا الجواب مبنى أيضا على جواز التسلسل في الحوادث التي هي آثار والقول بجواز حوادث لا أول لها وهذا أحد قولي النظار وهو اختيار الأرموي وبه اعترض على الرازي في غير موضع وبه اعترض الأرموي على جواب الرازي عن حجة التأثير التي مبناها على أن التأثير الذي يدخل فيه الخلق والإبداع هل هو أمر وجودي أو أمر عدمي وهل الخلق هو المخلوق أو غير المخلوق

وفيها قولان مشهوران للناس والجمهور على أن الخلق ليس هو المخلوق وهو قول أكثر العلماء من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وهو قول أكثر أهل الكلام مثل طوائف من المعتزلة والمرجئة والشيعة وهو قول الكرامية وغيرهم وهو مذهب الصوفية ذكره صاحب التعرف في مذاهب التصوف المعروف بالكلاباذي وهو قول أكثر قدماء الفلاسفة وطائفة من متأخريهم

". (٢)

"

فيقال لكم التسلسل الممتنع هو التسلسل في العلل وفي تمامها وأما التسلسل في الشروط أوالآثار ففيه قولان للمسلمين وأنتم قائلون بجوازه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٣٣٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١/٣٣٨

فنقول إما أن يكون هذا التسلسل جائزا أو ممتنعا فإن كان ممتنعا امتنع تسلسل الحوادث ولزم أن يكون لها أول وبطل قولكم بحوادث لا أول لها وامتنع كون حركات الأفلاك أزلية وهذا يبطل قولكم

ثم نقول العالم لو كان أزليا فإما أن يكون لا يزال مشتملا على حوادث سواء قيل إنها حادثة في جسم أو عقل أو يقال بل كان في الأزل ليس فيه حادث كما يقال إنه كان جسم ساكنا فإن كان الأول لزم تسلسل الحوادث ونحن نتكلم على تقدير امتناع تسلسلها فبطل هذا التقدير وإن كانت الحوادث حدثت فيه بعد أن لم تكن لزم جواز صدور الحوادث عن قديم لم يتغير وهذا يبطل حجتكم ويوجب جواز حدوث الحوادث بلا حدوث سبب

وإن قلتم إن التسلسل في الآثار جائز وهو قولكم بطل استدلالكم بهذه الحجة على قدم شيء من العالم فإنها لا تدل على قدم شيء بعينه من العالم وإنما تدل على وجوب دوام كون الرب فاعلا

فيقال لكم حينئذ لم لا يجوز أن تكون الأفلاك أو كل ما يقدر موجودا في العالم أو كل ما يحدثه الله موقوفا على حادث بعد حادث ويكون مجموع العالم الموجود الآن كالشخص الواحد من الأشخاص الحادثة

فتبين أن احتجاجكم على مطلوبكم باطل سواء كان تسلسل الحوادث جائزا أو لم يكن بل إذا لم يكن جائزا بطلت الحجة وبطل المذهب المعروف عندكم

". (١)

"وهو أن حركات الأفلاك أزلية فإن هذا إنما يصح إذا كان تسلسل الحوادث جائزا فإذا كان تسلسلها ممتنعا لزم أن يكون لحركة الفلك أول وإن كان تسلسل الحوادث جائزا لم يكن في ذلك دلالة على قدم شيء من العالم لجواز أن يكون حدوث الأفلاك موقوفا على حوادث قبله وهلم جرا

فإن قلتم هذا يستلزم قيام الحوادث المتسلسلة بالقديم

كان الجواب من وجوه أحدها أن هذا هو قولكم وليس هذا ممتنعا عندكم فإن الفلك قديم أزلي عندكم مع أنه جسم تقوم به الحوادث

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٣٥٢

الثاني أنه يجوز أن تكون تلك الحوادث إذا امتنع قيامها بواجب الوجود قائمة بمحدث بعد محدث فإن كان صدور هذه الحوادث المتسلسلة عن الواجب القديم ممكنا بطلت حجتكم وإن كان ممتنعا بطل مذهبكم وحجتكم ايضا فإن قولكم إن الحوادث الفلكية المتسلسلة صادرة عن قديم أزلي

الثالث أنا نتكلم على تقدير إمكان تسلسل الحوادث وعلى هذا التقدير فلا بد من التزام أحد أمرين إما قيام الحوادث بالواجب وإما تسلسل الحوادث عنه بدون قيام حادث به

الرابع أن يقال قيام الحوادث بالقديم إما أن يكون ممتنعا وإما أن يكون ممكنا فإن كان ممتنعا لزم حدوث الأفلاك وهو المطلوب وإن كان جائزا بلطت هذه الحجة

". (١)

"

لكن ليس في هذا ما يقتضي صحة قولهم بقدم شيء من العالم بل هذا يقتضي حدوث كل ما سوى الله فإنه إذا كان جنس الفعل لم يزل لزم أنه لا تزال المفعولات تحدث شيئا بعد شيء وكل مفعول محدث مسبوق بعدم نفسه ولكن هؤلاء ظنوا أن المفعول يجب أن يقارن الفاعل في الزمان ويكون معه من غير أن يتقدم الفاعل على مفعوله بزمان

وهذا غلط بين لمن تصوره وهو معلوم الفساد بالعقل عند عامة العقلاء ولهذا لم يكن في العقلاء من قال إن السماوات والأرض قديمة **أزلية** إلا طائفة قليلة ولم يكن في العالم من قال إنها مفعولة وهي قديمة إلا شرذمة من هذه الطائفة الذين خالفوا صريح المعقول وصحيح المنقول

وقولهم بأن المؤثر التام الأزلي يستلزم أثره بهذا الإعتبار الذي زعموه أي يكون معه لا يتقدم المؤثر على أثره بالزمان يوجب أن لا يحدث في العالم شيء وهو خلاف المشاهدة فقد قالوا بما يخالف الحس والعقل وأخبار الأنبياء وهذه هي طرق العلم

وإذن كان الممتنع إنما هو جواز التسلسل في أصل التأثير والتسلسل المقارن مطلقا

وأما التسلسل في الآثار شيئا بعد شيء فهم مصرحون به معترفون بجوازه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٥٣/١

". (١)

"

وقدم العالم ليس لازما مستلزما لجواز التسلسل وإنما خصوا به المعتزلة ومن اتبعهم من الكلابية وغيرهم الذين وافقوهم على نفي الأفعال القائمة به أو نفي الصفات والأفعال فقالوا لهم أنتم قدرتم في الأزل ذاتا معطلة عن الفعل فيمتنع أن يحدث عنها شيء لأنه يستلزم الترجيح بلا مرجح

فالطريق الذي به ينقطع هؤلاء الفلاسفة أن يقال إن كان التسلسل في الآثار شيئا بعد شيء ممتنعا بطلت الحجة وإن كان جائزا أمكن أن يكون حدوث كل شيء من العالم مبنيا على حوادث قبله إما معان حادثه شيئا بعد شيء في غير ذات الله تعالى وإما أمور قائمة بذات الله تعالى كما يقوله أهل الحديث وأهل الإثبات الذين يقولون لم يزل متكلما إذا شاء فعالا لما يشاء وإما غير ذلك كما قاله الأرموي وغيره

وبالجملة فالتقديرات في تسلسل الحوادث متعددة ومهما قدر منها كان أسهل من القول بأن السماوات والأرض أزلية وأن الله لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وهؤلاء الفلاسفة إنما يبحثون بمجرد عقولهم فليس في العقل ما يوجب ترجيح قدم الأفلاك على سائر التقديرات ومن يقر بالسمع كمن يقر بالشرائع منهم فأي تقدير قدره كان أقرب إلى الشرع من قولهم بقدم الأفلاك

". (٢)

"

وأما المقدمة الثانية وهي الترجيح بلا مرجح فإنهم ألزموا بها القائلين بالحدوث بدون سبب حادث وهي لهم ألزم فإن الحوادث المتجددة تقتضي تجدد أسباب حادثة فالحدوث أمر ضروري على كل تقدير والذات القديمة المستلزمة لموجبها إن لم يتوقف حدوث الحوادث عنها على غيرها لزم مقارنة الحوادث لها في الأزل وهذا باطل بالضرورة والحس وإن توقف على غيرها فذلك الغير إن كان قديما أزليا كان معها فيلزم مقارنة الحوادث لها وإن كان حادثا فالقول في سبب حدوثه كالقول في غيره من الحوادث

فهؤلاء الفلاسفة أنكروا على المتكلمين نفاة الأفعال القائمة به أنهم أثبتوا حدوث الحوادث بدون سبب حادث مع كون الفاعل موصوفا بصفات الكمال وهم أثبتوا حدوث الحوادث كلها بدون سبب حادث

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٣٦٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١/٣٧٠

ولا ذات موصوفة بصفات الكمال بل حقيقة قولهم أن الحوادث تحدث بدون محدث فاعل إذ كانوا مصرحين بأن العلة التامة الأزلية يجب أن يقارنها معلولها فلا يبقى للحوادث فاعل أصلا لا هي ولا غيرها

فعلم أن قولهم أعظم تناقضا من قول المعتزلة ونحوهم وأن ما ذكروه من الحجة في قدم العالم هو على حدوثه أدل منه على قدمه باعتبار كل واحدة من مقدمتي حجتهم

". (١)

"تلامذته رأيته قد أبطل حجة هؤلاء المتفلسفة على قدم العالم بما يقرر ما ذكرته من إبطالها وكان ما أجاب به عن حجتهم أولى بدين المسلمين كما ذكره الأرموي مع أنه ينتصر للفلاسفة أكثر من غيره

فقال في فصل ذكر فيه ما يصح من مذاهب الحكماء وما لا يصح

قال ثم قالوا إن الواجب لذاته يجب أن يكون واجبا من جميع جهاته أي يجب أن تكون جميع صفاته لازمة لذاته لأن ذاته إما أن تكون كافية فيما له من الصفات وجودية كانت أو عدمية أو لا تكون والثاني باطل وإلا لتوقف شيء من صفاته على غيره وذاته متوقفة على وجود تلك الصفة أو عدمها فذاته تتوقف على غيره وهو محال

قال وهذا ضعيف لأنا نقول لا نسلم أن ذاته تتوقف على وجود تلك الصفة أو عدمها بل ذاته تستلزم وجود تلك الصفة أو عدمها ولا يلزم من ذلك توقف ذاته إما على وجودها أو عدمها

قال ثم قالوا إن الباري تعالى يستلزم جملة ما يتوقف عليه وجود العالم فيلزم من دوامه أزلية العالم وهو ممتنع لإحتمال أن يكون له إرادات حادثة كل واحدة منها تستند إلى الأخرى ثم تنتهي في جانب النزول إلى إرادة تقتضي حدوث العالم فلزم حدوثه

". (٢)

"

قلت فهذا الجواب خير من الذي ذكره الأرموي وذكر أنه باهر والأرموي نقله من المطالب العالية للرازي فإنه ذكره وقال إنه هو الجواب الباهر ووافقه عليه القشيري المصري فهذا أصح في الشرع والعقل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٧١/١

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٧٨/١

وأما الشرع فإن هذا فيه قول بحدوث كل ما سوى الله وذلك القول فيه إثبات عقول ونفوس أزلية مع الله تعالى والفرق بين القولين معلوم عند أهل الملل والشرائع

وأما العقل فإن قول الأرموي فيه إثبات أمور ممكنة يحدث فيها حوادث متعاقبة من غير أمر يتجدد من الواجب وهذا يقتضي حدوث الحوادث بلا محدث فإن الواجب بنفسه إذا كان علة تامة مستلزمة لمعلولها لم يجز تأخر شيء من معلوله عنه بخلاف ما ذكره الأبهري فإنه ليس فيه إلا أن الواجب مستلزم لأثاره شيئا بعد شيء وهذا متفق عليه بينهم فإنه ليس فيه إلا تسلسل الآثار والأبهري

". (١)

"

وإذا طلب الفرق بينهما قيل أحواله من مقتضيات ذاته الواجبة الوجود بنفسه التي لا يتوقف شيء من أحوالها على أمر مستغن عنها ولا يحتاج إليه وإذا كان واجبا بنفسه فما كان من لوازمه كان أيضا واجبا لا يمكن عدمه بخلاف الممكن الذي ليس له من نفسه وجود

فإنه إذا قيل اختلف فعل الفاعل وتأخر لاختلاف القابل وحدوثه

قيل فهو أيضا الفاعل للقابل المختلف الحادث فكيف تصدر المختلفات الحادثات عن فاعل لا اختلاف في فعله ولا حدوث لشيء من أفعاله

والأبهري قد أبطل حجة المعتزلة والأشعرية ونحوهم على حدوث الأجسام وأراد أن يعتذر عن الفلاسفة فقال

فصل في ذكر الطرائق التي سلكها الإمام يعنى أبا عبدالله الرازي في كتبه لتقرير مذاهب المتكلمين وكيفية الإعتراض عليها

أما الطريقة التي سلكها لحدوث العالم فمن وجهين أحدهما أن العالم ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو حادث لأن تأثير المؤثر فيه إما أن يكون حال الوجود أو حال العدم أو لا حال الوجود ولا حال العدم والأول باطل لأن التأثير حال الوجود يكون إيجادا للموجود وتحصيلا للحاصل وهو محال والثاني محال لأن التأثير حال العدم يكون جمعا بين الوجود والعدم وهو محال فيلزم أن يكون لا حال الوجود ولا حال العدم فيكون حال الحدوث فكل ما له مؤثر فهو حادث

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٣٧٩

الثاني أن الأجسام لو كانت أزلية فإما أن تكون متحركة في الأزل أو ساكنة والقسمان باطلان
أما الأول فلوجوه

". (١)

"الأجسام إما أن تكون بسيطة أو مركبة فإن كانت بسيطة فيصح على أحد جوانبها ما يصح على الآخر فيصح أن يصير يمينها يسارا ويسارها يمينا فيصح عليها الحركة وإن كانت مركبة كانت مجتمعة من البسائط فكانت بسائطها قابلة للإجتماع والإفتراق وكانت قابلة للحركة هذا خلف

قال الأبهري الإعتراض قوله بأن التأثير في الممكن إما أن يكون حالة الوجود أو حالة العدم أو لا حالة الوجود ولا حالة العدم

قلنا لم لا يجوز أن يكون حال الوجود وقوله التأثير حال الوجود إيجاد الموجود وتحصيل الحاصل

قلنا لا نسلم وإنما يكون كذلك أن لو أعطى الفاعل وجودا ثانيا وليس كذلك فإن التأثير عبارة عن كون الأثر موجودا بوجود المؤثر وجاز أن يكون الأثر موجودا دائما لوجود المؤثر والذي يدل على حصول التأثير حالة الوجود أنه لو لم يكن كذلك لكان التأثير حالة العدم لاستحالة الواسطة بين الوجود والعدم والثاني كاذب لأن التأثير حالة العدم يقتضي الجمع بين الوجود والعدم وهو محال

قال أما قوله الأجسام لو كانت أزلية فإما أن تكون متحركة أو ساكنة في الأزل

قلنا لم لا يجوز أن تكون متحركة

قوله يلزم الجمع بين المسبوقية بالغير وعدم المسبوقية بالغير في شيء واحد

قلنا لا نسلم وهذا لأن المسبوق بالغير هو الحركة وغير المسبوق بالغير هو الجسم

". (٢)

"

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨٥/١

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨٧/١

فإن قال إذا كانت الحركة أزلية كانت الحركة من حيث هي هي غير مسبوقة بالغير لكن الحركة من حيث هي هي مسبوقة بغير لأنها تغير وانتقال فتقتضي المسبوقية بالغير فيلزم الجمع بين المسبوقية بالغير وعدم المسبوقية بالغير في الحركة

قلنا إذا ادعيتم ذلك فنقول لا نسلم أن الجسم لو كان أزليا لكانت الحركة من حيث هي هي حركة أزلية ولم لا يجوز أن يكون الجسم أزليا ويصدق عليه أنه متحرك دائما بأن تتعاقب عليه الحركات المعينة ولا يصدق على الحركات الموجودة في الأعيان أنها أزلية ضرورة اتصاف كل واحد منها بكونها مسبوقة بالغير

قلت هذا مضمونه ما نبه عليه في غير هذا الموضع أن حدوث كل من الأعيان لا يستلزم حدوث النوع الذي لم يزل ولا يزال

وأما قوله لو كانت الأجسام متحركة لكانت لا تخلو عن الحوادث قلنا نعم ولكن لم قلتم بأن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث

قوله لو لم يكن كذلك لكان الحادث أزليا

قلنا لا نسلم وإنما يلزم ذلك لو كان شيء من الحركات بعينها لازما للجسم وليس كذلك بل قبل كل حركة حركة لا إلى أول إلى ما لا نهاية

قلت هذا من نمط الذي قبله فإن الأزلي اللازم هو نوع الحادث لا عين الحادث

". (١)

"إيجابه منه لأنه علة تامة يجب اقتران معلولها بها في الأزل فذلك التمام إن كان قديما لزم كون معلول المعلول قديما وهلم جرا وإن كان حادثا حدث عن العلة التامة الأزلية حادث بدون سبب حادث وهذا ينقض قولهم بامتناع حادث بلا سبب

فأنتم بين أمرين أيهما قلتموه بطل قولكم إن قلتم إنه علة تامة في الأزل لزم أن لا يتأخر عنه معلوله وإن قلتم ليس بعلة تامة لزم أن يحدث تمام كونه علة بدون سبب حادث فيلزمكم جواز حدوث الحوادث بلا سبب وإيهما كان بطل قولكم فإنه إذا بطل كونه علة تامة في الأزل امتنع قدم شيء من العالم وإن جاز حدوث الحوادث بلا سبب حادث بطلت حجتكم وجاز حدوث كل ما سواه

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٣٨٨

وإذا قلتم هو علة تامة للفلك دون حركاته

قيل لكم هو علة للفلك ولحركاته المتعاقبة شيئا بعد شيء فهل كان علة تامة لهذه الحركات في الأزل أم حدث تمام كونه علة لها شيئا بعد شيء

فإن قلتم هو علة تامة في الأزل لزمكم إما مقارنتها كلها له في الأزل وإما تخلف المعلول عن علته التامة وكلاهما يبطل قولكم

وإن قلتم حدث تمام كونه علة لحركة حركة منها

قيل لكم فحدوث التمام قد حدث عندكم بدون سبب حادث وذلك يستلزم حدوث الحوادث بلا سبب وهذا أمر بين لمن تصوره تصورا تاما ليس لهم حيلة في دفعه

". (١)

"وما لا يكون ابدا لو كان كيف كان يكون والخلق لا يصلون الى هذه الأشياء إلا بتعريف

وقال أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني الشافعي في كتابه المعروف بالحجة على تارك المحجة أجمع المسلمون على أن القرآن كلام الله وإذا صح أنه كلام الله صح أنه صفة الله تعالى وأنه موصوف به وهذه الصفة لازمة لذاته تقول العرب زيد متكلم فالكلام صفه له لا نعرف إلا ان حقيقة هذه الصفة الكلام كان كذلك كان القرآن كلام الله وكانت هذه الصفه لازمه له **أزلية** والدليل على ان الكلام لا يفارق المتكلم أنه لو كان مفارقه لم يكن للمتكلم الا كلمة واحدة فإذا تكلم بها لم يبق له كلام فلما كان المتكلم قادرا على كلمات كثيرة كلمة بعد كلمة دل على أن تلك الكلمات فروع لكلامه الذي هو صفة له ملازمة

قال والدليل على أن القرآن غير مخلوق أنه كلام الله وكلام الله سبب الى خلق الأشياء قا الله تعالى ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ سورة النحل ٤٠ أي أردنا خلقه وايجاده وإظهاره فقوله كن كلام الله وصفته والصفة التي منها يتفرع

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٠٥/١

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٩٤/٢

"بالضرورة وانما ألجأ اليها القائلين بها ما تقدم من الأصول التي استلزمت هذه المحاذير واذا انتفى اللازم انتفى الملزوم

وكذلك من قال لا يتكلم الا بأصوات قديمة أزلية ليست متعاقبة وهو لا يقدر على التكلم بها ولا له في ذلك مشيئة ولا فعل من أهل الحديث والفقهاء والكلام المنتسبين الى السنة فجمهور العقلاء يقولون ان قول هؤلاء ايضا معلوم الفساد بالضرورة وانما ألجأهم الى ذلك اعتقادهم أن الكلام لا يتعلق بمشيئة المتكلم وقدرته مع علمهم بأن الكلام يتضمن حروفا منظومة وصوتا مسموعا من المتكلم

وأما من قال ان الصوت المسوع من القاريء قديم أو يسمع منه صوت قديم ومحدث فهذا أظهر فسادا من أن يحتاج الى الكلام عليه وكلام السلف والأئمة والعلماء في هذا الأصل كثير منتشر ليس هذا موضع استقصائه

وأما دلالة الكتاب والسنة على هذا الأصل فأكثر من أن تحصر وقد ذكر منها الامام احمد وغيره من العلماء في الرد على الجهمية ما جمعوه كما ذكر منها الخلال في كتاب السنة قال أخبرنا المروزي قال هذا ما جمعه واحتج به أبو عبد الله على الجهمية من القرآن وكتبه بخطه وكتبته من كتابه فذكر المروزي آيات كثيرة دون ما ذكر الخضر بن أحمد عن عبد الله بن أحمد وقال فيه سمعت

". (١)

"فعل من الأفعال لا خلق للعالم ولا استواء ولا غير ذلك فإنه لو قام به فعل أو صفة لكان موصوفا محلا للأعراض ولو قام به فعل يتعلق بمشيئته للزم تعاقب الأفعال ودوام الحوادث وإذا جاوزوا دوام النوع الحادث أو قدمه بطل ما به احتجوا على ما ظنوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر به

وهم مخطئون في المنقول والمعقول

أما المنقول فإن الرسول لم يخبر قط بقدم ذات مجردة عن الصفات والأفعال بل النصوص الإلهية متظاهرة باتصاف الرب بالصفات والأفعال وهذا معلوم بالضرورة لمن سمع الكتاب والسنة وهم يسلمون أن هذا هو الذي يظهر من النصوص ولكن أخبر عن الله بأسمائه الحسنى وآياته المثبتة لصفاته وأفعاله وأنه ﴿ خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ سورة الفرقان ٥٩

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/١١٥

فمن قال أن الأفلاك قديمة أزلية فقوله مناقض لقول الرسول صلى الله عليه وسلم بلا ريب كما أن من قال إن الرب تعالى لا علم له ولا قدرة ولا كلام ولا فعل فقوله مناقض لقول الرسول وليس مع وأحد منهما عقل صريح يدل على قوله بل العقل الصريح مناقض لقوله كما قد بين في موضعه من وجوه كثيرة مثل ما يقال إن العقل الصريح يعلم أن إثبات عالم بلا علم وقادر بلا قدرة ممتنع كإثبات

". (١)

"المتقدمين والقائلون بالحدوث قالوا أنه لا يحتاج إلى هذا التمحل وسموه على طريق المجادلة باسم التمحل للتشنيع والتسفيه بل نقول بأن المبدأ المعيد خلق العالم وأحدثه بإرادة قديمة أزلية أراد بها في القدم إحداث العالم حتى أحدثه

وقال وقيل في جوابهم أن ذلك المبدأ لا يتغير ويتخصص في القدم إلا بمعقول يجعله مقصودا في العلم القديم عند الإرادة القديمة حيث أرادوه في مدة العدم السابق لحدوث العالم التي هي مدة غير متناهية البداية وما لا يعقل ولا يتصور لا يعلم وما لا يمكن أن يعلم لا يعلمه عالم لا لأن الله لا يقدر على علمه لكن لأنه في نفس غير مقدور عليه ثم ما الذي يقولونه في حوادث العالم من مشيئة الله وإرادته التي بها يقبل الدعاء من الداعي ويحسن إلى المحسن ويسيء إلى المسيء ويقبل توبة التائب ويغفر للمستغفر هل يكون ذلك عنه أو لا يكون فإن قالوا بأنه لا يكون أبطلوا بذلك

". (٢)

"حادثا والا كانت ذاته قبل اتصافه بتلك الصفة خالية عن صفة الكمال والخالي عن الكمال الذي هو ممكن الإتصاف به ناقص والنقص على الله محال بإجماع الأمة وإن لم يكن صفة كمال استحال اتصاف الباري بها لأن إجماع الأمة على أن صفات الله بأسرها صفات كمال فإثبات صفة لا من صفات الكمال خرق للإجماع وإنه غير جائز

قال وهذا ما نعول عليه وإنه مركب من السمع والعقل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/١٥٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢/١٧١

قال والذي عول عليه أصحابنا أنه لو صح اتصافه بالحوادث لوجب اتصافه بالحوادث أو بأضدادها في الأزل وذلك يوجب اتصافه بالحوادث في الأزل وإنه محال

وقال وهذه الدلالة مبينة على أن القابل للضدين يستحيل خلوه عنهما وقد عرفت فساده

قال ومن أصحابنا من أورد هذه الدلالة على وجه لا يحتاج في تقريرها إلى البناء على ذلك الأصل وهو أنه لو كان قابلا للحوادث لكان قابلا لها في الأزل وكون الشيء قابلا للشيء فرع عن إمكان وجود المقبول فيلزم صحة حدوث الحوادث في الأزل وهو محال

قال إلا أن ذلك معارض بأن الله قادر في الأزل ولا يلزم من أزلية قادريته صحة أزلية المقدور فكذلك هاهنا

". (١)

"

والطوائف أيضا متنازعة في هذا الأصل وجمهور الفلاسفة وجمهور أهل الحديث لا يمنعون ذلك وأما أهل الكلام فللمعتزلة فيه قولان وللأشعرية فيه قولان

وأما الحجة الثانية وهي أنه لو كان قابلا لها لكان قابلا لها في الأزل وذلك فرع إمكان وجودها ووجودها في الأزل محال فقد أجاب عنها بالمعارضة بأنه قادر على الحوادث ولا يلزم من كون القدرة أزلية أن يكون إمكان المقدور أزليا

قلت ويمكن أن يجاب عنها بوجوه أخرى

أحدها أنه لا يسلم أنه اذا كان قابلا لحدوث الحادث أن يكون قابلا له في الأزل الا اذا أمكن وجود ذلك في الأزل فإنه اذا قيل هو قابل لما يمتنع أن يكون أزليا كان بمنزلة أن يقال هوقادر على ما يمتنع أن يكون أزليا فمن اعتقد امتناع حدوث حادث في الأزل وقال مع ذلك بأنه قادر على الحوادث وقابل لها لم يلزمه القول بإمكان وجود المقدور المقبول في الأزل لكن هذا المقام هو مقام الذين يقولون يمتنع حدوث الحوادث بلا سبب حادث والكلام في هذا مشترك بين كونه قادرا وقابلا فمن جوز حدوث الحوادث بلا سبب حادث كالكلابية وامثالهم من المعتزلة والكرامية كان كلامه في هذا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٧٥/٢

(١) ".

"لوازمها وأزلية القابلية توجب صحة وجود المقبول أزلا لأن قابلية الشيء للغير نسبة بينهما والنسبة بين الشيئين موقوفة عليهما لكن وجود الحوادث في الأزل محال ولا يلزم علينا القدرة الأزلية لأن تقدم القدرة على المقدور واجب دون تقدم القابل على المقبول

قال الأرموي ولقائل أن يقول ما ذكرتم بتقدير التسليم يقتضي أزلية صحة وجود الحوادث لا صحة أزلية وجود الحوادث وقد عرفت الفرق بينهما في مسألة الحدوث والفرق المذكور إن صح الفرق مع أن الدليل المذكور ينفيه لزم بطلان الدليل

قلت فقد ذكر الأرموي في بطلان هذا الدليل ثلاثة أوجه أحدهما الفرق بين صحة أزلية الحدوث وأزلية صحة الحدوث وسيأتي إن شاء الله الكلام فيه وبيان أنه فرق فاسد لكن يقال إن صح فهذا الفرق بطل الدليل وإن لم يصح لزم إمكان الحوادث في الأزل ولزم إمكان وجود المقدور والمقبول في الأزل وكلاهما يبطل

(٢) ".

"الدليل أو يقال ما كان جوابا لكم عن المقدور كان جوابا لنا عن المقبول أو يقال إن صح هذا الفرق بطل الدليل وإن لم يصح هذا الفرق فاللازم أحد أمرين إما إمكان دوام الحوادث وإما امتناع دوامها فإن كان اللازم هو الأول لزم إمكان وجود جنس الحوادث المقبولة في الأزل وبطل الدليل وأن كان اللازم هو الثاني كان وجودها في الأزل ممتنعا وحينئذ فإذا جاز أن يقال هو قادر عليها مع امتناع وجود المقدور أمكن أن يقال هو قابل لها مع امتناع وجود المقبول

وقول الأرموي والفرق المذكور إن صح أغنى عن الدليل السابق والا بقي النقص قد يقال أراد به الفرق بين أزلية الصحة وصحة الأزلية وقد يقال عني به الفرق بين القادر والقابل فإن أراد الأول كان معنى كلامه إن صح الفرق أمكن أن يكون قابلا لها في الأزل وتكون صحتها أزلية أي لم تزل ممكنة صحيحة مع امتناع صحة أزلية الحوادث كما يقولون إذ لم تزل الحوادث ممكنة صحيحة جائزة مع امتناع كون

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/١٨١

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢/٢١٢

الحادث أزليا ويقولون صحة الجواز وإمكانها أزلي لامتناع انقلابها من الإمتناع إلى الإمكان من غير سبب حادث مع امتناع وجودها في الأزل وامتناع صحة أزليتها

وهذا الفرق ذكره الغزالي في تهافت الفلاسفة والرازي وغيرهما في جواب من قال بإن إمكان وجود المقدورات لا أصل له فقالوا نحن نقول إمكان الحوادث لا بداية لها ونقول الشيء المعين بشرط كونه

(١) ".

"الأزلية وأزلية الصحة كان معنى كلامه إن صح هذا الفرق بطل الدليل فإنه يقول في الحوادث المقبولة ما يقال في الحوادث المنفصلة من الفرق بين صحة أزليتها وأزلية صحتها لكن لو أراد بالفرق هذا لم يستقم قوله إن هذا الفرق إن صح أغنى عن الدليل السابق بل هذا الفرق إن صح بطل الدليل المذكور فهذا يرجح أنه أراد بالفرق بين القادر والقابل فيكون قد ذكر ثلاثة أجوبة نقول إن صح الفرق بينهما بأن القابل يستلزم وجود المقبول في الأزل دون القادر فهذا الفرق يغني عن الدليل وإن صح هذا الفرق انتقض الدليل بالقادر

الوجه الثاني أنه إن صح الفرق بين المقدور والمقبول بأن المقدور يجب تأخره عن القدرة والمقبول بأن المقدور يجب تأخره عن القدرة والمقبول لا يجب ذلك فيه كان هذا وحده دليلا على وجوب حصول الحادث في الأزل اذا كان قابلا له وحينئذ فلا حاجة إلى أن يستدل على ذلك بما ذكره من النسبة إن كان الفرق صحيحا وإن لم يكن صحيحا صح النقض به

الثالث إن الدليل المذكور يوجب المقدور في الأزل لأن القادرية على الشيئين نسبة بينهما والنسبة بين الشيئين متوقفة عليهما فإن صح الفرق بين المقدور والمقبول مع أن الدليل يتناولهما جميعا وينفي

(٢) ".

"والبصر صفات حادثة ولا بد لها من محل وهو ذاته تعالى ولأنه يصح قيام الصفات القديمة بذاته تعالى باتفاق منا ومن الأشعرية والقدم لا يعتبر في المقتضى فإنه عبارة عن نفس الأزلية وهو عدمى فالمقتضى هو كونها صفات والحوادث كذلك فليلزم قيامها به

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/٢١٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢/٢١٥

قال والجواب عن الأول بالجواب عن أدلة حدوث تلك الصفات وعن الثاني بأن تلك الصفات قد تكون مخالفة لهذه بالنوع سلمنا أنه لا فارق سوى القدم فلم قلتم إنه عدمي فإنه عبارة عن نفي العدم ونفي النفي ثبوت

قلت ليس بالمقصود هنا ذكر أدلة المثبتة فإن النصوص تدل على ذلك في مواضع لا تكاد تحصى الا بكلفة وانما الغرض بيان هل في العقل ما يعارض النصوص ومن أراد تقرير ما احتجوا به من الدليل العقلي على الإثبات قدح فيما يذكره النفاة من امتناع حدوث تلك الأمور

". (١)

"عند من يقول الخلق غير المخلوق وهم الأكثرون فلا يقولون إن الخلق مخلوق ومن قال بتجدد ما يقوم به من الأفعال أو الارادات أو الادراكات لم يقل إن ذلك مخلوق فإنه اذا كان ثم خلق وخالق ومخلوق لم يكن الخلق داخلا في المخلوق

ولهذا كان من يقول ان كلام الله قائم بذاته متفقين على أن كلام الله غير مخلوق ثم هم بعد هذا متنازعون على عدة اقوال هل يقال إنه معنى واحد أو خمسة معان لم تزل قديمة كما يقوله ابن كلاب والأشعري

أو أنه حروف وأصوات قديمة أزلية لم تزل قديمة كما يذكر عن ابن سالم وطائفة

أو يقال بل هو حروف وأصوات حادثة في ذاته بعد أن لم يكن متكلما كما يقوله ابن كرام وطائفة

أو يقال إنه لم يزل متكلما اذا شاء وإنه اذا شاء تكلم بصوت يسمع وتكلم بالحروف كما يذكر ذلك عن أهل الحديث والأئمة

والمقصود هنا أن ما قام بذاته لا يسميه أحد منهم مخلوقا سواء كان حادثا أو قديما

وبهذا يظهر احتجاج عبد العزيز على بشر فإن بشرا من أئمة الجهمية نفاة الصفات وعنده لم يقم بذات الله تعالى صفة ولا فعل

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/٢١٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢/٢٥٥

"

فإن قيل فما الفرق بين هذا التسلسل وبين التسلسل في تمام تأثير معين بعد معين

قيل الفرق بينها من وجوه

أحدها أن هؤلاء قد قالوا إنه مؤثر تام في الأزل والمؤثر التام مستلزم أثره معه فيلزمكم أن لا يحدث عنه شيء بل تكون جميع الممكنات قديمة أزلية وهذا باطل بالحس والمشاهدة

فادعوا امرين باطلين احدها انه كان مؤثر تاما في الأزل وأن المؤثر التام يكون أثره معه في الزمان حتى يكون الأثر مقارنا للمؤثر في الزمان

فإن قيل إنه يتقدم عليه بالعلية وهذا بخلاف قول من قال لم يزل مؤثرا في شيء بعد شيء فهذا لم يقل إنه كان مؤثرا في الأزل في شيء قط ولم يكن مؤثرا تاما في الأزل قط

الثاني أنهم إن قالوا إن الأثر يجب أن يقارنه أثره في الزمان لزم أن لا يحدث شيء وإن قالوا بل الأثر يكون عقب المؤثر في الزمان لزم أن لا يكون معه قديم وحينئذ فمن قال بهذا قال إنه لم يزل مؤثرا في شيء بعد شيء وكل ما سواه حادث مسبوق بالعدم

الثالث أن هؤلاء يقولون كل حادث معين لا بد أن يحدث تمام تأثيره فيكون هو حادثا عقب تمام التأثير فأي شيء كونه الله كان عقب

". (١)

"وهذا قول من وافقهم من القرامطة الباطنية ونحوهم ممن يتظاهر بالإسلام ويبطن مذهب الصابئة والمجوس ونحو ذلك وهو قول طوائف من ملاحدة الصوفية كأصحاب وحدة الوجود ونحوهم الذين أخذوا دين الصابئة والفراعنة والدهرية فأخرجوه في قالب المكاشفات والولاية والتحقيق

والذين قالوا ليس هو مخلوق ظن فريق منهم أنه لا يقابل المخلوق إلا القديم اللازم للذات الذي ثبوته بدون مشيئة الرب وقدرته كثبوت الذات فقالوا ذلك

ثم طائفة رأت أن الحروف والأصوات يمتنع أن تكون كذلك فقالت كلامه هو مجرد معنى واحد هو الأمر والنهي والخبر وأنه إن عبر عن ذلك المعنى بالعبرية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا وان

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/٢٨٥

عبر عنه بالعربية كان قرآنا فلزمهم أن تكون معاني القرآن هي معاني التوراة والإنجيل وان يكون الأمر هو النهي وهو الخبر وان تكون هذه صفات له لا أنواعا له ونحو ذلك مما يعلم فساده بصريح العقل

وطائفة قالت بل هو حروف وأصوات قديمة أزلية لا تتعلق بمشيئته وقدرته كما قال الذين من قبلهم واتفق الفريقان على أن تكليم الله لملائكته وتكليمه موسى وتكليمه لعباده يوم القيامة ومناداته لمن ناداه ونحو ذلك إنما هو خلق إدراك في

". (١)

"مفتتح ومختتم وأنه معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم دالة على صدقة وأن الأشعرية تفرق بين اللفظ والمعنى وتثبت معنى هو مدلول اللفظ ثم قال السلف والحنابلة قد تقرر الاتفاق على أن ما بين الدفتين كلام الله وأن ما نقرؤه ونكتبه ونسمعه عين كلام الله فيجب أن تكون تلك الكلمات والحروف هي بعينها كلام الله ولما تقرر الاتفاق على أن كلام الله غير مخلوق فيجب أن تكون تلك الكلمات أزلية غير مخلوقة

ولقد كان الأمر في أول الزمان على قولين أحدهما القدم والثاني الحدوث والقولان مقصوران على الكلمات المكتوبة والآيات المقروءة بالألسن فصار الآن قول ثالث وهو حدوث الحروف والكلمات وقدم الكلام والأمر الذي تدل عليه العبارات وقدحتم قدحا ليس منها وهو خلاف القولين فكانت السلف على اثبات القدم والأزلية لهذه

". (٢)

"الفعل وقبليته قبلية أزلية إذ لو كان له أول لكان فعلا سبقه قول آخر ويتسلسل

قال وحققوا زيادة تحقيق فقالوا قد ورد في التنزيل اظهر مما ذكرناه من الأمر وهو التعرض لإثبات كلمات الله حيث قال تعالى ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته ﴾ سورة الأنعام ١١٥ وقال ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ سورة يونس ١٩ وقال تعالى ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ﴾ سورة الكهف ١٠٩ وقال تعالى ﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ سورة لقمان ٢٧ وقال تعالى ﴿

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/٣٠٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢/٣١٦

ولكن حق القول مني ﴾ سورة السجدة ١٣ وقال ﴿ ولكن حقت كلمة العذاب ﴾ سورة الزمر ٧١ فتارة يجيء الكلام بلفظ الأمر وتثبت له الوحدة الخالقية التي لا كثرة فيها ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ سورة القمر ٥٠ وتارة يجيء بلفظ الكلمات وتثبت لها الكثرة البالغ التي لا وحدة فيها ولا نهاية لها ﴿ ما نفدت كلمات الله ﴾ فله تعالى إذا أمر واحد وكلمات كثيرة وذلك لا يتصور الا بحروف

". (١)

"فعن هذا قلنا أمره قديم وكلماته **أزلية** والكلمات مظاهر الأمر والروحانيات مظاهر الكلمات والأجسام مظاهر الروحانيات والإبداع والخلق إنما يبتدي من الأرواح والأجسام وأما الكلمات والحروف والأمر **فأزلية** قديمة وكما أن أمره لا يشبه أمرنا فكلماته وحروف كلماته لا تشبه كلامنا وهي حروف قدسية علوية وكما أن الحروف بسائط الكلمات والكلمات اسباب الروحانيات والروحانيات مدبرات الجسمانيات وكل الكون قائم بكلمات الله محفوظ بأمر الله

قال ولا يغفلن عاقل عن مذهب السلف وظهور القول في حدوث الحروف فإن له شأنا وهم يسلمون الفرق بين القراءة والمقروء والكتابة والمكتوب ويحكمون بأن القراءة التي هي

". (٢)

"يزل متكلما وأنه مع ذلك حروف وأصوات وأن هذه الحروف الكثيرة لم يزل الله متكلما بها

قلت فبعض هذا القول الذي ذكره الشهرستاني عن السلف منقول بعينه عن السلف مثل إنكارهم على من زعم أن الله خلق الحروف وعلى من زعم أن الله لا يتكلم بصوت ومثل تفريقهم بين صوت القارىء وبين الصوت الذي يسمع من الله ونحو ذلك فهذا كله موجود عن السلف والأئمة وبعض ما ذكره من هذا القول ليس هو معروفا عن السلف والأئمة مثل إثبات القدم **والأزلية** لعين اللفظ المؤلف المعين ولكن القول الذي أطبقوا عليه هو أن كلام الله غير مخلوق ولكن الناس تنازعوا في مرادهم بذلك والنزاع في ذلك موجود في عامة الطوائف من أصحاب أحمد وغيرهم كما هو مبسوط في غير هذا الموضع

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣١٩/٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٢٠/٢

والنزاع في ذلك مبني على هذا الأصل وهو كون قوله مع أنه غير مخلوق ومع أنه قائم به ومع أنه لم يزل متكلما هل يتعلق بقدرته ومشيئته أم لا فهذا القول السابع لم يذكره الشهرستاني ونحوه إذ الأقوال المعروفة للناس في مسألة الكلام سبعة أقوال

". (١)

"واحتج على انتفاء ذلك بستة أوجه

الأول أن ماهية الحركة تقتضي المسبوقية بالغير وماهية الأزل تنفيها فامتنعت أزلية الحركة

فعارضه أبو الثناء الأرموي بأنه لقائل أن يقول كون ماهية الحركة مركبة من جزء سابق وجزء لاحق لا ينافي دوامها في ضمن أفرادها المتعاقبة لا إلى أول وهو المعنى بكونها أزلية

قلت ونكتة هذا الاعتراض أي يقال إن المستدل قال ماهية الحركة تقتضي أن تكون مسبوقة بالغير فهل المراد بالغير أن تكون الحركة مسبوقة بما ليس بحركة أو أن يكون بعض أجزائها سابقا لبعض أما الأول فباطل وهو الذي يشعر به قوله ماهية الحركة

". (٢)

"الجزئية أزليا بل كل واحدة منها حادثة وإنما القديم الحركة الكلية بتعاقب الأفراد الجزئية وهي ليست مسبوقة بغيرها فلم يلزم أن يكون لكل الحركات الجزئية أول

قلت قول المستدل إن حصل شيء من الحركات في الأزل ولم يكن مسبوقا بغيرها فلها أول يريد به ليس مسبوقا بحركة أخرى فإن الحركة المعينة التي لم تسبقها حركة أخرى تكون لها ابتداء فلا تكون أزلية إذ الأزلي لا يكون إلا الجنس أما الحركة المعينة إذا قدرت غير مسبوقة بحركة كانت حادثة كما أنها إذا كانت مسبوقة كانت حادثة ولم يرد بقوله إن حصل شيء من الحركات في الأزل ولم يكن مسبوقا بغيره فلها أول أي لم يكن مسبوقا بغير الحركات فإن ما كان في الأزل ولم يكن مسبوقا بغيره لا يكون له أول فلو أراد بالغير غير الحركات لكان الكلام متهافتا فإن ما كان أزليا لا يكون مسبوقا بغيره فالجنس عند المنازع أزلي وليس مسبوقا بغيره والواحد من الجنس ليس بأزلي وهو مسبوق بغيره وما قدر أزليا لم يكن مسبوقا بغيره

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٢٣/٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٤٥/٢

سواء كان جنسا أو شخصا لكن إذا قدر أزليا وليس مسبوقا بغيره فكيف يكون له أول ولكن إذا قدر مسبوقا بالغير كان له أول فالمسبوق بغيره هو الذي له أول وأما ما ليس مسبوقا بغيره فكيف يكون له أول

". (١)

"وطائفة قالت بثبوت جسم قديم ثم هؤلاء منهم من قال لم يزل فاعلا متحركا ومنهم من قال بل تجدد له الفعل والحركة فإذا احتج الاولون على هؤلاء بأن الجسم لو كان أزليا لم يخل من الحركة والسكون والحركة لا تكون أزلية لامتناع دوام الحوادث وتسلسلها والسكون لا يكون أزليا لأنه وجودي فلو كان أزليا لامتنع زواله لأن الوجودي الأزلي يمتنع زواله لأن المقتضى له إما موجب بنفسه أو لازم للموجب بنفسه ثم نقول والسكون يجوز زواله فلا يكون أزليا

أجابوهم عن جواز دوام الحوادث بأجوبتهم المعروفة كما تقدم التنبيه على ذلك وأجابوهم عن السكون الزلي بأن قالوا ما ذكرتموه يناقض ما ذكرتموه في حدوث الأجسام وذلك أنكم إذا قلتم بحدوثها فلا يخلو إما ان تقولوا بجواز تسلسل الحوادث واما أن لا تقولوا بجواز ذلك

فإن قلتم بجواز تسلسل الحوادث وان الأجسام حدثت بشرط حوادث متعاقبة كما قال ذلك من قاله من القائلين بحدوث الأجسام كالأرموي والأبهري وغيرهما قالوا لهم فإذا جوزتم تسلسل الحوادث بطل دليلكم على امتناع التسلسل في الآثار أمكن حينئذ أن يكون الجسم القديم لم يزل متحركا فبطل دليلكم على حدوث الجسم

وان قلتم لا يجوز تسلسل الحوادث والآثار وقلتم بحدوث

". (٢)

"

قيل أولا ليس الكلام في حدوث الفلك بعينه بل في حدوث كل جسم فإذا قدر جسم أزلي ساكن غير الفلك لم يكن فيما ذكره ولا في حركة الفلك دليل على حدوثه لا سيما عند من يقول القديم الأزلي الخالق جسم لم يزل ساكنا كما يقوله كثير من النظار من الهشامية والكرامية وغيرهم

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٥٠/٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨٥/٢

وقيل ثانيا الفلك وإن كان متحركا فحيزه واحد لم يخرج عن ذلك الحيز وحركته وضعية ليست حركة مكانية تتضمن نقله من حيز إلى حيز وحينئذ فقوله وقد ثبت جواز الحركة إن أراد به الحركة المكانية كان ممنوعا وإن أراد غيرها كالحركة الوضعية لم يلزم من ذلك جواز انتقاله من هذا الحيز إلى غيره

وقد سبق الآمدي إلى هذا الاعتراض فإنه قال في الاعتراض على المقدمة الأولى الأزل ليس هو عبارة عن زمان مخصوص ووقت مقدر حتى يقال بحصول الجسم في الحيز فيه بل الأزل لا معنى له غير كون الشيء لا أول له والأزل على هذا يكون صادقا على ذلك الشيء في كل وقت يفرض كون ذلك الشيء فيه فقول القائل الجسم في الأزل موصوف بكذا أي في حالة كونه متصفا **بالأزلية** وما من وقت يفرض ذلك الجسم فيه إلا وهو موصوف **بالأزلية** وأي وقت قدر حصول ذلك الجسم فيه وهو في حيز معين لم

". (١)

"الحجج مع ان تضعيفها مما سبق هؤلاء اليه كثير من النظار ومن تكلم النظار ينظر ما تكلم به من قبله فإما ان يكون أخذه عنه او تشابهت قلوبهم

وبكل حال فهما مع الرازي ونحوه من افضل بني جنسهم من المتأخرين فاتفاقهما دليل على قوة هذه المعارضات لا سيما إذا كان الناظر فيها ممن له بصيرة من نفسه يعرف بها الحق من الباطل في ذلك بل يكون تعظيمه لهذه البراهين لان كثيرا من المتكلمين من هؤلاء وغيرهم اعتمد عليها في حدوث الأجسام فإذا راى هؤلاء وغيرهم من النظار قدح فيها وبين فسادها علم ان نفس النظار مختلفون في هذه المسالك وان هؤلاء الذين يحتجون بها هم بعينهم يقدحون فيها وعلى القدح فيها استقر أمرهم وكذلك غيرهم قدح فيها كأبي حامد الغزالي وغيره

وليس هذا موضع استقصاء ذكر من قدح قي ذلك و انما المقصود القدح في هذه المسالك التي يسمونها براهين عقلية ويعارضون بها نصوص الكتاب والسنة واجماع السلف ثم ان نفس حذاقهم قدحوا فيها

فأما المسلك الأول الذي ذكره الرازي فقال الامدى المسلك السادس لبعض المتأخرين من اصحابنا في الدلالة على اثبات حدوث الأجسام وهو انه لو كانت الأجسام **أزلية** لكانت في الأزل أما ان

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٣

(١) ".

"الثاني من وجود الجسم فالزمن الثاني ليس هو حالة **الأزلية** وعند ذلك لا يلزم ان يكون الجسم ازلا لا يخلو عن الحركة والسكون

قال وان سلمنا الحصر فلم قلتم بامتناع كون الحركة **أزلية** وما ذكروه من الوجه الاول في الدلالة فانما يلزم ان لو قيل بان الحركة الواحدة بالشخص **أزلية** وليس كذلك بل المعنى بكون الحركة **أزلية** ان اعداد اشخاصها المتعاقبة لا أول لها وعند ذلك فلا منافاة بين كون كل واحدة من احاد الحركات المشخصة حادثة ومسبوقة بالغير وبين كون جملة احادها **أزلية** بمعنى متعاقبة إلى غير النهاية

قال وما ذكروه في الوجه الثاني باطل أيضا فان كل واحدة من الحركات الدورية وان كانت مسبوقة بعدم لا بداية له فمعنى اجتماع الاعدام السابقة على كل واحدة من الحركات في الازل انه لا أول لتلك الاعدام ولا بداية ومع ذلك فالعدم السابق على كل

(٢) ".

"حركة وان كان لا بداية له فيقارنه وجود حركات قبل الحركة المفروضة لا نهاية لها على جهة التعاقب أي يعاقبه وجود حركات لا نهاية لها من قبل الحركة المفروضة وليس فيه مقارنة السابق للمسبوق

وعلى هذا فيكون الكلام في العدم السابق على حركة حركة وعلى هذا فحصول شيء من الموجدات **الأزلية** مع هذه الإعدام ازلا على هذا النوع لا يكون ممتنعا إذ ليس فيه مقارنة السابق للمسبوق على ما عرف

قال وفيه دقة فليتأمل

قلت هذا هو الاعتراض الذي ذكره الارموى وقد ذكره غيرهما والظاهر ان الارموى تلقى هذا عن الامدى وهم يقولون اجتماع الإعدام لا معنى له سوى انها مشتركة في عدم البداية والأولية وحينئذ فعدم كل حركة يمكن ان يقارنه وجود اخرى وليس فيه مقارنة السابق للمسبوق وهذا الذي قالوه صحيح لكن قد يقال هذا الاعتراض انما يصح لو كان احتج بأن في ذلك مقارنة السابق للمسبوق فقط وهو لم يحتج إلا بان العدمات تجتمع في الازل وليس معها

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣/٣١

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣/٣٣

". (١)

"كشمول جنس العدم للمعدومات فإن الموجودات لها امتياز في الخارج فشخص هذا الموجود متميز في الخارج عن شخص الآخر وأما العدم فليس بشيء أصلا في الخارج ولا امتياز فيه بوجه من الوجوه

ولكن هذا الدليل قد بني على قول من يقول المعدوم شيء ولا يبعد أن يكون الرازي أخذ هذا الوجه من المعتزلة القائلين بهذا فإنهم يثبتون المعدوم شيئا فيكون هذا الحادث في حال عدمه شيئا وهذا الحادث في حال عدمه شيئا وحينئذ فللحوادث أعدام متميزة ثابتة في الأزل

وهؤلاء القائلون بهذا يقولون ذلك في كل معدوم ممكن سواء حدث أو لم يحدث فإذا قال القائل للحوادث أعدام أزلية ثابتة في الأزل متميزة لم يتوجه إلا على قول هؤلاء وهذا القول قد عرف فساده وبتقدير تسليمه فيجاب عنه بما ذكره هؤلاء وهو أن اجتماعه في الأزل بمعنى غير انتفاء البداية ممتنع وعدم البداية ليس أمرا موجودا حتى يعقل فيه اجتماع

وعلى هذا فيقال لا نسلم أن الأزل شيء مستقر أو شيء موجود وليس للأزل حد محدود حتى يعقل فيه اجتماع بل الأزل عبارة عن عدم الابتداء ومالا ابتداء له فهو أزلي ومالا انتهاء له فهو أبدى

". (٢)

"الأزل أولا وجود لشيء منها في الأزل معناه إما أن شيئا منها قديم أزلي أو ليس شيء منها قديما أزليا وهذا اللفظ محتمل فإن أراد به أن واحدا من الحوادث المتعاقبة يكون قديما أزليا فهذا لا يقولونه وإن أراد أن جنسها لم يزل يحدث شيئا بعد شيء وأنه لا أول للجنس بل الجنس قديم أزلي فهذا هو الذي يقولونه وحينئذ فلا يلزم من نفي الأزلية عن واحد نفيها عن الجنس

وذلك أن معنى الأزل ليس هو شيئا له ابتداء محدود حتى يقال هل حصل شيء منها في ذلك المبدأ المحدود بل معنى الأزل هو معنى القدم ومعناه ما لا ابتداء لوجوده ولا يقدر الذهن غاية إلا كان قبل تلك الغاية فإذا قال القائل هل وجد شيء من هذه الحوادث في الأزل كان معناه هل منها قديم لا أول لوجوده لم يزل موجودا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٤/٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٧/٣

والمثبت لذلك إنما يقول لم يزل الجنس موجودا شيئا بعد شيء كما يقوله المسلمون وجمهور الناس غيرهم في الأبد فيقولون إنه لا يزال جنس الحوادث يحدث شيئا بعد شيء فلو قال القائل الحوادث المنقضية لا تكون أبدية ولا تكون فيما لا يزال لأنه إما أن يوجد شيء منها في الأبد أو لا وجود لشيء منها في الأبد فإن كان الأول ممتنع لأن الأبدي لا يكون منقضيا بل لا يزال موجودا وإن كان الثاني فجملة المنقضيات ملحوقة بالعدم وما كان ملحوقا بالعدم لم يكن أبديا لأن الأبدي هو ما لا يلحقه العدم كما أن الأزلي ما لا يسبقه العدم كان الجواب عن قول هذا القائل بأن يقال الأبدي

". (١)

"

هو جنس الحوادث المنقضية لا واحد واحد منها والجنس لا يلحقه العدم وإن لحق آحاده كما قال تعالى ﴿ إن هذا لرزقنا ما له من نفاد ﴾ سورة ص ٥٤ وقال تعالى ﴿ أكلها دائم ﴾ سورة الرعد ٣٥ فالدائم هو الجنس وكذلك الذي لا نفاد له هو الجنس لا كل واحد من أعيان الرزق والمأكولات

وقد أورد الآمدي على نفسه سؤالا وأجاب عنه فقال قولكم إن لم يوجد شيء منها في الأزل فلها أول وبداية فنقول لا يلزم من كون كل واحد من العلل والمعلولات غير موجود في الأزل أن تكون الجملة غير أزلية فإنه لا يلزم من الحكم على الآحاد أن يكون حكما على الجملة بل جاز أن يكون كل واحد من آحاد الجملة غير أزلي والجملة أزلية بمعنى تعاقب آحادها إلى غير النهاية

وقال في الجواب عن هذا قلنا إذا كان كل واحد من الآحاد لا وجود له في الأزل وهو بعض الجملة فليس بعض من أبعاض الجملة يكون موجودا في الأزل وإذا لم يكن شيء من الأبعاض موجودا في الأزل فالجملة غير موجودة في الأزل فإنه لا وجود للجملة دون وجود أبعاضها

". (٢)

"

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥٨/٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٥٩/٣

الجواب فإنه إذا لم يكن بعض الجملة أزليا كان ذلك سلبا للأزلية عن أفراد الجنس ونفى الأزلية هو لحدوث فيصير معنى الكلام إذا كان كل واحد من الأفراد أو الأبعاض المتعاقبة حادثا وجب أن يكون الجنس المتعاقب حادثا وقد عرف فساد هذا الكلام

وأبو الحسن الآمدي وغيره أدخلوا هذه المقدمة أعني منع العلل المتعاقبة في إثبات واجب الوجود ولا حاجة بهم إليها وهي مبنية على مقدمتين إحداهما أن العلة قد تتقدم المعلول وقد ذكر هو في كتابه المسمى ب دقائق الحقائق نقيض ما ذكره هنا في كتابه المسمى أبكار الأفكار وذكر في إثبات واجب الوجود هذه الطريقة التي تقدمت حكايتها عنه وقال فيها إن كانت العلل والمعلولات غير متناهية فإما أن تكون متعاقبة أو معا لا جائز أن يقال بالأول إذ قد بينا امتناع الافتراق بين العلة والمعلول فيما تقدم

والذي قاله فيما تقدم هو أن العلة أو الفاعل لا يفتقر في كونه علة لمعلوله ولا كون المعلول معلولا إلى سبق العدم فإن ما كان من

". (١)

"كل معلول وكل ما سواه معلول له إما بواسطة وإما بغير واسطة فيلزم أن لا يحدث في العالم شيء

وأيضا فما يحدث من الحوادث بعد ذلك يفتقر إلى علة تامة مقارنة له فيلزم تسلسل علل أو تمام علل ومعلولات في آن واحد وهذا باطل بصريح العقل واتفاق العقلاء وإن قدر أن الرب لم يكن علة تامة في الأزل بطل قولهم

وقيل بل يجب تراخي الأثر عن المؤثر التام كما يقوله أكثر أهل الكلام ويلزم من ذلك أن يصير المؤثر مؤثرا تاما بعد أن لم يكن مؤثرا تاما بدون سبب حادث او أن الحوادث تحدث بدون مؤثر تام وأن الممكن يرجح وجوده على عدمه بدون المرجح التام

وهذا قول كثير من أهل الكلام منهم من يقول القادر يرجح أحد المقدورين بلا مرجح

ومنهم من يقول بل يرجح بالارادة القديمة الأزلية

ومن هؤلاء وهؤلاء من يقول بل يرجح مع كون الرجحان أولى لامع وجوبه وهو قول محمود الخوارزمي من الأولين وهو قول محمد بن الهيصم الكرامي وغيره من الآخرين فإن الكرامية مع الاشعرية و الكلابية

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦١/٣

يقولون المرجح هو الارادة القديمة الأزلية ويقولون ان الارادة لا توجب المراد لكن منهم من يقول من شأن الارادة ان ترجح بلا مزية للترجيح بل مع تساوي الامرين كما

". (١)

"

ومثل أن يقال الموجود إما حي بنفسه وإما حي بغيره وإما ليس بحي ومعلوم أن الحي بغيره موجود فإن الإنسان يكون في بطن أمه قبل نفخ الروح فيه ليس بحي ثم يصير حيا بعد ذلك فثبت وجود الحي بغيره الذي جعله حيا وذلك الذي جعله حيا إما أن يكون حيا بنفسه وإما بغيره والحي بغيره يحتاج إلى حي فلا بد أن ينتهي الأمر إلى حي بنفسه قطعا للتسلسل الممتنع فثبت أن في الوجود ما هو حي بنفسه والحي بنفسه لا يكون إلا واجبا قديما بنفسه فإن ذاته إذا كانت مستلزمة لحياته بحيث لا تكون حياته حاصلة له من غيره فأن تكون ذاته واجبة بنفسها لا تكون حاصلة بغيرها أولى وأحرى فإن الحياة قائمة في الموصوف الحي بها فإذا كانت الحياة قديمة أزلية واجبة بنفسها يمتنع عدمها فالحي الموصوف بها أن يكون حيا قديما أزليا واجبا بنفسه أولى وأحرى

والتسلسل الذي يسمى التسلسل في العلل والمعلولات والمؤثر والأثر والفاعل والمفعول والخالق والمخلوق هو ممتنع باتفاق العقلاء وبصريح المعقول بل هو ممتنع في بديهة العقل بعد التصور وهو الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة منه في قوله صلى الله عليه وسلم يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا فيقول الله فيقول من خلق الله فإذا وجد ذلك أحدكم فليستعذ بالله ولينته فأمره بالاستعاذة منه ليقطع عنه الله الوساوس الفاسدة التي

". (٢)

"وحين وجودها لا تكون معدومة بمعنى كونها تقبل الوجود والعدم قيل أحد أمرين إما ان يقال الماهية المقدرة في الذهن يمكن ان تكون موجودة في الخارج ويمكن ان تكون معدومة واما ان يقال هذه الحقيقة يمكن ان تكون في الخارج معدومة تارة وموجودة أخرى فإذا اخترنا من ذلك حال عدمها قيل يمكن وجودها

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦٣/٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١١٧/٣

بعد العدم وان كان حين وجودها قيل يمكن عدمها بعد الوجود ومثل هذا ممتنع في الماهية القديمة الأزلية التي يجب وجودها ويمتنع عدمها سواء قدر ان وجوبها بنفسها او بغيرها كما أن صفات الرب عند من قال ممكنة مع كونها قديمة أزلية واجبة بالذات فإنها عندهم لا يمكن عدمها ولا تقبله فإن ما وجب قدمه من الامور الوجودية امتنع عدمه باتفاق العقلاء فإن ما يجب قدمه لا يكون إلا واجبا بنفسه وان قدر أنه ليس واجبا بنفسه فلا بد ان يكون واجبا بغيره وما ليس واجبا بنفسه ولا بغيره ليس قديما باتفاق العقلاء

". (١)

"العدم بخلاف ما هو لم يعدم قط ولم يمكن عدمه في وقت من الاوقات

الثاني ان هذه لا يوجبها نفس الواجب إذ لو كان كذلك لكانت لازمة لذاته قديمة أزلية بل إنما توجبها الذات مع ما يحدث من الشروط التي بها تم حصول المقتضى التام فحينئذ ليست من لوازم الواجب بنفسه بل من لوازم مؤثرها التام ومن جملة ذلك الامور الحادثة التي هي شرط في حدوثها واذا عدمت فإنها تعدم لانتفاء بعض هذه الشروط الحادثة أو لحدوث مانع ضاد وجودها ومنع تمام علتها التامة فعدم لعدم بعض الحوادث او وجود بعض الحوادث كما وجدت لحدوث بعض الحوادث

". (٢)

"

وقدم بعضها ايضا فلهذا لم تكن من لوازم ذاته المجردة في الأزل بخلاف ما كان من لوازم ذاته في الأزل فإن هذا لازم ذاته يمتنع تحقق ذاته في الأزل بدونها فمتى قدر عدمه لزم عدم الذات الأزلية الواجبة الوجود وعدمها ممتنع فعدم لازمها الازلي ممتنع فلا يكون لازمه الازلي ممكنا البتة بل لا يكون إلا واجبا قديما ازليا لا تقبل ذاته العدم وهذا هو المطلوب فقد تبين ان ما كان ازليا فإنه واجب الوجود يمتنع عدمه لا يكون ممكنا البتة وهذا مما اتفق عليه العقلاء أولوهم وآخروهم حتى ارسطو وجميع أتباعه الفلاسفة إلى الفارابي وغيره وكذلك ابن سينا واتباعه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٥١/٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٥٣/٣

لكن هؤلاء تناقضوا فوافقوا سلفهم والجمهور في موضع وخالفوا العقلاء قاطبة مع مخالفتهم لأنفسهم في هذا الموضع حيث قضوا بوجود موجود ممكن يقبل الوجود والعدم مع كونه قديما ازليا واجبا وان قيل هو واجب بغيره

". (١)

"

وأما كون الممكن بنفسه له ذات يعتقب عليها الوجود والعدم وأنها مع ذلك قد تكون قديمة أزلية واجبة بغيرها كما يقوله ابن سينا وموافقوه فهذا باطل عند العقلاء قاطبة من الأولين والآخرين حتى عند ابن سينا مع تناقضه

والاعتراض على هذا من وجوه

أحدها قوله إن قرن باعتبار ذاته شرط صار ممتنعا أو واجبا وإن لم يقرن بها شرط بقي له من ذاته الأمر الثالث وهو الإمكان يقتضي إثبات ذات لهذا الممكن تكون تارة واجبة وتارة ممتنعة وهذا يقتضي أن لكل ممكن ذاتا مغايرة لوجوده وأن تلك الذات يمكن اتصافها بالوجود تارة وبالعدم أخرى وهذا باطل سواء أريد به قول من يجعل المعدوم شيئا من المعتزلة ونحوهم أو قول من يجعل الماهيات النوعية في الخارج مغايرة للوجود في الخارج كما يقوله من يقوله من المتفلسفة والكلام على فساد هذين مبسوط في غير هذا الموضع

وهو لم يذكر هنا دليلا على صحة ذلك ومجرد ما ذكره من التقسيم لا يدل على وجود الأقسام الثلاثة في الخارج فيبقى دليله غير مقدر المقدمات

". (٢)

"وتسمية ما أبدعه مخلوقا أحسن وأبين من تسمية هذا ممكنا إذا الممكن لا يوصف به في العادة إلا المعدوم الذي يمكن أن يوجد وأن لا يوجد وأما ما وجد فقد خرج عن الإمكان إلى الوجوب بالغير

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٥٤/٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٣٧/٣

فالمعروف في فطر الناس أن ما مضى من وجود وعدم لا يسمونه ممكنا وإنما يسمون بالممكن شيئا يمكن وجوده في المستقبل وعدمه في المستقبل

ثم إذا عرف أن كل ما سوى الموجود بنفسه فهو مفعول مصنوع له علم أن المصنوع المفعول لا يكون إلا محدثا كما قد بسط في موضعه وهذه الاعتراضات ليست اعتراضات على إثبات واجب الوجود فإنه حق لكن على هذا الطريق الذي سلكه حيث أثبت ذاتا ممكنة مع كونها عنده قديمة أزلية ولا يحتاج إثبات واجب الوجود إلى هذا في هذه الطريق

بل إذا قيل كل موجود فإما موجود بنفسه وإما موجود بغيره والموجود بغيره لا يوجد إلا بالموجود بنفسه ثبت وجود الموجود بنفسه وإذا سمي هذا واجبا وهذا ممكنا كان ذلك أمرا لفظيا لكن المقصود أنه لا يثبت واجب الوجود بما يدعي أنه ذات تقبل الوجود والعدم وهي مع ذلك قديمة أزلية واجبة فالواجب لا يقبل العدم بحال والله أعلم

". (١)

"الإرادة فخلق الإرادة أو القول في ذاته يستند إلى القدرة القديمة لا أنه حادث بإحداث وأما خلق باقى المخلوقات فمستند إلى الإرادة أو القول على إختلاف مذهبهم فالمخلوق القائم بذاته يعبرون عنه بالحادث والخارج عن ذاته يعبرون عنه بالمحدث ومنهم من زاد على ذلك حادثين آخرين وهما السمع والبصر

قال وأجمعت الكرامية على أن ما قام بذاته من الصفات الحادثة لا يتجدد له منها اسم ولا يعود إليه منها حكم حتى لا يقال إنه قائل بقول ولا مريد بإرادة بل قائل بالقائلية ومريد بالمريدية ولم يجوزوا عليه إطلاق اسم متجدد لم يكن فيما لا يزال بل قالوا أسماؤه كلها أزلية حتى في الخلق والرازق وإن لم يكن في الأزل خلق ولا رزق

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣/٣٥٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤/٢٠

"كانوا قبل أرسطوا من الأساطين كانوا يقولون بحدوث العالم عن أسباب حادثة وهم يقولون بهذا الأصل إما تصريحا وإما لزوما وكذلك غير واحد من متأخريهم كأبى البركات البغدادي صاحب المعتبر وهذا اختيار طائفة من النظار كالأثير الأبهرى وغيره

وما حكاه عن أبى الحسين البصرى فهو قول غير واحد قبل أبى الحسين وبعده كهشام [ونحوه] وغيره وابن عقيل يختار قول أبى الحسين وهو معنى قول السلف والرازى يميل إلى قول إبى الحسين بل وإلى زيادة على قوله كما ذكره في المطالب العالية بل ينصره وقوله عن الكرامية إنهم قالوا أسماؤه كلها أزلية أى معانى اسمائه أى ما لأجله استحق تلك الأسماء كالخالقية والرازقية

وأما نفس الإسم فهومن كلامه وكلامه عندهم حادث قائم بذاته ويمتنع عندهم أن يكون في الأزل كلام أو أسماء لأن ذلك يقتضى حوادث لا أول لها أو يقتضى قدم القول المعين وكلاهما باطل عندهم

وحكايته عن الكرامية أنهم يقولون خلق الإرادة والقول في ذاته مستند إلى القدرة القديمة وخلق ما في المخلوقات يستند إلى

". (١)

"

وقد احتج على إبطال حوادث لا أول لها بعد أن أبطل حجج موافقيه بان ذلك يستلزم كون الحادث أزليا وهذا الوجه ضعيف

فإن المنازع يقول أشخاص الحوادث ليست أزلية وإنما الازلى النوع فالموصوف بأنه أزلى ليس هو الموصوف بأنه حادث ثم يقال إذا لم تقدر أن تقيم حجة على امتناع تسلسل المعلولات وإثبات الصانع عندك موقوف على هذا فأى شيء ينفعك نفى حلول الحوادث عما لم تقم حجة على إثباته فضلا عن قدمه

قال وإنما الإشكال في المقدمات الثلاثة الأول

قال وذلك أن لقائل أن يقول قولكم إن كل صفة حادثة لا بد لها من ضد فإما أن يراد بالضد معنى وجودى يستحيل اجتماعه مع تلك الصفة لذاتيهما وأما أن يراد به ما هو أعم من ذلك وهو ما لا يتصور اجتماعه مع وجود الصفة لذاتيهما وإن كان عدما حتى يقال فإن عدم الصفة يكون ضدا لوجودها فإن كان

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٦/٤

الأول فلا نسلم انه لا بد وأن يكون للصفة ضد بذلك الإعتبار والاستدلال على موقع المنع عسير جدا وإن كان الثانى فلا نسلم أنه

". (١)

"الذات وخرجت عن أن تكون حادثة وإن كان خارجا عن الذات فإما أن يكون معلولا للإله تعالى أو لا يكون معلولا له فإن كان الأول لزم الدور وإن كان الثاني فذلك الخارج يكون واجب الوجود بذاته مفيدا للإله تعالى صفاته فكان أولى أن يكون هو الإله

وهذه المحالات إنما لزمت من قيام الحوادث بذات الرب تبارك وتعالى فتكون محالا

قال الآمدى ولقائل أن يقول وإن افتقرت الصفات الحادثة إلى سبب فالسبب إنما هو القدرة القديمة والمشيئة الأزلية القائمة بذات الرب كما هو مذهب الكرامية على ما أوضحناه فليس السبب هو المسبب ولا خارجا ولا يلزم من دوام القدرة دوام المقدور وإلا كان العلم قديما وهو محال

قال فإن قيل إذا كان المرجح للصفة الحادثة هو القدرة القديمة والاختيار فلا بد وأن يكون الرب تعالى قاصدا لمحل

". (٢)

"الفلاسفة إلا بما يقوله الجميع من أن القادر المختار يرجح أحد المتساويين لا لمرجح أو أن الإرادة الأزلية ترجح أحد المتساويين لمرجح

والمنازعون فى هذا من أهل الحديث والكلام والفلسفة يقولون إن هذا جحد للضرورة وإن هذا يقدح فيما به أثبتوا وجود الصانع فإنهم أثبتوا الصانع بأن ترجيح أحد المتساويين لا بد له من مرجح وقد عرف كلام الناس فى هذا المقام

ونحن نذكر ما تجاب به الفلاسفة عن أهل الملل جميعا وذلك من وجوه

الأول أن يقال الحوادث إما أن يجب تناهيها أو لا يجب بل يجوز أن لا يكون لها نهاية فإن وجب تناهيها لزم أن يكون للحوادث أول ولزم جواز حدوث الحوادث بدون سبب حادث وبطلت حجتكم وقولكم

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٠/٤

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤١/٤

بدوام حركات الفلك وأنها أزلية وإن جاز دوام الحوادث فحينئذ ما من حادث إلا وهو مسبوق بحادث وحينئذ فالأفلاك إذا كانت حادثة لزم أن يكون قبلها حادث آخر وحينئذ فيمكن أن تكون تلك الإردات المتعاقبة القائمة بذات الواجب أو غيرها من الحوادث هى الشرط فى حدوث الأفلاك كما تقولون أنتم كل حادث فهو مشروط بحادث قبله

فإن قالوا ذاته لا تحلها الحوادث

". (١)

"

فإن قيل إنها واجبة بذاتها مع أن الحوادث تقوم بها بطل قولكم إن الواجب أو القديم لا تقوم به الحوادث

وإن قلتم إنها معلولة مفعولة لغيرها فالموجب لها إن كان علة تامة لم يتأخر عنه شيء من معلوله فلا تصدر عنه الحركات والحوادث فتفتقر الحوادث المشاهدة إلى واجب آخر والقول فيه كالقول فيه وإن لم يكن علة تامة فلا بد لما يتأخر حدوثه أن يكون موقوفا على شرط حادث والقول فيه كالقول في الذى قبله فيلزم التسلسل وإذا لزم لزم دوام الحوادث المتسلسلة ويمتنع صدورها عن علة تامة أزلية لا يقوم بها حادث فإن ذلك يقتضى مقارنة جميع معلولها لها لوجوب مقارنة جميع معلول العلة التامة لها وامتناع أن يصير علة لشيء ما بعد أن لم يكن علة بدون سبب منها وإذا جاز أن تقوم به الحوادث المتعاقبة فيلزم قيام الحوادث المتعلقة بالقديم على كل تقدير فبطلت هذه الحجة

وأيضا فقدماؤهم يقولون إن الأول يحرك الأفلاك حركة شوقية مثل حركة المحبوب لمحبه ولم يذكروا ان الأفلاك مبدعة [له] ولا معلولة لعلة فاعلة

وحينئذ فلا بد أن يقال هى واجبة بنفسها وهى مفتقرة فى حركتها إلى المحرك المنفصل عنها فلا يمكن من قال هذا أن يقول إن الواجب

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤/٤٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤/٥٠

"

وإذا كان كذلك بطلت حجتهم لأن غايتها أن قصده للحوادث في ذاته يستلزم كون ذاته في جهة وهذا محال فإذا كان على هذا التقدير لزم أن تكون ذاته في جهة بطل نفى هذا اللازم

وإما أن يقال قصد الشيء لا يستلزم كونه بجهة من المقاصد وحينئذ فبطلت هذه الحجة فثبت بطلانها على التقديرين

وإيضاح فسادها أنها مبنية على مقدمتين وصحة إحداهما تستلزم بطلان الأخرى وبطلانها يتضمن إحدى المقدمتين فثبت بطلان إحداهما على كل تقدير وإذا بطلت إحدى المقدمتين بطلت الحجة فإن إحدى المقدمتين أن القاصد لا يقصد إلا ما هو في جهة والثانية أن كون البارى في الجهة محال فإن كانت المقدمة الأولى صحيحة لزم أن يكون في الجهة لأنه يقصد حدوث حوادث قطعا فبطلت الثانية وإن كانت الأولى باطلة بطلت الحجة أيضا لبطلان إحدى مقدمتيها

وكما أن فساد هذه الحجة ظاهر على أصول أهل الملل وغيرهم ممن يقول بحدوث العالم فبطلانها على رأى الفلاسفة الدهرية أظهر فإن هؤلاء لا ينكرون حدوث الحوادث فإن قالوا إنها حادثة عن علة أزلية موجبة بنفسها كما يقوله ابن سينا وأمثاله فهؤلاء يقولون بأن الحوادث تحدث عنه بوسائط

". (١)

"

ولكن هذا السؤال يمكن تحريره على وجه آخر وهو أن يقال الكرامية إنما أثبتوا ما أثبتوه لاحتياج الخلق إليه والقدرة والمشيئة الأزلية كافية فى حدوث المخلوقات المنفصلة كما هى كافية فى حدوث ما قام بالذات فيكون دليلهم على ذلك باطلا

وهذا الكلام إنما يفيد إن أفاد إبطال هذا الدليل المعين ولا يبطل دليلا آخر ولا يبطل ثبوت المدلول فلا يجوز أن ينفى قيام الحوادث بذاته لعدم ما يثبت ذلك بل الواجب فيما لا يعرف دليل ثبوته وانتفائه الوقف فيه

ثم هم قد يقولون صدور المفعولات المنفصلة من غير سبب حادث يقوم بالفاعل أمر ممتنع كصدور المفعولات بدون قدرة وإرادة للفاعل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥٣/٤

ويقولون أيضا قد علم أن الله خالق للعالم والخلق ليس هو المخلوق إذ هذا مصدر وهذا مفعول به والمصدر ليس هو المفعول به فلا بد من إثبات خلق قائم به ومن إثبات مخلوق منفصل عنه

وهذا قول جمهور الناس وهو أشهر القولين عند أصحاب الأئمة الأربعة [أصحاب] أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وهو قول جمهور الناس أهل الحديث والصوفية وكثير من أهل الكلام أو أكثرهم وكثير من أساطين الفلاسفة أو أكثرهم

". (١)

"ولا يضر عدم الشيء فى الأزل ووجوده فيما لا يزال كالأفعال المحدثة

وهذا جواب محقق لهم لكنه لا يتم إلا بأن يكون عدم القول والإرادة فى الأزل ليس صفة نقص

وقولهم فى ذلك كقول المعتزلة وهم خير من المعتزلة من وجهين

من جهة أنهم يجعلون القول والإرادة قائمة بذاته وهذا بحث آخر لا يختص بهذه المسألة

ومن جهة أنهم يثبتون مشيئة أزلية وقابلية أزلية

وأيضا فما ادعاه من أنه أثبت أن الحوادث لا بد وأن تكون متناهية ليس كما ذكر وقد عرف الكلام فيما ذكر هو وغيره وضعف ذلك

قال أبو الحسن الآمدى الوجه الثالث يعنى فى بيان تناقضهم أن [من] مذهبهم أن القول الحادث والإرادة الحادثة عرض كاللون والطعم والرائحة وأنه يجوز فى الشاهد تعرى

". (٢)

"والإرادة القدرة القديمة والمشيئة الأزلية ولا فرق بين الحادث والمحدث من جهة تجدده وهو إنما كان مفتقرا إلى المرجح من جهة تجدده وقد استويا فى التجدد فلو قيل لهم لم لا أكتفى بالقدرة القديمة والمشيئة الأزلية فى حدوث المحدثات من غير توسط القول والإرادة كما اكتفى بها فى القول والإرادة لم يجدوا إلى الفرق سبيلا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤/٦٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤/١٠٢

فيقال ولقائل أن يقول من الصفات ما يثبت بالسمع وقد يكونون أثبتوا ذلك بالسمع كما أثبت أئمة الصفاتية من السلف والخلف كابن كلاب والأشعرى والقاضى أبى بكر والقشيرى والبيهقى تكوين آدم باليدين بالسمع مع أن غيره لم يحتج إلى ذلك كما أثبت أيضا الأشعرى وغيره التكوين بكن سمعا مع أن العقل يكتفى بالقدرة

ونقل ذلك عن أهل السنة والحديث وقال عنهم إن الله لم يخلق شيئا إلا قال له كن وذكر أنه بقولهم يقول

والقرآن قد أخبر أنه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون و أن تخلص الفعل المضارع للاستقبال وكذلك إذا ظرف لما يستقبل من الزمان يتضمن معنى الشرط غالبا

". (١)

"إنذلك يقوم به على سبيل التعاقب فهو كمن يقول إنه تقوم به الكلمات والأفعال على سبيل التعاقب

ومن قال إنها كلها أزلية كما تقوله طائفة يقولون إنه تقوم به علوم لا نهاية لها في آن واحد كما يقوله أبو سهل الصعلوكي وغيره فإن هذا يشبه قول من يقول تقوم به حروف لا نهاية لها في آن واحد

لكن قد يقال اجتماع العلوم بمعلومات والإرادات بمرادات قد يقال إنه لا يتضاد كاجتماع معاني الكلام بخلاف اجتماع حروف فإنه كاجتماع أصوات واجتماع أصوات كاجتماع حركات

وجماع ذلك أن الحقائق إما أن تكون متماثلة وإما أن لا تكون وإذا لم تكن متماثلة فإما أن يمكن اجتماعها في محل واحد في زمن واحد وإما أن يمكن فالأولى المختلفة التي ليست بمتضادة كالعلم والقدرة وكالطعم واللون والثاني المتضادة كالسواد والبياض وكالعجز مع القدرة كالعلم بمعلومات والقدرة على مقدورات والإرادة لمرادات ليست هي متضادة بل يمكن اجتماع

". (٢)

"بحقيقة من الحقائق ولا صفة من الصفات هو المخصص للعالم كله بما هو عليه من الحقائق والصفات والمقادير وأنه علة تامة موجبة للمعلول مع أن الحوادث من المعلولات ليست أعيانها أزلية ولم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤/١٠٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤/١٣١

يكن فيه ما يوجب تأخر شيء من المعلولات ولا قام به صفة ولا معنى ولا فعل يوجب التخصيص لا بحقيقة دون حقيقة ولا بصفة دون صفة ولا لحادث دو حادث ولا لتأخير ما يتأخر

والعالم يشهد فيه من الحقائق المختلفة والحوادث الحادثة ما يعلم معه بالضرورة أنه لا بد له من مخصص وهم لا يثبتون إلا وجودا مطلقا ليس فيه اختصاص وجودي بوجه من الوجوه فضلا عن أن يكون مقتضيا لتخصيص حقيقة دون حقيقة وصفة دون صفة والحدوث من غير سبب يقتضي الحدوث وهذه الأمور لبسطها موضع آخر

والمقصود أن هؤلاء القائلين بعدم التناهي أو بالتناهي من جانب دون جانب مع كون قولهم فاسدا فنفاة كون الرب على العرش الذين يحتجون على نفي ذلك بنفي الجسم وعلى نفي الجسم بهذه الحجج يلزمهم من التناقض أعظم مما يلزم المثبتين والمقدمات التي

". (١)

"

وأما الثانية وهي قوله إما أن يكون مركبا فيكون جسما أو لا يكون فيكون جوهرا فردا فمبنية على نفي التركيب وهو قد أفسد أدلة ذلك أو على نفي الجسم وقد عرف كلامه وقدحه في حجج نفى ذلك

وأما حجته الثالثة فإنها مبنية على تماثل الجواهر أيضا وهو قد أبطل أدلة ذلك ومبنية على امتناع حلول الحوادث به أيضا وقد أبطل هو أيضا جميع حجج ذلك واستدل بحجة الكمال والنقصان كما احتج بها الرازي وهو أيضا قد أبطل هذه الحجة لما استدل بها الفلاسفة على قدم العالم كما ذكر عنه

وأما حجته الرابعة على نفى الجوهر فبناها على نفى التحيز وبنى نفى التحيز على حجتين على حجة الحركة والسكون وعلى تماثل الجواهر

وهو قد بين أنه لا دليل على تماثل الجواهر وأبطل أيضا حجة الحركة والسكون لما احتج بها من احتج على حدوث الأجسام فإنه قال المسلك السادس لبعض المتأخرين من أصحابنا يعنى به الرازي وهذا المسلك أخذه الرازي عن المعتزلة ذكره أبو الحسين وغيره أنه لو كانت الأجسام أزلية لكانت (في الأزل) إما أن

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤/٢١٧

(١) ".

"وقد ذكرنا كلام الأمدى على سائر ما ذكره في امتناع كون الحركة أزلية مثل قوله لم قلتم بامتناع كون الحركة أزلية وما ذكروه من الوجه الأول فإنما يلزم أن لو قيل بأن الحركة الواحدة بالشخص أزلية وليس كذلك بل المعنى بكون الحركة أزلية أن أعداد أشخاصها المتعاقبة لا أول لها وعند ذلك فلا منافاة بين كون كل واحد من آحاد الحركات الشخصية حادثة ومسبوقة بالغير وبين كون جملة آحادها أزلية بمعنى أنها متعاقبة إلى غير نهاية إلى آخر كلامه

والمقصود هنا التنبيه على أنه نقض في موضع آخر عامة ما احتج به هنا (فصل)

ومما ينبغي معرفته في هذا الباب أن القائلين بنفى علو الله على خلقه الذين يستدلون على ذلك أو عليه وعلى غيره بنفى التجسيم (فإنهم) ينقضون الحجج التى يحتجون بها فتارة ينقض أحدهم الحجج التى يحتج (كما ذكرناه) عن الرازى والأمدى

(٢) ".

"عبد الجبار وأبي الحسن الأشعري والقاضي أبي بكر وأبي الحسين البصرى ومحمد بن الهيصم وأبي المعالى الجوينى وأبي الوفاء بن عقيل وأبي حامد الغزال وغيرهم يبطلون طرق الفلاسفة التى بنوا عليها النفى منهم من يبطل أصلوهم المنطقية وتقسيمهم الصفات إلى ذاتي وعرضى وتقسيم العرضى إلى لازم للماهية وعارض لها ودعواهم أن الصفات اللازمة للموصوف منها ما هو ذاتي داخل في الماهية ومنها ما هو عرضى خارج عن الماهية وبناءهم توحيد واجب الوجود الذى مضمونه نفى الصفات على هذه الأصول وهم في هذا التقسيم جعلوا الماهيات النوعية زائدا في الخارج على الموجودات العينية وليس هذا قول من قال المعدوم شيء فإن أولئك يثبتون ذواتا معينة ثابتة في العدم تقبل الوجود المعين وهؤلاء يثبتون ماهيات كلية لا معينة وأرسطو وأتباعه إنما يثبتونها مقارنة للموجودات المعينة لا مفارقة لها واما شيعة أفلاطن فيثبتونها مفارقة ويدعون أنها أزلية أبدية وشيعة فيثاغورس تثبت أعدادا مجردة

وما يثبته هؤلاء إنما هو في الأذهان ظنوا ثبوته في الخارج وتقسيمهم الحد إلى حقيقى ذاتي ورسمى أو لفظي أو تقسيم المعرف إلى حد ورسم هو بناء على هذا التقسيم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤/ ٢٧٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤/ ٢٧٧

وعامة نظار أهل الإسلام وغيرهم ردوا ذلك عليهم وبينوا فساد

." (١)

"

وهذا القول من أفسد أقوال بنى آدم فإنه يستلزم أن لا يحدث في العالم حادث فإنه إذا كانت علة تامة أزلية ومعلولها معها والعالم كله معلوله إما بواسطة وإما بغير وسط لزم أن لا يكون في العالم شيء إلاأزليا فلا يكون في العالم شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة

ثم إنهم لما أثبتوا الواجب بالممكن إنما استدلوا على الممكن بالحادث الذى يفتقر إلى محدث فإن لم يكن في العالم حادث بطل الإمكان الذى به أثبتوا الواجب ولزم إما أن لا يكون في العالم واجب الوجود ولا ممكن الوجود وهو إخلاء للوجود عن النقيضين وإما أن يكون جميعه واجب الوجود فيكون الحادث الذى كان بعد أن لم يكن واجب الوجود

وأيضا فإذا كان المعلول لا يكون إلا مع علته التامة لزم أن لا يحدث شيء من الحوادث إلا مع تمام علته ولم يحدث حين حدوثه ما يوجب حدوث علة تامة له وإن قدر حدوث ذلك لزم حدوث تمام علل ومعلولات في آن واحد وهو تسلسل في العلل وذلك معلوم الفساد بصريح العقل واتفاق العقلاء بخلاف تسلسل الحوادث المتعاقبة وهو أنه لا يكون حادث إلا بعد حادث فهذا فيه نزاع مشهور

." (٢)

"تقوم إلا بمحدث وكذلك الأشعري وأتباعه ينازعونهم في أن الصفات لا تقوم إلا بجسم وتوافقهم على أن الأفعال لا تقوم إلا بجسم

ومن أتباعهم المتفلسفة من نازعهم في أن الأفعال لا تقوم إلا بجسم

وطوائف غير هؤلاء من الهشامية والكرامية وغيرهم يسلمون لهم أن الصفات والأفعال لا تقوم إلا بجسم وينازعونهم في كون الجسم لا يخلو من الحوادث ويجوزون وجود جسم ينفك من قيام الحوادث به ثم يحدث فتقوم به بعد ذلك وقد ينازعونهم في كون كل جسم مركبا من الأجزاء المنفردة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤/٢٨٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤/٢٩٢

وهذه الطوائف وأمثالها من طوائف أهل الكلام من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم كلهم متفقون على أن الممكن لا يكون إلا جسما أو قائما بجسم ومتنازعون في الواجب

والمتفلسفة المشاءون الذين يثبتون ممكنا ليس بجسم ولا قائم بجسم يقولون إن الجسم الممكن قد يكون قديما أزليا أبديا تحله الحوادث والأعراض وأن الجسم الممكن لا ينفك من الحوادث وليس هو عندهم بمحدث وهو مركب كتركيب الأجسام وهو عندهم قديم أزلي فهذا عندهم لا ينافي القدم والأزلية وإنما ينفون ذلك عن واجب الوجود بناء على أن إثبات الصفات تركيب وواجب الوجود ليس بمركب

". (١)

"ما من طائفة من طوائف الضلال وإن كثرت إلا وهي مجتمعة على جحد بعض العلوم الضرورية

الوجه الثالث أن يقال ما من طائفة من طوائف الكلام والفلسفة إلا وجمهور الناس يقولون إنهم حجدوا العلوم الضرورية

فالقائلون بأن الممكن قد يترجح أحد طرفيه بلا مرجح من القادر أو غيره يقول جمهور العقلاء إنهم حجدوا العلوم الضرورية

والقائلون بأن الأجسام لا تبقى والأعراض لا تبقى يقول جمهور الناس إنهم جحدوا العلوم الضرورية

والقائلون بأن الأصوات المتعاقبة تكون قديمة أزلية الأعيان باقية وأن الأصوات المسموعة من الآدميين هي قديمة يقول جمهور العقلاء إنهم خالفوا العلم الضروري

والقائلون بأن الكلام هو معنى واحد هو الأمر بكل ما أمر به والخبر عن كل ما أخبر به وأنه إن عبر عنه بالعربية كان هو القرآن وإن عبر عنه بالعبرية كان هو التوراة يقول جمهور العقلاء إنهم حجدوا العلم الضروري

والقائلون بأن العالم هو العلم والمعلوم والعاقل هو العقل والمعقول والعاشق هو العشق والمعشوق واللذة هي الملتذ والعلم هو القدرة والقدرة هي الإرادة يقول جمهور العقلاء إنهم خالفوا العلوم الضرورية

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٤٦/٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٦٨/٦

"وجمهور العلماء يقولون إن الإقرار بالصانع حاصل لعامة الخلق بطريق الضرورة

كما ذكر الشهرستاني في كتابه المعروف بنهاية الإقدام في قاعدة التعطيل قال قد قيل إن التعطيل ينصرف إلى وجوه شتى منها تعطيل الصنع عن الصانع ومنها تعطيل الصانع عن الصنع ومنها تعطيل الباري عن الصفات **الأزلية** الذاتية ومنها تعطيل الباري عن الصفات **الأزلية** القائمة بذاته ومنها تعطيل الباري عن الصفات والأسماء أزلا ومنها تعطيل ظواهر الكتاب والسنة عن المعاني التي دلت عليها

ثم قال أما تعطيل العالم عن الصانع العليم القادر الحكيم فلست أراها مقالة ولا عرفت عليها صاحب مقالة إلا ما نقل من شرذمة قليلة من الدهرية أنهم قالوا كان

(١) ".

"بعض الفلاسفة إلى انها كانت واحدة **أزلية** قبل التعلق بالابدان وعند مفارقة الابدان تتحد فلا يكون فيه عدد فضلا عن أن يوصف بأنه لا نهاية لها وقال آخرون النفس تابع للمزاج وانما معنى الموت عدمها ولا قوام لها بجوهرها دون الجسم فإذن لا وجود في النفوس إلا في الاحياء والاحياء الموجودن محصورون ولا تنتهي النهاية عنهم والمعدومون لا يوصفون اصلا بوجود النهاية ولا بعدمها إلا في الوهم إذا فرضوا موجودين

قال والجواب أن هذا الاشكال في النفوس اوردناه على ابن سينا والفاربي والمحققين منهم إذا حكموا بأن النفس جوهر قائم بنفسه وهو اختيار أرسطاليس والمعتبرين من الاوائل ومن عدل

(٢) ".

"سينا أن يعمم هذه القضية ويجعل المفهوم من الممكن ما له علة كما ذكره أبو حامد

قلت فقد بين أن كون الممكن يجب أن يكون له فاعل قول جيد إذ كان الممكن هو المحدث عند عامة العقلاء من الفلاسفة وغيرهم والمحدث لا بد له من فاعل هذا ايضا معلوم بين مسلم عند عامة العقلاء

واما قوله ليس فيه كذب إلا ما وضعوا فيه من أن العالم بأسره ممكن فإن هذا ليس معروفا بنفسه فأراد ابن سينا أن يعمم هذه القضية ويجعل المفهوم من الممكن ما له علة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٩٦/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٥٤/٨

فإنه يقول أولئك ارادوا بالممكن المحدث وليس من المعروف بنفسه أن العالم كله محدث فاراد ابن سينا أن يجعل معنى الممكن هو ما له علة حتى يبني على ذلك أن العالم كله ممكن وله علة قديمة أزلية وهذا القول الذي ذكره ابن سينا يظن من أخذ الفلسفة من كلامه انه قول أرسطو واتباعه وليس كذلك وانما يذكر هذا عن برقلس ولهذا قال الباري جواد وعلة جوده هو ذاته فيكون جوده دائما وهذا يوافق قول ابن سينا لا يوافق قول أرسطوا فإن الأول عنده لا فعل له لا جودا ولا غير جود ولا إرادة بل ولا يعلم ما سواه

وقول ابن رشد أن كون العالم بأسره ممكن ليس معروفا بنفسه

". (١)

"هي أعراض تفتقر إلى أعيان تقوم بها من جنس العقل الموجود في نفوسنا فأما إثبات عقول هي جواهر قائمة بنفسها فلا دليل لهم على ذلك أصلا

ولولا أن هذا ليس موضع بسط ذلك لذكرت ألفاظهم بأعيانها ليتبين لك ما ذكرته ولكن هؤلاء القوم يجعلون الأعراض جواهر والجواهر أعراضا والصفة هي الموصوف والموصوف هو الصفة وعلى هذا بنوا كلامهم كما صرحوا به في غير موضع ومن هنا يظهر

الوجه السادس وهو أن هذا وأمثاله جعلوا نفس العلم هو العالم وجعلوا نفس العلم هو جوهرا قائما بنفسه واجب الوجود وهذا من أعظم سفسطة في الوجود وهو شر من كلام النصارى بكثير

وغاية ما ينتهي إليه ما يدعونه من المفارقات المجردات عن المادة وهي العقول التي جعلوها مبادئ أنها علوم كلية كالعلوم الكلية التي لنا ومن المعلوم أن العلوم الكلية لا تقوم إلا بعالم لكن هؤلاء غلطوا حيث أثبت قدماؤهم كأصحاب أفلاطن كليات مجردة عن الأعيان وهي المثل الأفلاطونية وجعلوها أزلية أبدية وإنما التغير والتحول في أعيانها فلما تبين لأرسطو وأتباعه فساد هذا أبطلوه وقالوا الكليات لا يكون

". (٢)

"ممكن الوجود في الحركة التي في المكان فوجب أن يكون المحرك له واجب الوجود في الجوهر وألا يكون فيه قوة اصلا لا علة حركة ولا على غيرها فلا يوصف بحركة ولا سكون ولا بغير ذلك من انواع

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٧٢/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢١٩/٨

التغيرات وما هو بهذه الصفة فليس بجسم اصلا ولا قوة في جسم واجزاء العالم **الأزلية** إنما هي واجبة الوجود في الجوهر إما في الكلية كالحال في الاسطقسات الاربع واما بالشخص كالحال في الاجرام السماوية

قلت المقصود ذكر طرق هؤلاء ومنتهى نظرهم ومعرفتهم وان خيار ما في كلام ابن سينا وامثاله وانما تلقاه من طرق المتكلمين كالمعتزلة ونحوهم مع ما فيهم من البدعة واما ما ذكره هذا من طريقة الفقهاء فهي أضعف وأقل فائدة في العلوم الإلهية من طريقة ابن سينا بكثير فإن ابن سينا أدخل في الفلسفة من المعارف الإلهية التي ركبها من طرق المتكلمين وطرق الفلاسفة والصوفية ما كسا به الفلسفة بهجة ورونقا حتى نفقت على كثير أهل الملل بخلاف فلسفة القدماء فإن فيها من التقصير والجهل في العلوم الإلهية ما لا يخفي على أحد

وانما كلام القوم وعلمهم في العلوم الرياضية والطبيعية وكل فاضل يعلم أن كلام ارسطو وامثاله في الالهيات قليل نزر جدا قليل

". (١)

"توصف بأنها لا تكون إلا بعد مالا نهاية له فتكون موقوفة على مالا نهاية له فيقطع اليها ما لا نهاية له ثم كل وقت يتجدد يزداد عدد تلك الاحوال وكيف يزداد عدد مالا نهاية له ومن هؤلاء من قال أن العالم يوجد حين كان اصلح لوجوده ومنهم من قال لم يمكن وجوده إلا حين وجد ومنهم من قال لا يتعلق وجوده بحين وشيء آخر بل بالفاعل ولا يسأل عن لم فهؤلاء هؤلاء

قال وبإزاء هؤلاء قوم من القائلين بوحدانية الأول يقولون أن واجب الوجود بذاته واجب الوجود في جميع صفاته وأحواله **الأزلية** وانه ليس يتميز في العدم الصريح حال الأولى به فيها أن لا يوجد شيئا أو بالاشياء أن لا توجد عنه أصلا وحال بخلافها ولا يجوز أن تسنح له إرادة متجددة إلا لداع وان

". (٢)

"إبطال قول المعتزلة ونحوهم الذين يقولون بحدوث جميع الحوادث من غير حدوث سبب بل بمجرد القدرة أو القدرة والإرادة التي لم تزل ولا تزال على حال واحدة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٣٣/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٥٤/٨

وإن لم يجوزوا حدوث متغير عن غير متغير بطل قولهم كله فإن الفلك متغير مختلف هو في نفسه مختلف القدر والصفات وهو متغير عندهم بما يحدث فيه من الحركات وهذا التغير صادر عما لا يتغير عندهم سواء قالوا هو صادر عن العقل الذي لا يتغير كما يقوله ابن سينا وأمثاله أو صادر عن الواجب بنفسه الذي لا يتغير كما يقوله ابن رشد وأمثاله أو صادر عن الواجب بتوسط العقل كما يقوله النصير الطوسي وأمثاله أو مهما قالوه من جنس هذه المقالات فلا بد على كل تقدير أن يلزمهم حدوث متغير عن غير متغير

وحينئذ فبطلت حجتهم على المعتزلة وكانوا أكثر التزاما للباطل الذي قرروا أنه باطل وأبطلوا به قول المعتزلة وذلك أنهم يجعلون جنس الحركات والحوادث كلها حدثت بلا محدث أصلا لأن العلة القديمة الأزلية لا يتأخر عنها شيء من معلولاتها ولوازمها فكل ما تأخر عنها فليس من موجبها لا بوسط ولا بغير وسط وتلك الحوادث لم تحدث

". (١)

"من الأقوال التي يقدرها الذهن في هذا المقام فهي مع كونها أقوالا لا دليل عليها وإنما هي تحكمات ورجم بالغيب بل والدليل يقوم على فسادها فلا يحصل بها جواب عما يدل على فساد أصلهم فإن تلك الوجوه إما أن تكون أمورا وجودية أو عدمية فإن كانت وجودية فقد صدرت عن الأول فقد صدر عنه أمور متعددة أكثر من واحد بلا واسطة وإن كانت عدمية فلا يخرج الصادر الأول عن أن يكون واحدا بسيطا وحينئذ فلا يصدر عنه إلا واحد

يبين ذلك أن كثرة السلوب العدمية إن أوجبت كثرة فالأول فيه كثرة لكثرة ما يسلب عنه وإن لم توجب كثرة فلا كثرة في الصادر الأول بأمور عدمية فلا يصدر عنه إلا واحد وهلم جرا

وأيضا فهذا الواحد الذي يقدرونه إنما يوجد في الأذهان لا في الأعيان كالواحد الذي يجعلونه مبدأ المركبات العقلية كما بسط هذا في موضع آخر

وإذا كان كذلك فما يقولونه في هذا المقام من أن حركة الفلك واحدة أزلية أبدية وهي فعل الرب الدائم فعله قول باطل لوجوه

أحدها أن الحركات ليست واحدة بل حركات مختلفات وليس بعضها صادرا عن بعض فقول القائل إنها واحدة قول باطل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٦٣/٨

الثاني أن الحركة الدائمة سواء كانت واحدة أو متعددة وسواء

". (١)

"كانت نوعا واحدا أو أنواعا مختلفة تحدث شيئا بعد شيء وإذا كان الأول علة تامة أزلية كان مستلزما لمعلوله فلا يتأخر عنه شيء من معلوله بل يكون معلوله كله أزليا أبديا دائما بدوامه إن أمكن مقارنة المعلول لعلته لا يحدث منه شيء بعد شيء فإن الحادث في الزمن الثاني يمتنع أن تكون علته تامة أزلية لأن العلة التامة مستلزمة لمعلولها وهو لا يكون بينه وبينها فصل فكيف وأجزاء الحركة الحادثة شيئا بعد شيء كلها منفصلة عن الأزل فامتنع أن يكون معلول علة تامة أزلية

الثالث أن يقال كون المفعول المعين يقارن فاعله في الزمان أمر لا يعقل وجوده في الخارج وإنما يقدره الذهن كما يقدر الممتنعات وسواء سمي الفاعل علة أو لم يسم فإنه لا تعقل علة صدر عنها معلول هو مفعول لها وكان زمانهما واحدا ولكن قد يكون الشيء مستلزما لغيره ومقارنا له في الزمان كاستلزام الذات لصفاتها اللازمة واستلزام حركة أحد الجسمين المتلازمين لحركة الآخر كحركة الخاتم واليد لكن لا يكون الملزوم فاعلا للازم فإنه لا يعقل مفعول معين لازم لفاعله البتة

ولكن لفظ العلة فيه إجمال واشتباه واشتراك فقد يراد بها الملزوم الموجب وقد يراد بها الفاعل والملزوم الموجب الذي ليس بفاعل يعقل أن يقارنه لازمه وموجبه الذي ليس بمفعول له لكن موجبه الذي هو

". (٢)

"فهو مسبوق بغيره سبقا زمانيا وما كان كذلك لا يكون إلا محدثا والمؤثر التام يستلزم وجود أثره عقب كمال التأثير التام

وأما على قول هؤلاء فيلزمهم أمور باطلة تستلزم فساد قولهم

منها أنه لا يحدث في العالم شيء فإنه إذا كانت العلة تامة أزلية ومعلولها معها في الزمان وكل ما سواه معلول له بوسط أو بغير وسط لزم أن يكون كل ما سوى الله قديما أزليا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٦٨/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٦٩/٨

ومنها أنه يلزم أن لا يحدث شيء حتى تحدث حوادث لا تتناهى في آن واحد وهذا متفق على استحالته عندهم وعند سائر العقلاء وهو تسلسل علل ومعلولات أو تمام علل ومعلولات حادثة لا نهاية لها فإنه كلما حدث حادث فإنه لا يحدث حتى تحدث علته التامة أو تمام علته التامة وتكون حادثة معه وتلك لا تحدث حتى يحدث معها ما هو كذلك فلزم وجود علل ومعلولات لا تتناهى أو تمام علل ومعلولات لا تتناهى في آن واحد

وإذا قالوا كل حادث مشروط بعدم ما قبله لم يصح على قولهم لأن عدم الحادث الأول سابق للحادث الثاني وعندهم العلة التامة يجب مقارنتها للمعلول ولا تتقدم عليه

ولكن هذا يصح على قول أهل السنة الذين يقولون المعلول يحصل عقب تمام العلة التامة لا معها فيكون حدوث الثاني عقب عدم الأول

". (١)

"وعلى هذا القول فيلزم حدوث كل ما سوى الله تعالى

وبهذا يظهر بطلان قولهم وصحة قول المسلمين فإنهم قد يشبهون قولهم بما يحدث شيئا فشيئا عن الفاعل بالاختيار أو الطبع كالحجر الهابط وكالمسافر إلى بلد فإنه يقطع المسافة شيئا فشيئا والمقتضي لقطعه المسافة وهو قصده تلك المدينة قائم لكن قطعه للجزء الثاني منها مشروط بعدم الأول

فيقال لهم هذا يدل على فساد قولكم فإنه ليس هنا مؤثر تام قارنه أثره ولم يوجد الأثر إلا عقب التأثير التام لا معه فليس هذا نظير قولكم بل هو نظير قول من يقول لم يزل يحدث شيئا بعد شيء وإحداثه للثاني مشروط بعدم الأول

وهذا نظير قول من يقول لم يزل متكلما إذا شاء فعالا لما يشاء فوجود الثاني كالإرادة الثانية والكلمة الثانية والفعل الثاني مشروط بانقضاء الأول وبانقضاء الأول الأول تم المؤثر التام المقتضي لوجود الثاني

وعلى هذا فكل ما سوى الرب حادث كائن بعد أن لم يكن وهو سبحانه المختص بالقدم **والأزلية** فليس في مفعولاته قديم وإن قدر أنه لم يزل فاعلا وليس معه شيء قديم بقدمه بل ليس في المفعولات قديم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٧١/٨

". (١)

"يقولوا المرجح هو علم الفاعل وإرادته أو قدرته أو إمكان الفعل وانتفاء المانع وهو الأزل أو حصول المصلحة

وكل ما قالوه من هذا وغيره إذا نظر فيه بعينه لم يكن جوابا صحيحا فإن العلم يتبع المعلوم على ما هو به والمعلوم يتبع الإرادة فإن لم يكن المرجح ثابتا في نفس الأمر لم يكن العلم مرجحا وأما الإرادة فادعى كثير منهم أنها بذاتها توجب تخصيص أحد المتماثلين وهذا القدر خلاف ما يعقل من الإرادة فإنه لا تعرف الإرادة ترجح أحد المتماثلين من كل وجه بل لا بد من اختصاص أحدهما بما يوجب الترجيح

وإثبات إرادة كما ذكروه لا يعرف بشرع ولا عقل بل هو مخالف للشرع والعقل فإنه ليس في الكتاب والسنة وما يقتضي أن جميع الكائنات حصلت بإرادة واحدة بالعين تسبق جميع المرادات بما لا نهاية له وكذلك سائر ما ذكروه

ثم إن هذه الأمور إن كانت قديمة فلم يحدث مرجح وإن حدث بعد أن لم يحدث شيء منها أو تعلق بها فقد حدث الحادث بدون موجب لحدوثه وترجح أحد المتماثلين بلا مرجح والمرجح قبل وجوده كما هو بعد وجوده لم يكن ناقصا فتم

والرازي تارة يجيب بأن الإرادة مرجحة كجواب أصحابه ثم يضعف هذا الجواب وتارة يقول بل العقول والنفوس أزلية فحدث تصور من

". (٢)

"

وان قال كونه فعل امر موجود فالقديم قبل أن يفعل كان على صفة فإما أن يتجدد ما يوجب خروجه عن تلك الصفة أو لا يتجدد فإن لم يتجدد وجب إلا يفعل وان تجدد شيء انتقض قوله انه إذا كان على صفة من الصفات لم يجز خروجه عنها

فإن قال إنما اعنى بالصفة المعنى القائم بذاته وذاك لم يزل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٢٧٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٢٨٣

قيل هب انك عنيت هذا لكن دليلك يتناول هذا وغيره ويوجب أن الأمر الازلي لا يجوز تحوله من حال إلى حال بوجه من الوجوه لأن ما كان قديما كان لمعنى والقديم لا يزول

فالامر المتجدد المتحول الحادث سواء سميته صفة أو حالا أو حادثا أو فعلا وسواء كان قائما به أو بغيره بموجب دليلك أنه لا يجوز بغير الأمور القديمة **الأزلية** فإن كان هذا حقا وجب إلا يحدث شيء من الحوادث فإن جوز أن تحدث عن قديم من غير حدوث أمر وجودي يكون شرطا في وجودها فقد جوز تغير الأمور **الأزلية** بلا سبب وان قال لا بد من تجدد امر به يحصل حدوثها واذا تجدد امر فقد حصل تغير لم يكن في الأزل فانتقضت حجته

وايضاح هذا أن يذكر نظير حجته فيقال له القديم الذي لم يزل غير فاعل لا يجوز كونه فاعلا فإنه إذا كان غير فاعل فإما أن يكون ذلك لنفسه أو لعلة إلى آخر الكلام

". (١)

"حدوث العالم على القول بتركيب الأجسام من أجزاء لا تتجزأ وأن الجزء الذي لا يتجزأ محدث وأن الأجسام محدثة بحدوثه وطريقتهم التي سلكوا في بيان حدوث الجزء الذي لا يتجزأ وهو الذي يسمونه الجوهر الفرد وبالجملة حدوث الأجسام طريقة معتاصة تذهب على كثير من أهل الرياضة في صناعة الجدل فضلا عن الجمهور ومع ذلك فهي غير برهانية ولا مفضية بيقين إلى وجود الباري تعالى وذلك أنه إذا فرضنا أن العالم محدث لزم كما يقولون أن يكون له ولا بد فاعل محدث ولكن يعرض في وجود هذا المحدث شك ليس في قوة صناعة الجدل الانفصال عنه وذلك أن هذا المحدث لسنا نقدر أن نجعله أزليا ولا محدثا أما كونه محدثا فلأنه يفتقر إلى محدث وذلك المحدث إلى محدث ويمر الأمر إلى غير نهاية وذلك مستحيل

وأما كونه أزليا فإنه يجب أن يكون فعله المتعلق بالمفعولات أزليا فتكون المفعولات **أزلية** والحادث يجب أن يكون وجوده متعلقا بفعل حادث اللهم إلا لو سلموا أنه يوجد فعل حادث عن فاعل قديم

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٣٢٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٩/٧١

"

فإن قالوا غير متناهية كما هو في المستقبل فقد اعترفوا بوجود ما لا نهاية له في الماضي على الشرط الذي يوجد عليه ما لا نهاية له أعني أن لا يوجد معا وأن لا ينقطع الإمكان

وإن قالوا غير ذلك فقد أحالوا على الوجود الأزلي أن تكون أفعاله أزلية ويلزمهم ذلك في علمه بالحادثات وإرادته لها فتكون معلوماته بالفعل متناهية وكذا إرادته وبالقوة غير متناهية

أما في الماضي فمن قبل أنه لا يجوز عندهم أن تكون أفعال لا نهاية لها وأما في المستقبل فمن قبل أن ما لا نهاية له إنما يوجد عندهم بالقوة وذلك شيء لا يقولونه فإن قالوا إراداته ومعلوماته غير متناهية بالفعل فقد سلموا دخول ما لا نهاية له بالفعل في الوجود

قال وهذا كله تشويش لعقائد المتشرعين وصد عن الغاية التي قصد بها تعريفهم هذه الأشياء وهو أن يكونوا مصممين في هذه الأشياء أخيارا فإن من ليس بمصمم العقيدة في هذه ليس بخير

". (١)

"القدر من التشكك إن العالم ليس هو موجودا واحدا وإنما هو أفعال لله متجددة ومتعاقبة فيمكن في العقل أن تكون هذه الأفعال أزلية ويمكن أن تكون محدثة إلا أن الشرائع كلها قد وردت بأنها محدثة فيجب التصديق بأحد الجائزين الذي ورد به الشرع وأن يقال في علمه وإرادته إنهما غير مكيفين ولا حادثين ولا يلزم فيهما الشك المتقدم وإنما يلزم في العلم المكيف الحادث فصل

قال ابن رشد وأما الطريقة الثانية فهي الطريقة التي استنبطها أبو المعالي في رسالته المعروفة بالنظامية ومبناها على مقدمتين إحداهما أن العالم بجميع ما فيه جائز أن يكون على مقابل ما هو عليه حتى يكون من الجائز مثلا أن يكون أصغر مما هو وأكبر مما هو عليه أو

". (٢)

"أرسطو طاليس ويقول إن الجائز وجوده وعدمه لا يكون إلا محدثا وينكر على ابن سينا قوله بأن الجائز وجوده وعدمه يكون قديما أزليا وحكايته لهذا عن أفلاطون قد يقال إنه لا يصح فيما يثبته قديما من

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٩/٩٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٩/١٠٧

الجواهر العقلية كالدهر والمادة والخلاء فإنه يقول بأنها جواهر عقلية قديمة أزلية لكن القول مع ذلك بأنها جائزة ممكنة ونقل ذلك عنه فيه نظر

وأما الأفلاك فالمنقول عن أفلاطون وغيره أنها محدثة فإن أرسطو طاليس يقول بقدم الأفلاك والعقول والنفوس وهي على اصطلاح هؤلاء ممكنة جائزة وعلى أصله يكون الجائز الممكن بنفسه أزليا وهم ينقلون إن أول من قال من هؤلاء بقدم العالم هو أرسطو طاليس وهو صاحب التعاليم وأما القدماء كأفلاطون وغيره فلم يكونوا يقولون بقدم ذلك وإن كانوا يقولون أو كثير منهم بقدم أمور أخرى قد يخلق منها شيء آخر ويخلق من ذلك شيء آخر إلى أن ينتهي الخلق إلى هذا العالم فهذا قول قدمائهم أو كثير منهم وهو خير من قول أرسطو وأتباعه

قال ابن رشد وأما أبو المعالي فإنه رام أن يبين هذه المقدمة

". (١)

"يمتنع أن تكون أزلية فيقال لهم قولكم الحركة تستلزم المسبوقية بالغير أتريدون بالغير سبق بعض أجزائها على بعض وهو المعنى الذي دللتم عليه أم تريدون أنها مسبوقة بالعدم أم مسبوقة بالفاعل

أما الأول وهو الذي دللتم عليه فإنه يقتضي نقيض قولكم وهو يقتضي أن الحركة لم يزل نوعها موجودا لأن كل ما هو حركة مسبوق بما هو حركة وكل حال تحول إليه المتحرك فهو مسبوق بحال أخرى وتلك الحال مسبوقة بأخرى فكان ما ذكرتموه دليلا على حدوث الحركة كما أنه يدل على حدوث أعيان الحركة وأجزائها فهو يدل على دوام نوعها وهو نقيض قولكم

فكان ما ذكرتموه حجة في محل النزاع إنما يدل على مواقع الإجماع وهو في محل النزاع حجة عليكم لا لكم وحينئذ فيقول المنازع نحن نقول بموجب دليلكم وهو حجة عليكم وإن أردتم أن مسمى الحركة مسبوق بالعدم فلم تذكروا على هذا دليلا أصلا وهو مورد النزاع

وإن أردتم أنه مسبوق بالفاعل فهذا أيضا يراد به أن كل جزء منها مسبوق بالفاعل ويراد به أن جنسها سبقه الفاعل سبقا انفصاليا وإن لم يقيموا دليلا على هذا فكان ما ذهبتم إليه لم تقيموا دليلا عليه وما أقمتم عليه دليلا لا يدل على قولكم بل على نقيضه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٩/١٢٤

ولذلك يقال لخصومهم الفلاسفة أنتم لم تقيموا دليلا على قدم شيء من العالم بل عامة ما أقمتموه من الأدلة يستلزم دوام الفاعلية وهذا يدل على نقيض قولكم فإنه يقتضي أنه لم يزل يفعل والمفعول لا يكون إلا ما حدث عن عدم

". (١)

"

وهذا حقيقة قول القدرية لكن جهم نفسه نفى كون العبد قادرا ونفى أن يكون له قدرة على فعل وحينئذ إذا قال إن القادر المختار يرجح أحد مقدوريه بلا مرجح لم ينتقض قوله بناء على أصله الفاسد

والأشعري وغيره ممن يقول إن العبد كاسب وله قدرة ويقولون ليس بفاعل حقيقة ولا لقدرته تأثير في المقدور إن حصل فرق معنوي بين قولهم وقول جهم احتاجوا إلى الفرق بين فعل الرب وفعل العبد وإلا كانوا مثل جهم

واما جمهور المثبتين للقدر الذين يقولون للعبد قدرة وفعل وهذا قول السلف والأئمة فعندهم أن العبد فاعل قادر مختار وهو لا يرجح أحد مقدوريه على الآخر إلا لمرجح

والرازي يميل إلى قول هؤلاء ويثبت للعبد قدرة وداعيا وأن مجموعهما يستلزم وجود الفعل

فهؤلاء الطوائف من الكلابية والكرامية والأشعرية ومن وافقهم من أهل الحديث والفقه وغيرهم وإن خالفوا المعتزلة في القدر فهم يشاركونهم في الأصل الذي بنى أولئك قولهم في القدر عليه وهم يناظرون الفلاسفة القائلين بالموجب بالذات وأهل الطبع القائلين بأن فاعل العالم علة تامة **أزلية** تستلزم معلولها

وهذا القول أشد فسادا فإن حقيقة قول هؤلاء أنه ليس لحوادث العالم محدث كما أن حقيقة قول القدرية أنه ليس لفعل الحيوان محدث فما قاله القدرية في فعل الحيوان قاله هؤلاء في جميع حوادث العالم

". (٢)

"الذين يستحقون العقوبة عليه ما لم نعلمه من حال أولئك

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٥٤/٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٦٧/٩

وإن كان أولئك قد بلغهم نبوة بعض الأنبياء وأرسل إليهم رسول فليس هو مثل محمد صلى الله عليه وسلم بل نعلم قطعا أنهم لم يأتهم كتاب مثل القرآن ولا رسول مثل محمد صلى الله عليه وسلم ولا شريعة كشريعته

وكل من علم حاله يعلم بالاضطرار من دينه أنه أخبر أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام وأنه خالق كل شيء وأن هذه الأفلاك ليست قديمة أزلية فالقائل بذلك مناقض لأخباره وأخبار موسى وغيرهما من المرسلين مناقضة لا يتمارى فيها من له معرفة بذلك وأي هذين الوجهين اختاره السالك فما فيه مختار

وأصل هذا الضلال جهلهم بحقيقة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ونصرهم لما يظنونه جاء به بما يظنونه من المعقول ومعارضتهم لما يعلم أنه جاء به بما يظنونه من المعقول وتوهمهم تعارض صحيح المنقول وصريح المعقول وهذا هو الكلام الذي عابه السلف والأئمة

وأما أهل المعرفة العالمون بالمعقول والمنقول فلا يقولون في سلفهم ما هو من لوازم قولهم كما أنهم لا يقولون في الأنبياء ذلك بل يعلمون قطعا أن كلام الأنبياء هو الحق وكل ما ناقضه من قول متفلسف أو متكلم أو غيرهما فباطل وأنه لا يجوز أن يكون في العقل ما يناقض قول الأنبياء ولا يجوز تعارض الأدلة العلمية والسمعية والعقلية أبدا ويعلمون أن جنس

". (١)

"مما غايتكم فيه إثبات دوام الحوادث إذ ليس في حججكم هذه وأمثالها ما يدل على قدم شيء من العالم لا السماوات التي أخبر الله أنه خلقها والأرض وما بينهما في ستة أيام ولا غير ذلك

فيقولون لهم الحوادث إما أن تكون لها بداية كما قلنا وإما أنه لا يجب ذلك كما قلتم فإن كان الأول بطل قولكم ولزم أن يكون للحوادث ابتداء فبطل قولكم بأن حركات الأفلاك أزلية وهو المطلوب

وإن كان الثاني أمكن أن يكون حدوث الفلك حركاته موقوفا على حوادث قبل ذلك كالحوادث اليومية وتلك الحوادث على حوادث أخرى وهذا مطابق لما أخبرت به الرسل من أن الله سبحانه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وكان عرشه على الماء ومطابق للأخبار المتضمنة أنه خلقها من

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٩/٢١٠

الدخان والبخار الذي حصل من الماء وذلك كله أسباب حادثة ومطابق لما أخبر به الله من أنه خالق كل شيء وليس في حججكم ما يناقض هذا

الوجه الثاني أن يقال دوام فاعلية الرب تعالى ودوام الحوادث يمكن معه أن تدوم الأفعال التي تقوم بالرب بمشيئته وقدرته وتحدث شيئا بعد شيء وأن تحدث حوادث منفصلة شيئا بعد شيء وعلى كل من التقديرين فلا يكون شيء من العالم قديما فلم قلتم إن الأمر ليس كذلك إن كان ما ذكرتموه صحيحا وإن كان باطلا فهو أبعد وأبعد

فإن اعتذروا بأن واجب الوجود لا تقوم به الصفات والأفعال كان الجواب من وجوه

(١) ".

"

وإذا قيل الذات أوجبت وجوده متعاقبا دائما لزم أن يكون الواحد البسيط القديم الذي لا صفة له ولا فعل يوجب لذاته أمورا منفصلة عنه متعاقبة مختلفة سواء كان بواسطة لازمة له أو بغير واسطة وهذا مع أنه باطل في ضرورة العقل فإنه ينقض أصولهم في تناسب الموجب والموجب ولزوم المعلول للعلة التامة وأن الواجب علة تامة

ومن المعلوم بصريح العقل أن المعلول الموجب إذا كان حادثا شيئا فشيئا فلا بد من حدوث أمر في علته الموجبة اقتضت ذلك وإلا فالعلة الموجبة إذا كانت عند الحادث الثاني كما كانت عند الحادث الأول كان تخصيصها للأول بالتقدم تخصيصا بلا مخصص وكان ترجيح الأول ترجيحا بلا مرجح

وأيضا فيمتنع أن تكون الحركات الحادثة شيئا بعد شيء معلول علة تامة قديمة أزلية يقارنها معلولها فإن العلة الأزلية التامة يقارنها معلولها والحركات الحادثة شيئا فشيئا ليس شيء منها مقارنا للعلة فامتنع أن يكون معلولا لها

وهذا بخلاف ما إذا كان الفاعل يحدث أفعاله القائمة به شيئا بعد شيء فإن ذاته واجبة الوجود بنفسها فلا يمتنع أن تكون مستلزمة لدوام الفعل وأما المفعولات فكلها ممكنة ليس فيها واجب بنفسه فامتنع أن يكون فيها ما يوجب الفعل الدائم بل ذلك مستند إلى الواجب بنفسه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٩/٢١٢

الثاني أن يقال هذا إنما يصح فيما كان لازما لنفسه في النفي والإثبات أما ما كان موقوفا على مشيئته وقدرته كأفعاله فإنه يكون إذا شاءه الله ولا يكون إذا لم يشأه وهم لا يمكنهم إقامة الدليل على أنه لا

". (١)

"الفصل التنبيه على الحجة التي لا يزال القائلون بالقدم يتمسكون بها ويعولون عليها وهي أن الأمور التي تتم بها مؤثرية الباري تعالى في العالم إما أن تكون بأسرها أزلية وإما أن لا تكون والثاني باطل إذ لو كان شيء منها حادثا لافتقر حدوثه إلى المؤثر والكلام في كونه مؤثرا في ذلك الآخر كالكلام في الأول فيلزم التسلسل وهو محال فإذا كل الأمور المعتبرة في مؤثرية الله تعالى في العالم أزلية

وأيضا فمن الظاهر أن المؤثر متى حصل مستجمعا جميع الأمور المعتبرة في المؤثرية وجب أن يترتب الأثر عليه لأنه إن جاز تخلف الأثر عنه كان صدور الأثر عن العلة المستجمعة لجميع تلك الأمور المعتبرة في المؤثرية ولا صدور عنها على السواء ولو كان كذلك لما ترجح الصدور على أن لا صدور إلا بمرجح آخر فلم تكن جميع الأمور المعتبرة في المؤثرية حاصلا قبل حصول هذا الزائد وكنا قد فرضنا أن الأمر كذلك هذا خلف

قال وإذا ثبتت المقدمتان لزم من قدم الباري قدم أفعاله هذا تحرير هذه الحجة

". (٢)

"

وعلى هذا التقدير فقول القائل الأمور التي تتم بها مؤثرية الباري في العالم إما أن تكون بأسرها أزلية وإما أن لا تكون أتريد به التي يتم بها مؤثريته في كل واحد واحد من آحاد العالم أو في جملة العالم

إن أردت الأول لم تكن بأسرها أزلية وكان حدوث كل واحد منها مفتقرا إلى حادث قبله وهذا التسلسل جائز عندهم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢١٨/٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٣٧/٩

وإذا أردت الثاني قيل لك ليس جملة العالم متوقفا على أمور معينة حتى يرد عليها هذا التقسيم بل بعض العالم يتوقف على أمور وبعض آخر يتوقف على أمور أخرى وكل بعض يتوقف على أمور حادثة وتلك الأمور تتوقف على أمور أخرى ويلزم من ذلك التسلسل في نوع الحوادث وهو جائز عندكم

وأما إن أريد بالتسلسل في الآثار التسلسل في جنس التأثير وهو أن يكون جنس التأثير متوقفا على جنس التأثير بحيث لا يحدث شيئا حتى يحدث شيئا فهذا باطل لا ريب فيه وهو تسلسل في تمام كون المؤثر مؤثرا وهو من جنس التسلسل في المؤثر

لكن بطلان هذا يستلزم أنه لم يفعل بعد أن لم يكن فاعلا لشيء فيلزم دوام نوع الفاعلية لا دوام مفعول معين وحينئذ فلا يدل على قدم شيء من العالم وهذا بين لمن تدبره

ويراد بالتسلسل معنى ثالث وهو أن فاعليته للحادث المعين لا تحصل حتى يحصل تمام المؤثر لهذا الحادث المعين فيلزم تسلسل الحوادث في الواحد وهذا ممتنع أيضا باتفاق العقلاء

." (١)

"

وعلى الآخر يمكن أن يقال بل العلم قديم العين ولكن تتجدد له الإضافات كما يقوله ابن كلاب

وهؤلاء جعلوا العلم ثابتا في الأزل دون التكوين فإذا ثبت أن كونه فاعلا لا يقتضي تكوينا قائما بذاته مع تجدد التكوينات الإضافية فهؤلاء إذا أثبتوا علما قديما وقالوا بتجدد تعلقاته كانوا أبعد عن الامتناع

وأما من جعل الفاعلية أمرا قائما بالفاعل وقال إنه يتجدد عند تجدد المفعولات فإنه إذا قال بتجدد عالمية بعد وجود المعلوم مع قوله إنه علم ما سيكون قبل أن يكون كان اقتضاء ذاته لهذه العالمية كاقتضائها لتلك الفاعلية وإذا كان واجب الوجود مع تلك الفاعلية فكذلك مع هذه العالمية

الوجه التاسع أنه إذا قدر واجب الوجود يقدر على الأفعال الحادثة شيئا فشيئا وقدر آخر لا يمكنه إحداث شيء قضى صريح العقل أن من أمكنه الإحداث شيئا بعد شيء هو أكمل ممن لا يمكنه إحداث شيء

وإذا قال القائل هذا كان فيه شيء بالقوة لا يخرج إلى الفعل إلا شيئا فشيئا وذاك كله بالفعل ليس فيه شيء بالقوة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٩/٢٣٩

قيل له كل ما لهذا بالفعل هو للآخر فإن ذاته وصفاته التي يمكن قدمها لازمة له وأما الحوادث التي لا يمكن وجودها إلا شيئا فشيئا فهذه يمتنع أن تكون بالفعل قديمة أزلية فلا تكون بالفعل

" (١).

"شخص وكذلك من غرضه أن يستفتي من يفتيه بحكم الله ومن غرضه أن يحاكم خصمه إلى من يحكم بينهما بالحق وأمثال ذلك

فهؤلاء قصدهم ابتدأ أمرا مطلقا كليا ليس غرضهم شخصا بعينه لكن لا يحصل مقصودهم إلا إذا قصدو شيئا معينا وإلا فما دامت ليس معهم إلا الإرادة المطلقة لا يفعلون شيئا إذ المطلق لا وجود له في الأعيان فلا يمكن وجود كلي في الخارج مع كونه كليا قط فمن لم يعلم إلا الكليات لم يمكنه أن يفعل شيئا قط ولا يكون عالما بشيء من الموجودات فإن الموجودات في الخارج ليس فيها كلي

فعلى قول هؤلاء لم يعلم الله شيئا من الموجودات بل ولا فعل شيئا من الموجودات وهذا أمر قطعي لا حيلة فيه كلما تدبره العاقل تبين له فساد هذا القول

وما استثناه ابن سينا من كونه يعلم الموجودات الثابتة بأعيانها لا يصح استثناؤها فإن تلك أيضا حادثة على القول الحق ويلحقها التغير كما يلحق غيرها فيجب إذا لم يعلم إلا الكليات أن لا يعلمها وعلى قول أولهم إنها أزلية أبدية فهي مستلزمة للتغيرات أما الأجسام فإنها لا تزال متحركة وأما العقول فلا حقيقة لها وبتقدير ثبوتها فإنها علل الأجسام المتغيرة عندهم

وقد تقدم أصله أن العلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فالعلم بالعلل إنما يوجب العلم بمعلولها والعلة أوجبت معلولات جزئية متغيرة

" (٢).

"الصحيحة العقلية أو الشرعية وقد قدمنا غير مرة أنه ليس لكم دليل ينفي ما سميتموه تركيبا عن واجب الوجود ولا ما ينفي الصفات حتى أن الغزالي مع نفيه لكون الرب جسما بين أنه لا دليل لكم على ذلك

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٣/١٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٧١/١٠

وأنتم تقولون لا دليل لنفاة المتكلمين على نفي ذلك كما قد حكى ذلك عن الفريقين في موضعه وبين ما ذكر في حجج الفريقين من الفساد العقلي والابتداع الشرعي

وأيضا فإذا كان لا يعلم إلا الأمور الكلية **الأزلية** الأبدية التي لا تقبل التغير فيجب أن لا يعلم أحدا من الأنبياء والرسل ولا شيئا مما أمروا به الناس فإنه ليس شيء من ذلك أزليا أبديا بل يجب أن لا يعرف وجود بني آدم ولا غيرهم من الحيوانات إلا إذا ثبت أن وجود ذلك لازم لوجود الأفلاك

ومعلوم أنهم ليس لهم دليل على قدم نوع من المركبات لا الإنسان ولا غيره من الحيوانات وإن اعتقدوا قدم الأفلاك فإن حدوث الحوادث السفلية هو عن حركات الأفلاك والحركات متنوعة وتحدث فيها أشكال غريبة فيجوز أن يكون حدوث ما حدث من الأنواع بسبب بعض الأشكال التي حدثت ولهذا يجوز عندهم تحول المعمور من الربع الشمالي إلى الجنوبي وغير ذلك من التغيرات العظيمة ويجب أن لا يكون له علم بالطوفانات العامة كطوفان نوح وغيره لأنه من هذا الباب بل يجب أن لا يكون عالما بشيء من أحوال الأفلاك وغيرها ما لم يثبت أن ذلك بعينه قديم أزلي

وهم لا دليل لهم على قدم شيء من العالم وإنما حججهم تدل

". (١)

"لوجهين أحدهما أن الحادث لا يحدث عن قديم أزلي أبدي بدون سبب حادث وهذا أصلهم الذي يقولون به

ثم نقول إن جاز حدوث الحادث عن القديم جاز أن يفعل بعد أن لم يكن فاعلا ولزم حينئذ علمه بالمحدثات وإن لم يجز ذلك امتنع أن يحدث عن العلة القديمة التامة شيء من الحوادث فلا يحدث في العالم شيء وإذا بطل كون العالم مخلوقا عن علة **أزلية** لم يحدث عنها لزم أن الحوادث حدثت عند كمال الموجب لحدوثها وذلك بحدوث تمام الموجب لحدوثه وذلك يرجع إلى أمور قائمة به متعلقة بمشيئته وقدرته وحينئذ فيجب علمه بها لأنها من لوازم نفسه ولامتناع وجودها بدون العلم بها

وأيضا فلأن الحوادث إنما هي صادرة عنه سواء صدرت بوسط أو بغير وسط فإن لم يكن عالما بها على الوجه الذي حدثت عليه لم يكن عالما بعلتها التامة المستلزمة لحدوثها لأن العلم بالعلة التامة يستلزم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٠/١٩٤

العلم بالمعلول فإذا قدر عدم العلم بالمعلول لزم عدم العلم بالعلة التامة وإذا امتنع العلم بالعلة التامة لزم أن ينتفي العلم بعلة العلة حتى يلزم عدم علمه التام بنفسه

وإذا قدر عالما بنفسه لزم علمه بكل حادث على الوجه الذي حدث عليه ولزم علمه بكل جزئي لأنه هو الفاعل له على هذا الوجه وإن كان بطريق اللزوم فإن علمه بالملزوم كفعله للملزوم والعلم التام بالملزوم يوجب العلم بلوازمه كما تقدم بيانه

". (١)

"بمحلها ما كان مبطلا فإن المتصف بالصفة إذا كان قديما أزليا واجبا بنفسه كيف يجب هذا فيه

ثم هؤلاء الفلاسفة يقولون إن الأفلاك قديمة أزلية وهذا الرجل لا يسميها مركبة ويبطل قول من يقول هي مركبة من الهيولي والصورة وقول من يقول هي ممكنة ومع هذا فهي جسم قائم به صفات وحركات فإذا كانت هذه لم تحتج عنده إلى ما يحتاج إليه المتكون فكيف يحتاج إلى ذلك ما هو واجب بنفسه

وقوله لأن التركيب شرط في وجود المركب معناه أن لزوم الصفة للموصوف أو أن التلازم الذي بين الأمور المتعددة في الواجب شرط في وجودها وهذا صحيح لكن الشرط لا يجب أن يتقدم المشروط بل تجوز مقارنته له وإذا كان الواجب الوجود واجبا بنفسه المتضمنة لصفاته وكل من صفاته لا يوجد إلا مع الأخرى ولا توجد الذات إلا بالصفات ولا الصفات إلا بالذات كان هذا هو حقيقة الاشتراط ولم يلزم من ذلك أن يكون المتصف بهذه الصفات هو علة فاعلة لما هو من لوازم وجوده ولما لا يوجد إلا معه وهو الشرط في وجوده

وإن عني بالعلة أعم من ذلك حتى جعل الشرط علة كان حقيقة قوله لا يكون الشيء شرطا في شرط وجوده وهذا ليس بصحيح بل يجوز أن يكون كل من الشيئين شرطا في وجود الآخر

". (٢)

"ص -٢٢٣- الرب لم يزل لا يفعل شيئا ولا يتكلم بشيء، ثم أحدث الكلام والفعل بلا سبب أصلا
.وطائفة أخرى كالكلابية ومن وافقهم يقولون : بل الكلام قديم العين؛ إما معني واحد، وإما أحرف وأصوات

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٠/١٩٦

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٠/٢٥٤

قديمة أزلية قديمة الأعيان، ويقول هؤلاء : إن الرب لم يزل لا يفعل شيئا، ولا يتكلم بمشيئته وقدرته، ثم حدث ما يحدث بقدرته ومشيئته؛ إما قائما بذاته، أو منفصلا عنه عند من يجوز ذلك، وإما منفصلا عنه عند من لم يجوز قيام ذلك بذاته .ومعلوم أن هذا القول أشبه بما أخبرت به الرسل من أن الله خالق كل شيء، وأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام . فمن ظن أنه ليس للناس إلا هذان القولان وكان مؤمنا بأن الرسل لا يقولون إلا حقا يظن أن هذا قول الرسل ومن اتبعهم . ثم إذا طولب بنقل هذا القول عن الرسل لم يمكنه ذلك، ولم يمكن لأحد أن يأتي بآية ولا حديث يدل على ذلك، لا نصا ولا ظاهرا، بل ولا يمكنه أن ينقل ذلك عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان .وقد جعلوا ذلك معني حدوث العالم الذي هو أول مسائل أصول." (١)

"ص -٢٤٢- القديمة الأزلية وزمانها قديم، فضلوا ضلالا مبينا مخالفا لصحيح المنقول المتواتر عن الأنبياء صلى الله عليهم وسلم ، مع مخالفته لصريح المعقول الذي عليه جمهور العقلاء من الأولين والآخرين .وطائفة ظنوا أنه لا يمكن أن يكون جنس الحركة والحوادث والفعل إلا بعد أن لم يكن شيء من ذلك، أو أنه يجب أن يكون فاعل الجميع لم يزل معطلا، ثم حدثت الحوادث بلا سبب أصلا، وانتقل الفعل من الامتناع إلى الإمكان بلا سبب، وصار قادرا بعد أن لم يكن بلا سبب، وكان الشيء بعد مالم يكن في غير زمان، وأمثال ذلك مما يخالف صريح العقل .وهم يظنون مع ذلك أن هذا قول أهل الملل من المسلمين وإليهود والنصاري، وليس هذا القول منقولا عن موسي، ولا عيسي، ولا محمد صلوات الله عليهم وسلامه، ولا عن أحد من أصحابهم، إنما هو مما أحدثه بعض أهل البدع، وانتشر عند الجهال بحقيقة أقوال الرسل وأصحابهم، فظنوا أن هذا قول الرسل صلى الله عليهم وسلم ، وصار نسبة هذا القول إلى الرسل وأتباعهم يوجب القدح فيهم؛ إما بعدم المعرفة بالحق في هذه المطالب العالية، وإما بعدم بيان الحق . وكل منهما يوجب عند هؤلاء أن يعزلوا الكتاب والسنة وآثار السلف عن الاهتداء .." (٢)

"ص -١٧٠- فأجاب رحمه الله :الحمد لله رب العالمين، إن كان مقصود هذا الحالف أن أصوات العباد بالقرآن، والمداد الذي يكتب به حروف القرآن قديمة أزلية، فقد حنث في يمينه . وما علمت أحدا من الناس يقول ذلك، وإن كان قد يكره تجريد الكلام في المداد الذي في المصحف وفي صوت العبد لئلا يتذرع بذلك إلى القول بخلق القرآن . ومن الناس من تكلم في صوت العبد وإن كنا نعلم أن الذي نقرأه هو

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٤/

كلام الله حقيقة، لا كلام غيره، وإن الذي بين اللوحين هو كلام الله حقيقة، لكن ما علمت أحدا حكم على مجموع المداد المكتوب به، وصوت العبد بالقرآن، بأنه قديم .ولكن الذين في قلوبهم زيغ من أهل الأهواء لا يفهمون من كلام الله وكلام رسوله وكلام السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان في باب صفات الله إلا المعاني التي تليق بالخلق، لا بالخالق، ثم يريدون تحريف الكلم عن مواضعه في كلام الله وكلام رسوله إذا وجدو ذلك فيها، وإن وجدوه في كلام التابعين للسلف افتروا الكذب عليهم، ونقلوا عنهم بحسب الفهم الباطل الذي فهموه، أو زادوا عليهم في الألفاظ، وغيروها قدرا ووصفا، كما نسمع من ألسنتهم، ونرى في كتبهم .ثم بعض من يحسن الظن بهؤلاء النقلة قد يحكي هذا المذهب عمن حكوه عنهم، ويذم ويبحث مع من لا وجود له وذمه واقع على موصوف غير." (١)

"ص -٤٦٦- وأما الحلول المطلق وهو أن الله تعالى بذاته حال في كل شيء، فهذا تحكيه أهل السنة والسلف عن قدماء الجهمية، وكانوا يكفرونهم بذلك .وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام، فما علمت أحدا سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع، مثل فرعون والقرامطة وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وأن وجود ذات الله خالق السموات والأرض، هي نفس وجود المخلوقات، فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره، ولا أنه رب العالمين، ولا أنه غني، وما سواه فقير .لكن تفرقوا على ثلاثة طرق، وأكثر من ينظر في كلامهم لا يفهم حقيقة أمرهم؛ لأنه أمر مبهم .الأول : أن يقولوا : إن الذوات بأسرها كانت ثابتة في العدم ذاتها أبدية أزلية، حتى ذوات الحيوان، والنبات والمعادن، والحركات والسكنات، وأن وجود الحق فاض على تلك الذوات، فوجودها وجود الحق، وذواتها ليست ذوات الحق، ويفرقون بين الوجود والثبوت، فما كنت به فى ثبوتك ظهرت به في وجودك .ويقولون : إن الله سبحانه لم يعط أحدا شيئا، ولا أغنى أحدا، ولا أسعده ولا أشقاه، وإنما وجوده فاض على الذوات، فلا تحمد إلا نفسك، و لا تذم إلا نفسك .." (٢)

"ص -١٦١- للإسكندر بن فيلبس المقدوني، الذي تؤرخ به اليهود والنصارى التاريخ الرومي، وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة .وقد يظنون أن هذا هو : [ذو القرنين] المذكور في القرآن، وأن أرسطو كان وزيرا لذي القرنين، المذكور في القرآن، وهذا جهل . فإن هذا الإسكندر بن فيلبس لم يصل إلى بلاد الترك، ولم يبن السد، وإنما وصل إلى بلاد الفرس .وذو القرنين المذكور في القرآن وصل إلى شرق الأرض

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٥١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦/٢٧

وغربها، وكان متقدما على هذا، يقال : إن اسمه الإسكندر بن دارا، وكان موحدا مؤمنا، وذاك مشركا، كان يعبد هو وقومه الكواكب والأصنام، ويعانون السحر، كما كان أرسطو وقومه من اليونان مشركين يعبدون الأصنام، ويعانون السحر، ولهم في ذلك مصنفات، وأخبارهم مشهورة، وآثارهم ظاهرة بذلك، فأين هذا من هذا ؟ !والمقصود هنا بيان ما يقوله هؤلاء الفلاسفة الباطنية فيما جاء به الرسول .والفريق الثاني منهم، يقولون : إن الرسول كان يعلم الحق الثابت في نفس الأمر في التوحيد والمعاد، ويعرف أن الرب ليس له صفة ثبوتية، وأنه لا يرى ولا يتكلم، وأن الأفلاك قديمة **أزلية** لم تزل ولا تزال، وأن الأبدان لا تقوم، وأنه ليس لله ملائكة هم أحياء ناطقون ينزلون بالوحي." (١)

"ص -٢٢١- قال : ولأنه لو كان الروح غير مخلوق ما دخلت النار، ولأنها لو كانت غير مخلوقة لما حجبت عن الله، ولا غيبت في البدن، ولا ملكها ملك الموت، ولما كانت صورة توصف؛ ولأنها لو لم تكن مخلوقة لم تحاسب ولم تعذب، ولم تتعبد ولم تخف، ولم ترج . ولأن أرواح المؤمنين تتلألأ وأرواح الكفار سود مثل الحمم .وقال صلى الله عليه وسلم : (أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ترتع في الجنة، وتأوى في فناء العرش) ، وأرواح الكفار في برهوت [بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول إلى قعرها] .وقال الشيخ أبو يعقوب النهرجوري : هذه الأرواح من أمر الله مخلوقة . خلقها الله من الملكوت، كما خلق آدم من التراب، وكل عبد نسب روحه إلى ذات الله أخرجه ذلك إلى التعطيل، والذين نسبوا الأرواح إلى ذات الله هم أهل الحلول الخارجون إلى الإباحة، وقالوا : إذا صفت أرواحنا من أكدار نفوسنا فقد اتصلنا، وصرنا أحرارا، ووضعت عنا العبودية، وأبيح لنا كل شيء من اللذات من النساء، والأموال وغير ذلك . وهم زنادقة هذه الأمة وذكر عدة مقالات لها وللزنادقة .قلت : واعلم أن القائلين بقدم الروح صنفان :صنف من الصابئة الفلاسفة، يقولون : هي قديمة **أزلية** لكن ليست من." (٢)

"ص -٤١٠- فزعموا أن قوله سبحانه ليس تنزيها له عن اتخاذ الولد بناء على أصلهم الفاسد، وهو أن الرب لا ينزه عن فعل من الأفعال بل يجوز عليه كل ما يقدر عليه .وكذلك جعلوا قول الأوزاعي وغيره : أن النزول ليس بفعل يشاؤه الله؛ لأنه عندهم من صفات الذات لا من صفات الفعل، بناء على أصلهم، وأن الأفعال الاختيارية لا تقوم بذات الله؛ فلو كان صفة فعل لزم ألا يقوم بذاته، بل يكون منفصلا عنه .وهؤلاء يقولون : النزول من صفات الذات، ومع هذا فهو عندهم أزلي كما يقولون مثل ذلك في الاستواء، والمجيء،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦٧/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧/٥٠

والإتيان، والرضا، والغضب، والفرح، والضحك، وسائر ذلك : إن هذا جميعه صفات ذاتية لله، وإنها قديمة أزلية، لا تتعلق بمشيئته واختياره؛ بناء على أصلهم الذي وافقوا فيه ابن كلاب، وهو أن الرب لا يقوم بذاته ما يتعلق بمشيئته واختياره، بل من هؤلاء من يقول : إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا يقوم به فعل يحدث بمشيئته واختياره .بل من هؤلاء من يقول : إن الفعل قديم أزلي، وإنه مع ذلك يتعلق بمشيئته وقدرته، وأكثر العقلاء يقولون : فساد هذا معلوم بضرورة العقل؛ كما قالوا." (١)

"ص -٤١٢- ولهذا يقول كثير منهم : إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول : آيات الصفات وأحاديث الصفات .وإما أن يجعلوا جميع هذه المعاني قديمة أزلية، ويقولون : نزوله ومجيئه، وإتيانه وفرحه، وغضبه ورضاه، ونحو ذلك : قديم أزلي، كما يقولون : إن القرآن قديم أزلي .ثم منهم من يجعله معنى واحدا، ومنهم من يجعله حروفا، أو حروفا وأصواتا قديمة أزلية، مع كونه مرتبا في نفسه . ويقولون : فرق بين ترتيب وجوده، وترتيب ماهيته، كما قد بسطنا الكلام على هذه الأمور في غير هذا الموضع على هذه الأقوال وقائليها، وأدلتها السمعية والعقلية في غير هذا الموضع .والمقصود هنا : أنه ليس شيء من هذه الأقوال قول الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا قول أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة أئمة السنة والجماعة وأهل الحديث كالأوزاعي، ومالك بن أنس، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وعبد الله بن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأمثالهم بل أقوال السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ومن سلك سبيلهم من أئمة الدين، وعلماء المسلمين، موجودة في الكتب التي ينقل فيها أقوالهم بألفاظها، بالأسانيد المعروفة عنهم .كما يوجد ذلك في كتب كثيرة، مثل كتاب [السنة] و [الرد على الجهمية]." (٢)

"ص -٥٣٠- أما الأولى : فقولهم : لو كان قديما لزم قدم المخلوق، يمنعهم ذلك من يقول : بأن الخلق فعل قديم يقوم بالخالق، والمخلوق محدث، كما يقول ذلك من يقوله من الكلابية والحنفية والحنبلية والشافعية والمالكية والصوفية وأهل الحديث، وقالوا : أنتم وافقتمونا على أن إرادته قديمة أزلية مع تأخر المراد، كذلك الخلق هو قديم أزلي وإن كان المخلوق متأخرا . ومهما قلتموه في الإرادة ألزمناكم نظيره في الخلق .وهذا جواب إلزامي جدلي لا حيلة لهم فيه .وأما المقدمة الثانية : وهي قولهم : لوكان حادثا قائما بالرب، لزم قيام الحوادث وهو ممتنع، فقد منعهم ذلك السلف وأئمة أهل الحديث، وأساطين الفلاسفة

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٩٣/٨٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٩٥/٨٠

وكثير من متقدميهم ومتأخريهم، وكثير من أهل الكلام، كالهشامية والكرامية، وقالوا : لا نسلم انتفاء اللازم، وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى على ذلك في [الأصل الثاني] .وأماالثالث : فقولهم : إن لم تقم به فهو محال، فهذا لم يمنعهم إياه إلا طوائف من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، فمنهم من قال : بل الخلق يقوم بالمخلوق، ومنهم من يقول : بل الخلق ليس في محل، كما تقول المعتزلة البصريون : فعل بإرادة لا في محل، وهذا ممتنع لا أعرفه عن أحد من السلف وأهل الحديث والفقهاء والصوفية والفلاسفة .." (١)

"ص -٥٤٥- واعتدوا به على من نازعهم من المسلمين، وفتحوا لعدو الإسلام بابا إلى مقصوده .فإن حقيقة قولهم إن الرب لم يكن قادرا، ولا كان الكلام والفعل ممكنا له، ولم يزل كذلك دائما مدة، أو تقدير مدة لا نهاية لها، ثم إنه تكلم وفعل من غير سبب اقتضى ذلك، وجعلوا مفعوله هو فعله، وجعلوا فعله وإرادة فعله قديمة أزلية والمفعول متأخرا، وجعلوا القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح وكل هذا خلاف المعقول الصريح وخلاف الكتاب والسنة، وأنكروا صفاته ورؤيته، وقالوا : كلامه مخلوق، وهو خلاف دين الإسلام .والذين اتبعوهم وأثبتوا الصفات قالوا : يريد جميع المرادات بإرادة واحدة، وكل كلام تكلم به أو يتكلم به إنما هو شيء واحد لا يتعدد ولا يتبعض، وإذا رؤى رؤى لابمواجهة، ولا بمعاينة، وإنه لم يسمع ولم ير الأشياء حتى وجدت، ثم لما وجدت لم يقم به أمر موجود، بل حاله قبل أن يسمع ويبصر كحاله بعد ذلك، إلى أمثال هذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح والمنقول الصحيح .ثم لما رأت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء، وأن هذا هو الإسلام الذي عليه هؤلاء، وعلموا فساد هذا أظهروا قولهم بقدم العالم، واحتجوا بأن تجدد الفعل بعد أن لم يكن ممتنع، بل لابد لكل متجدد من سبب حادث،." (٢)

"ص -٥٥٠- قال الله تعالى : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾ [الأنعام : ٨٣] .ولما فسر هؤلاء [الأفول] بالحركة، وفتحوا باب تحريف الكلم عن مواضعه، دخلت الملاحدة من هذا الباب، ففسر ابن سينا وأمثاله من الملاحدة الأفول بالإمكان الذي ادعوه حيث قالوا : إن الأفلاك قديمة أزلية وهي مع ذلك ممكنة، وكذلك ما فيها من الكواكب والنيرين . قالوا : فقول إبراهيم : ﴿ لا أحب الآفلين﴾ أي : لا أحب الممكن المعلول وإن كان قديما أزليا . وأين في لفظ الأفول ما يدل على هذا المعنى ؟ ولكن هذا شأن المحرفين للكلم عن مواضعه .وجاء بعدهم من جنس من زاد في التحريف فقال : المراد ب [الكواكب والشمس والقمر] هوالنفس والعقل الفعال والعقل

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢١٩/٨٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٣٤/٨٠

الأول . وقد ذكر ذلك أبوحامد الغزالي في بعض كتبه، وحكاه عن غيره في بعضها، وقال هؤلاء : الكواكب والشمس والقمر لا يخفي على ءاقل أنها ليست رب العالمين، بخلاف النفس والعقل .ودلالة لفظ الكواكب والشمس والقمر على هذه المعاني لو كانت موجودة." (١)

"ص –٥٥٧– بلا أصوات، وأن [الباء والسين والميم] مع تعاقبها في ذاتها فهي أزلية الأعيان لم تزل ولا تزال؛ كما بسطت الكلام على أقوال الناس في القرآن في موضع آخر .والمقصود هنا التنبيه على أصل مقالات الطوائف، وابن كلاب أحدث ما أحدثه لما اضطره إلى ذلك من دخول أصل كلام الجهمية في قلبه، وقد بين فساد قولهم بنفي علو الله ونفي صفاته . وصنف كتبا كثيرة في أصل التوحيد والصفات، وبين أدلة كثيرة عقلية على فساد قول الجهمية، وبين فيها أن علو الله على خلقه، ومباينته لهم، من المعلوم بالفطرة والأدلة العقلية القياسية، كما دل على ذلك الكتاب والسنة .وكذلك ذكرها الحارث المحاسبي في كتاب [فهم القرآن] وغيره . بين فيه من علو الله واستوائه على عرشه ما بين به فساد قول النفاة، وفرح الكثير من النظار الذين فهموا أصل قول المتكلمين، وعلموا ثبوت الصفات لله، وأنكروا القول بأن كلامه مخلوق، فرحوا بهذه الطريقة التي سلكها ابن كلاب، كأبي العباس القلانسي، وأبي الحسن الأشعري، والثقفي؛ ومن تبعهم، كأبي عبد الله بن مجاهد، وأصحابه، والقاضي أبي بكر، وأبي إسحاق الإسفرائيني، وأبي بكر بن فورك، وغير هؤلاء .وصار هؤلاء يردون على المعتزلة ما رده عليهم ابن كلاب والقلانسي." (٢)

"ص –٥٦٠– ثم نفاة الصفات يقولون : رجح بمجرد القدرة، وكذلك أصل القدرية، والمعتزلة جمعت بين الأمرين . وأما المثبتة كالكلابية والكرامية فيدعون أنه رجح بمشيئة قديمة أزلية . وكلا القولين مما ينكره جمهور العقلاء .ولهذا صار كثير من المصنفين في هذا الباب، كالرازي، ومن قبله من أئمة الكلام والفلسفة كالشهرستاني ومن قبله من طوائف الكلام والفلسفة لا يوجد عندهم إلا العلة الفلسفية، أو القادرية المعتزلية أو الإرادية الكلابية، وكل من الثلاثة منكر في العقل والشرع؛ ولهذا كانت بحوث الرازي في مسألة القادر المختار في غاية الضعف من جهة المسلمين، وهي على قول الدهرية أظهر دلالة .واحتج أهل الكلام المبتدع بأنه يمتنع وجود حوادث لا أول لها، ويقولون : لو وجدت حوادث لا أول لها، لكنا إذا قدرنا ما وجد قبل الطوفان وما وجد قبل الهجرة، وقابلنا بينهما، فإما أن يتساويا وهو ممتنع لأنه يكون الزائد مثل الناقص، وإما أن يتفاضلا، فيكون فيما لا يتناهي تفاضلا وهو ممتنع، ويذكرون حججا أخرى قد بسط

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٤٠/٨٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٤٧/٨٠

الكلام عليها في غير هذا الموضع .وقد تكلم الناس في هذه [الحجة] ونحوها، وبينوا فسادها؛ بأن التفاضل إنما يقع من الطرف المتناهي لا من الطرف الذي لا يتناهي، وبأن هذا." (١)

"ص -٨٦- فإذا قيل : لا يمكنه إحداث الحوادث بل مفعوله لازم لذاته، كان هذا نقصا بالنسبة إلى القادر الذي يفعل شيئا بعد شيء، وكذلك إذا قيل : جعل الشيء الواحد متحركا ساكنا موجودا معدوما صفة كمال، قيل : هذا ممتنع لذاته .وكذلك إذا قيل : إبداع قديم واجب بنفسه صفة كمال . قيل : هذا ممتنع لنفسه، فإن كونه مبدعا يقتضى ألا يكون واجبا بنفسه، بل واجبا بغيره، فإذا قيل : هو واجب موجود بنفسه، وهو لم يوجد إلا بغيره، كان هذا جمعا بين النقيضين .وكذلك إذا قيل : الأفعال القائمة والمفعولات المنفصلة عنه، إذا كان اتصافه بها صفة كمال، فقد فاتته في الأزل، وإن كان صفة نقص فقد لزم اتصافه بالنقائص . قيل : الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته يمتنع أن يكون كل منها أزليا .وأيضا، فلا يلزم أن يكون وجود هذه في الأزل صفة كمال، بل الكمال أن توجد حيث اقتضت الحكمة وجودها .وأيضا، فلو كانت أزلية لم تكن موجودة شيئا بعد شيء .فقول القائل : فيما حقه أن يوجد شيئا بعد شيء فينبغي أن يكون في الأزل، جمع بين النقيضين . وأمثال هذا كثير؛ فلهذا قلنا : الكمال الممكن الوجود، فما هو ممتنع في نفسه فلا حقيقة له، فضلا عن أن يقال : هو موجود . أو يقال : هو كمال للموجود .." (٢)

"ص -١٠٦- الصفات الفعلية إما بنقص وإما بكمال، فإن جاز ادعاء خلو أحدهما عن القسمين، أمكن الدعوى في الآخر مثله، و إلا فالجواب مشترك .وأما المتفلسفة فيقال لهم : القديم لا تحله الحوادث، ولا يزال محلا للحوادث عندكم، فليس القدم مانعا من ذلك عندكم، بل عندكم هذا هو الكمال الممكن الذي لا يمكن غيره، وإنما نفوه عن واجب الوجود؛ لظنهم عدم اتصافه به .وقد تقدم التنبيه على إبطال قولهم في ذلك، لاسيما وما قامت به الحوادث المتعاقبة يمتنع وجوده عن علة تامة، أزلية موجبة لمعلولها؛ فإن العلة التامة الموجبة يمتنع أن يتأخر عنها معلولها، أو شيء من معلولها، ومتى تأخر عنها شيء من معلولها كانت علة له بالقوة لا بالفعل، واحتاج مصيرها علة بالفعل إلى سبب آخر؛ فإن كان المخرج لها من القوة إلى الفعل هو نفسه، صار فيه ما هو بالقوة وهو المخرج له إلى الفعل، وذلك يستلزم أن يكون قابلا أو فاعلا، وهم يمنعون ذلك لامتناع الصفات التي يسمونها التركيب .وإن كان المخرج له غيره كان ذلك ممتنعا بالضرورة والاتفاق؛ لأن ذلك ينافى وجوب الوجود؛ ولأنه يتضمن الدور المعي والتسلسل في

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٥٠/٨٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢١/٨٨

المؤثرات، وإن كان هو الذي صار فاعلا للمعين بعد أن لم يكن، امتنع أن يكون علة تامة أزلية، فقدم شيء من العالم يستلزم كونه علة تامة في الأزل، وذلك يستلزم ألا يحدث عنه شيء بواسطة وبغير واسطة، وهذا مخالف للمشهود .." (١)

"ص -٢٢٦- محبة بل المراد ثوابا مخلوقا، ومنهم من يقول : بل ثم محبة قديمة أزلية إما الإرادة وإما غيرها، والقرآن يدل على قول السلف أئمة السنة المخالفين للقولين .وكذلك قوله : ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه ﴾ [محمد : ٢٨] ، فإنه يدل على أن أعمالهم أسخطته، فهي سبب لسخطه، وسخطه عليهم بعد الأعمال، لا قبلها، وكذلك قوله : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾ [الزخرف : ٥٥] ، وكذلك قوله : ﴿ ن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ [الزمر : ٧] ، علق الرضا بشكرهم وجعله مجزوما جزاء له، وجزاء الشرط لا يكون إلا بعده .وكذلك قوله : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ،و ﴿ يحب المتقين ﴾ [آل عمران : ٧٦] ، و ﴿ يحب المقسطين ﴾ [المائدة : ٤٢] ، و ﴿ يحب بذين يقاتلون في سبيله صفا ﴾ [الصف : ٤] ، ونحو ذلك، فإنه يدل عڑى أن المحبة بسبب هذه الأعمال، وهى جزاء لها، والجزاء إنما يكون بعد العمل والمسبب .." (٢)

"ص -٢٢٧- فصلوكذلك [السمع] و [البصر] و [النظر] . قال الله تعالى : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ﴾ [التوبة : ١٠٥] هذا في حق المنافقين، وقال في حق التائبين : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ وقوله : ﴿ فسيرى الله ﴾ دليل على أنه يراها بعد نزول هذه الآية الكريمة، والمنازع إما أن ينفي الرؤية، وإما أن يثبت رؤية قديمة أزلية . وكذلك قوله : ﴿ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾ [يونس : ١٤] ، ولام كي تقتضي أن ما بعدها متأخر عن المعلول، فنظره كيف يعملون هو بعد جعلهم خلائف .وكذلك : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ﴾ [المجادلة : ١] ، أخبر أنه يسمع تحاورهما حين كانت تجادل وتشتكي إلى الله، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده، فقولوا : ربنا ولك الحمد، يسمع الله لكم " ، فجعل سمعه لنا جزاء وجوابا للحمد، فيكون ذلك بعد الحمد والسمع يتضمن مع سمع القول قبوله وإجابته، ومنه قول الخليل : ﴿ إن ربي لسميع الدعاء ﴾

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤١/٨٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١/٩٣

[إبراهيم : ٩٣] .وكذلك قوله : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ [آل عمران : ١٨١] ، وقوله لموسى : ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ [طه : ٤٦] .." (١)

"ص -٢٣٠- وقد استدل أئمة السنة كأحمد وغيره على أن : كلام الله غير مخلوق، بأنه استعاذ به فقال : " من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل منه " فكذلك معافاته ورضاه غير مخلوقة؛ لأنه استعاذ بهما، والعافية القائمة ببدن العبد مخلوقة، فإنها نتيجة معافاته .وإذا كان الخلق فعله، المخلوق مفعوله، وقد خلق الخلق بمشيئته، دل على أن الخلق فعل يحصل بمشيئته ويمتنع قيامه بغيره، فدل على أن أفعاله قائمة بذاته، مع كونها حاصلة بمشيئته وقدرته، وقد حكى البخاري إجماع العلماء على الفرق بين الخلق والمخلوق، وعلى هذا يدل صريح المعقول .فإنه قد ثبت بالأدلة العقلية والسمعية أن كل ما سوى الله تعالى مخلوق محدث، كائن بعد أن لم يكن، وأن الله انفرد بالقدم **والأزلية**، وقد قال تعالى : ﴿ خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾ [الفرقان : ٥٩] ، فهو حين خلق السموات ابتداء، إما أن يحصل منه فعل يكون هو خلقا للسموات والأرض، وإما ألا يحصل منه فعل بل وجدت المخلوقات بلا فعل، ومعلوم أنه إذا كان الخالق قبل خلقها ومع خلقها سواء، وبعده سواء، لم يجز تخصيص خلقها بوقت دون وقت، بلا سبب يوجب التخصيص .وأيضا فحدوث المخلوق بلا سبب حادث ممتنع في بداية العقل، وإذا قيل : الإرادة والقدرة خصصت . قيل : نسبة الإرادة القديمة إلى جميع الأوقات سواء، وأيضا فلا تعقل إرادة تخصيص أحد المتماثلين إلا بسبب يوجب." (٢)

"ص -٢٣١- التخصيص،وأيضا فلابد عند وجود المراد من سبب يقتضي حدوثه، وإلا فلو كان مجرد ما تقدم من الإرادة والقدرة كافيا، للزم وجوده قبل ذلك؛ لأنه مع الإرادة التامة والقدرة التامة يجب وجود المقدور .وقد احتج من قال : الخلق هو المخلوق كأبي الحسن ومن اتبعه مثل ابن عقيل بأن قالوا : لو كان غيره لكان إما قديما وإما حادثا، فإن كان قديما لزم قدم المخلوق، لأنهما متضايفان، وإن كان حادثا لزم أن تقوم به الحوادث، ثم ذلك الخلق يفتقر إلى خلق آخر ويلزم التسلسل .فأجابهم الجمهور وكل طائفة على أصلها فطائفة قالت : الخلق قديم وإن كان المخلوق حادثا، كما يقول ذلك كثير من أهل المذاهب الأربعة، وعليه أكثر الحنفية، قال هؤلاء : أنتم تسلمون لنا أن الإرادة قديمة **أزلية**، والمراد محدث، فنحن نقول في الخلق ما قلتم في الإرادة .وقالت طائفة : بل الخلق حادث في ذاته، ولا يفتقر إلى خلق

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٢/٩٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥/٩٣

آخر، بل يحدث بقدرته . وأنتم تقولون : إن المخلوق يحصل بقدرته بعد أن لم تكن، فإن كان المنفصل يحصل بمجرد القدرة، فالمتصل به أولى، وهذا جواب كثير من الكرامية والهاشمية وغيرهم .وطائفة يقولون : هب أنه يفتقر إلى فعل قبله، فلم قلتم : إن ذلك ممتنع ؟ وقولكم : هذا تسلسل . فيقال : ليس هذا تسلسلا في الفاعلين، والعلل." (١)

"ص -٢٥١- الكمال، قال تعالى : ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص : ٨٨] ، وقال تعالى : ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن : ٢٦، ٢٧] .ولكن هؤلاء النفاة، هم الذين يلزمهم أن يكون قد تغير، فإنهم يقولون : كان في الأزل لا يمكنه أن يقول شيئا، ولا يتكلم بمشيئته وقدرته، وكان ذلك ممتنعا عليه لا يتمكن منه، ثم صار الفعل ممكنا يمكنه أن يفعل .ولهم في الكلام قولان : من يثبت الكلام المعروف وقال : إنه يتكلم بمشيئته وقدرته قال : إنه صار الكلام ممكنا له بعد أن كان ممتنعا عليه، ومن لم يصفه بالكلام المعروف، بل قال : إنه يتكلم بلا مشيئة وقدرة كما تقوله الكلابية، فهؤلاء أثبتوا كلاما لا يعقل، ولم يسبقهم إليه أحد من المسلمين، بل كان المسلمون قبلهم على قولين :فالسلف وأهل السنة يقولون : إنه يتكلم بمشيئته وقدرته، وكلامه غير مخلوق . والجهمية يقولون : إنه مخلوق بقدرته ومشيئته، فقال هؤلاء : بل يتكلم بلا مشيئته وقدرته، وكلامه شيء واحد لازم لذاته، وهو حروف، أو حروف وأصوات أزلية لازمة لذاته، كما قد بسط في غير هذا الموضع .والمقصود أن هؤلاء كلهم، الذين يمنعون أن الرب لم يزل يمكنه أن يفعل ما يشاء، ويقولون : ذلك يستلزم وجود حوادث لا تتناهى، وذلك محال، فهؤلاء يقولون : صار الفعل ممكنا له بعد أن كان ممتنعا عليه، وحقيقة قولهم : أنه." (٢)

"ص -٢٧٥- وحقيقة الأمر لو قام به حادث لامتنع خلوه منه قبل ذلك . ولم يقم على ذلك حجة .الثاني : أن وجوب اتصافه بهذا الكمال، وتنزيهه عن النقص، لم تذكر في كتبك عليه حجة عقلية، بل أنت وشيوخك كأبي المعالي وغيره تقولون : إن هذا لم يعلم بالعقل، بل بالسمع، وإذا كنتم معترفين بأن هذه المقدمة لم تعرفوها بالعقل، فالسمع إما نص وإما إجماع، وأنتم لم تحتجوا بنص، بل في القرآن أكثر من مائة نص حجة عليكم، والأحاديث المتواترة حجة عليكم . ودعوى الإجماع إذا كانت أزلية وجب أن يكون المقبول صحيح الوجود في الأزل .والدليل عليه : أن كون الشيء قابلا لغيره نسبة بين القابل والمقبول،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦/٩٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٦/٩٣

والنسبة بين المنتسبين متوقفة على تحقق كل واحد من المنتسبين، وصحة النسبة تعتمد وجود المنتسبين .فلما كانت صحة اتصاف الباري بالحوادث حاصلة في الأزل، لزم أن تكون صحة وجود الحوادث حاصلة في الأزل .فيقال لك : هذا الدليل بعينه موجود في كونه قادرا، فإن كون الشيء قادرا على غيره نسبة بين القادر والمقدور، والنسبة بين المنتسبين متوقفة على تحقيق كل واحد من المنتسبين، وصحة النسبة تعتمد وجود المنتسبين . فلما." (١)

"ص -٢٨٢- جميع الأضداد لكان إذا نهى عن بعض الأضداد لم يجب أن يكون مأمورا بشيء منها، لإمكان ألا يفعل ذلك الضد ولا غيره من الأضداد .فلما جعلوه مأمورا ببعضها، علم أن القادر على أحد الضدين لا يخلو منه ومن ضده، وحينئذ فإذا كان الرب لم يزل قادرا، لزم أنه لم يزل فاعلا لشيء أو لضده، فيلزم من ذلك أنه لم يزل فاعلا، وإذا أمكن أنه لم يزل فاعلا للحوادث أمكن أنه لم يزل قابلا لها . ويمكن أن يذكر هذا الجواب على وجه لا يقبل النزاع .الوجه الرابع عشر : فيقال : إن كان القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده، فالقادر على الشيء لا يخلو عنه وعن ضده؛ لأن القادر قابل لفعل المقدور، وإن كان قبول القابل للحوادث يستلزم إمكان وجودها في الأزل، فقدرة القادر أزلية على فعل الحوادث يستلزم إمكان وجودها في الأزل، وإن أمكن أن يكون قادرا مع امتناع المقدور، أمكن أن يكون قابلا مع امتناع المقبول .وإن قيل : قبوله لها من لوازم ذاته، قيل : قدرته عليها من لوازم ذاته . وحينئذ، فإن كان دوام الحوادث ممكنا، أمكن أنه لم يزل قادرا عليها، قابلا لها، وإن كان دوامها ليس بممكن، فقد صار قبوله لها وقدرته عليها ممكنا بعد أن لم يكن . فإن كان هذا جائزا جاز هذا، وإن كان هذا ممتنعا كان هذا ممتنعا، وعاد الأمر في هذه المسألة إلى نفس القدرة على دوام الحوادث وهو." (٢)

"ص -٣٠١- وجميع ما يحتج به الفلاسفة على قدم الفاعلية، إنما يدل على أنه لم يزل فاعلا لما يشاء، لا يدل على قدم فعل معين، ولا مفعول معين، لا الفلك ولا غيره .والغلط إنما نشأ بين الفريقين من اشتباه النوع الدائم بالعين المعينة، ثم إن أولئك قالوا : يمتنع قدم نوع الحركة والفعل لامتناع حوادث لا أول لها، فأبطلوا كون الرب لم يزل متكلما بمشيئته، ولم يزل فاعلا بمشيئته، بل يلزمهم أنه لم يكن قادرا على الفعل ثم صار قادرا، ولم يكن أيضا قادرا على الكلام بمشيئته . ثم منهم من يقول : صار قادرا على الكلام بمشيئته بعد أن لم يكن كالكرامية، ومنهم من يقول لم يصر قادرا على الكلام ولا يمكنه الكلام بمشيئته

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤/٩٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١/٩٥

قط، وهم الكلابية، ومن وافقهم من الأشعرية، والسالمية .وأما الفلاسفة، فقالوا ما قاله مقدمهم أرسطو . فكل من قال : إن جنس الحركة حدثت بعد أن لم تكن، فإنه مكابر لعقله . وقالوا : يمتنع ذلك في جنس الحوادث بعد أن لم تكن بلا سبب حادث، والعلم بذلك ضروري .فيقال لهم : هذا يدل على أنه لم يزل هذا النوع موجودا، لا يدل على قدم عين حركة الفلك، وكذلك القول في الزمان والجسم، فإن أدلتهم تقتضى أنه لم يزل موجودا : حركة وقدرها وهو الزمان،وفاعلها هو الذي يسمونه الجسم، لكن لا يقتضي قدم شيء بعينه . فإذا قيل : إن رب العالمين لم يزل متكلما بمشيئته فاعلا لما يشاء،كان نوع الفعل لم يزل موجودا وقدره وهو الزمان موجودا،لكن أرسطو وأتباعه غلطوا،حيث ظنوا أنه لا زمان إلا قدر حركة الفلك، وأنه لا حركة فوق الفلك ولا قبله، فتعين أن تكون حركته أزلية .." (١)

"ص -٣٠٦- ولهذا لما أجابهم المتكلمون عن هذا بأجوبة متعددة كانت كلها فاسدة مثل قول بعضهم : المرجح هو العلم، وقول بعضهم هو الإرادة، وقول بعضهم : المرجح مجرد كونه قادرا، وقول بعضهم : المرجح إمكان الفعل بعد امتناعه؛ لامتناعه في الأزل، ونحو ذلك . فقالوا هذه الأجوبة باطلة لوجهين :أحدهما : أن جميع ما ذكر إن كان موجودا في الأزل فقد دخل في القسم الأول، وإن لم يكن موجودا في الأزل فقد دخل في القسم الثاني، وقد قلنا : إن جميع الأمور المعتبرة في التأثير إن كانت أزلية لزم كون الأثر أزليا، وإن كان بعضها غير أزلي ثم حدث بعد ذلك، لزم رجحان وجود الممكن على عدمه بلا مرجح، وحدثت الحوادث بلا محدث، فإنه لو أحدث تمام المؤثر به ولم يكن المؤثر تاما في الأزل، حدث ذلك بلا سبب .والوجه الثاني : أن نسبة القدرة والإرادة والعلم ونفس الأزل إلى وقت حدوث العالم، كنسبته إلى ما قبل ذلك وما بعد ذلك، فيمتنع أن تكون هذه هي الموجبة لوجوده في ذلك الوقت دون ما قبله وما بعده .قال الرازي في كتابه [الكبير] : والجواب الباهر أن نقول : كانت النفس أزلية، وهي متحركة دائما؛ ثم حصل من تلك الحركات المتعاقبة صفة مخصوصة كانت هي سبب حدوث الأجسام، فبهذا ثبت السبب الحادث الموجب لاختصاص ذلك الوقت بحدوث الأجسام فيه، وعلى هذا فالأجسام حادثة وهو موجب أدلة المتكلمة، والفاعل لم يزل فاعلا لقدم النفس المعلولة له، وهو موجب أدلة." (٢)

"ص -٣٠٩- وهذا المذهب اشتمل على أنواع من الفساد : منها إثبات قديم غير الأول بلا حجة، ومنها إثبات نفس مجردة عن الجسم، وأن لها حركة بدون الجسم، وهذا خلاف مذهب أرسطو وأتباعه،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥/٩٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٠/٩٦

لكن هؤلاء يقولون : نحن نلتزم أن النفس مع تجردها عن الجسم لها حركة، وهذا هو الصحيح، لكن يقال : أثبتم قدمها وأنها لم تزل غير متحركة ثم تحركت بلا سبب، وهذا فاسد . وأنتم لم تقيموا دليلا على قدمها، بل ولا على وجودها وأنها ليست بجسم .وكذلك يقال لمن أثبت العقول والنفوس من المتفلسفة وأنها ليست مشارا إليها : أدلتكم على ذلك ضعيفة كلها، بل باطلة؛ ولهذا صار الطوسي الذي هو أفضل متأخريهم إلى أنه لا دليل على إثباتها .وأما المتكلمون، فإنهم يقولون : نحن نعلم بالاضطرار أن الممكن لابد أن يكون مشارا إليه بأنه هنا أو هناك، فإثبات ما لا يشار إليه معلوم الفساد بالضرورة، وقد ذكروا هذا في كتبهم . وقول الرازي : إنهم لم يقيموا دليلا على انحصار الممكن في الجسم والعرض ليس كما قال، بل قالوا : نحن نعلم بالاضطرار أن الممكن لابد أن يكون مشارا إليه، يتميز منه جانب عن جانب .ثم كثير منهم من هؤلاء ذكر هذا مطلقا في القديم والحادث، وأصوات قديمة **أزلية** .ثم من هؤلاء من قال : وهي مع ذلك صفة واحدة، ومنهم من قال : بل هي متعددة، ومن هؤلاء من قال : إن تلك الأصوات **الأزلية** هي." (١)

"ص -٣١٤- إلا بالدليل، وهو الدليل على حدوث الأجسام وأنها لم تخل من الأعراض، ويقولون : المعلوم بالمشاهدة حدوث التأليف فقط، كما يقوله أولئك في كلام العبد، وأن المحدث هو تأليف فقط .والقائلون بوحدة الوجود يقولون : نفس وجود العبد هو نفس وجود الرب، وكل هذه الأقوال قد باشرت أصحابها وهم من أعيان الناس وجرى بيني وبينهم في ذلك ما يطول وصفه، وهدى الله ما شاء الله من الخلق، فانظر كيف اضطرب الناس في أنفسهم التي قيل لهم : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [الذاريات٢١] .والمتفلسفة يقولون : مادة بدن الإنسان وسائر المواد قديمة **أزلية**، وهذه الأقوال فيها مضاهاة لقول فرعون من بعض الوجوه، وأصحاب الوحدة يصرحون بتعظيم فرعون، وأنه صدق في قوله : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات : ٢٤] ، ففي تثنية الله لقصة فرعون في القرآن عبرة؛ فإن الناس محتاجون إلى الاعتبار بها، كما قال : ﴿ فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴾ [الزخرف : ٥٦] .." (٢)

"ص -٣٣٤- احتجوا بوجوب قدم الزمان والحركة وهي الصورية، وبوجوب قدم المادة؛ لأن كل محدث مسبوق بالإمكان فلابد له من محل، فكل حادث تقبله مادة يقبله، وأما العلة الغائية فمن جنس الفاعلية فيقال لهم : هذه الحجج إنما تدل على مذهب السلف والأئمة، كما تقدم، و هي تدل على بطلان قولهم .وأما قدم الفاعلية، وهو : أنه ما زال فاعلا، فيقال : هذا لفظ مجمل، فأنتم تريدون بالفاعل أن مفعوله

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٣/٩٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٨/٩٦

مقارن له في الزمان، وإذا كان فاعلا بهذا الاعتبار وجب مقارنة مفعوله له فلا يتأخر فعله، فهذه عمدتكم، والفاعل عند عامة العقلاء وعند سلفكم، وعندكم أيضا في غير هذا الموضع هو الذي يفعل شيئا فيحدثه، فيمتنع أن يكون المفعول مقارنا له بهذا الاعتبار، بل على هذا الاعتبار يجب تأخر كل مفعول له، فلا يكون في مفعولاته شيء قديم بقدمه، فيكون كل ما سواه محدث .ثم للناس هنا طريقان :منهم من يقول : يجب تأخر كل مفعول له ، وأن يبقى معطلا عن الفعل ثم يفعل، كما يقوله أهل الكلام المبتدع من أهل الملل، من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم . وهذا النفي يناقض دوام الفاعلية فهو يناقض موجب تلك الحجج .والثاني : أن يقال : ما زال فاعلا لشيء بعد شيء فكل ما سواه محدث كائن بعد أن لم يكن، وهو وحده الذي اختص بالقدم **والأزلية**، فهو الأول القديم الأزلي ليس معه غيره، وأنه ما زال يفعل شيئا بعد شيء .." (١)

"ص -٥٢٤- للحس، والعقل والشرع، وأما الأول فمراده أن بين ذلك قدرا مشتركا، كما أن الموجودات تشترك في مسمى الوجود، وأنواع الكلام تشترك في مسمى الكلام، وقد بسط هذا كله في غير هذا الموضع .ثم إن طائفة أخرى لما عرفت فساد قول ابن كلاب في مسألة الكلام، ووافقته على أصله في أن الله لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته، وكان من قولها : إن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يكن عندها إلا قديم لا يتعلق بمشيئة الله وقدرته، أو مخلوق منفصل عنه، لزمها أن تقول : إن الله يتكلم بصوت أو أصوات قديمة **أزلية** لا تتعلق بمشيئته وقدرته، وأنه لم يزل ولا يزال متصفا بتلك الأصوات القديمة **الأزلية** اللازمة لذاته . وهذا القول يذكر عن أبي الحسن بن سالم، شيخ أبي طالب المكي إن صح عنه لكنه قول كثير من أصحاب ابن سالم، ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم .وقالت الكرامية، وطائفة كثيرة من المرجئة والشيعة وغيرهم : إن الله يتكلم بأصوات تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، وأنه تقوم به الحوادث المتعلقة بمشيئته وقدرته، لكن ذلك حادث بعد أن لم يكن، وأن الله في الأزل لم يكن متكلما إلا بمعنى القدرة على الكلام،وأنه يصير موصوفا بما يحدث بقدرته وبمشيئته بعد أن لم يكن كذلك، وهؤلاء رأوا أنهم يوافقون الجماعة في أن لله أفعالا تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، ويقوم به غير ذلك من الإرادات والكلام الذي يتعلق بمشيئته وقدرته .." (٢)

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٨/٩٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٣/١٠٥

"ص -٥٢٦- إذا لم يمكنا أن نجيبكم بجواب قاطع يحل شبهتكم غير الجواب الإلزامي إلا بموافقتكم فيما يخالف الشرع والعقل، أو موافقة إخواننا المسلمين فيما لا يخالف الشرع، ويمكن أيضا ألا يخالف العقل كان هذا أولى فإن الفلاسفة طمعت في طوائف أهل القبلة بما ابتدعه كل فريق،فأخذت بدعة أصحابها واحتجت بها عليهم،فأمكن صاحب ذلك القول المبتدع أن يقول : رجوعي عن هذا القول المبتدع مع موافقتي لما دل عليه الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة، أحب إلي من أن أوافق الفلاسفة على قول أعلم أنه كفر في الشرع، مع أن العقل أيضا يبين فساده .وأما السلف والأئمة، فلم ينقل عن أحد منهم أنه قال بقول من قال : إن القرآن مخلوق، ولا بقول من قال : إنه معنى واحد قائم بالذات هو الأمر، والنهي والخبر، وهو مدلول التوراة، والإنجيل، والقرآن، وغير ذلك من العبارات، ولا بقول من قال : إنه أصوات قديمة أزلية لا تتعلق بمشيئته وقدرته، ولا بقول من قال : إن الله كان لا يتكلم حتى أحدث لنفسه كلاما صار به متكلما .وأما القول بأن أصوات العباد بالقرآن أو ألفاظهم قديمة أزلية، فهذا أيضا من البدع المحدثة، التي هي أظهر فسادا من غيرها، والسلف والأئمة من أبعد الناس عن هذا القول . والعقل الصريح يعلم أن من جعل أصوات العباد قديمة أزلية، كان قوله معلوم الفساد بالضرورة .." (١)

"ص -٥٢٨- ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾ [سبأ : ٢٣] ، وذكر ما دل على أن الله يتكلم بصوت وهو القدر .وكما أنه المعروف عند أهل السنة والحديث، فهو قول جماهير فرق الأمة، فإن جماهير الطوائف يقولون : إن الله يتكلم بصوت مع نزاعهم في أن كلامه هل هو مخلوق، أو قائم بنفسه ؟ قديم أو حادث ؟ أو ما زال يتكلم إذا شاء ؟ فإن هذا قول المعتزلة، والكرامية، والشيعة وأكثر المرجئة، والسالمية، وغير هؤلاء من الحنفية والمالكية، والشافعية، والحنبلية،والصوفية .وليس من طوائف المسلمين من أنكر أن الله يتكلم بصوت إلا ابن كلاب ومن اتبعه كما أنه ليس في طوائف المسلمين من قال : إن الكلام معنى واحد قائم بالمتكلم إلا هو ومن اتبعه، وليس في طوائف المسلمين من قال : إن أصوات العباد بالقرآن قديمة أزلية، ولا أنه يسمع من العباد صوتا قديما، ولا أن القرآن نسمعه نحن من الله، إلا طائفة قليلة من المنتسبين إلى أهل الحديث من أصحاب الشافعي وأحمد وداود وغيرهم، وليس في المسلمين من يقول : إن الحرف الذي هو مداد المصاحف قديم أزلي، فإثبات الحرف والصوت بمعنى أن المداد وأصوات العباد قديمة بدعة باطلة لم يذهب إليها أحد من الأئمة،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥/١٠٥

وإنكار تكلم الله بالصوت، وجعل كلامه معنى واحدا قائما بالنفس بدعة باطلة لم يذهب إليها أحد من السلف والأئمة .والذي اتفق عليه السلف والأئمة : أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق،." (١)

"ص -٤٣٠- عند الله مؤمنا وكافرا، باعتبار الموافاة، وما سبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به . قالوا : والإيمان الذي يتعقبه الكفر، فيموت صاحبه كافرا، ليس بإيمان، كالصلاة التي يفسدها صاحبها قبل الكمال، وكالصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب، وصاحب هذا هو عند الله كافر لعلمه بما يموت عليه، وكذلك قالوا في الكفر، وهذا المأخذ مأخذ كثير من المتأخرين من الكلابية وغيرهم ممن يريد أن ينصر ما اشتهر عن أهل السنة والحديث، من قولهم : أنا مؤمن إن شاء الله، ويريد مع ذلك أن الإيمان لا يتفاضل، ولا يشك الإنسان في الموجود منه، وإنما يشك في المستقبل، وانضم إلى ذلك أنهم يقولون : محبة الله ورضاه وسخطه وبغضه قديم، ثم هل ذلك هو الإرادة أم صفات أخر ؟ لهم في ذلك قولان :وأكثر قدمائهم يقولون : إن الرضى والسخط والغضب ونحوذلك، صفات ليست هي الإرادة، كما أن السمع والبصر ليس هو العلم، وكذلك الولاية والعداوة . هذه كلها صفات قديمة أزلية عند أبى محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ومن اتبعه من المتكلمين، ومن أتباع المذاهب من الحنبلية والشافعية والمالكية وغيرهم .قالوا : والله يحب في أزله من كان كافرا إذا علم أنه يموت مؤمنا . فالصحابة ما زالوا محبوبين لله وإن كانوا قد عبدوا الأصنام مدة من الدهر، وإبليس ما زال الله يبغضه وإن كان لم يكفر بعد . وهذا على أحد القولين لهم، فالرضى والسخط." (٢)

"ص -٨٧- يقتضى الحدوث أم لا ؟ فإن قيل : لم يحدث سبب، لزم الترجيح بلا مرجح، وإن قيل : حدث سبب، لزم التسلسل كما تقدم .الوجه الثاني : الذي يبين بطلان قولهم أن يقال : مضمون الحجة : أنه إذا لم يكن ثم علة قديمة، لزم التسلسل أو الترجيح بلا مرجح، والتسلسل عندكم جائز، فإن أصل قولهم : إن هذه الحوادث متسلسلة شيئا بعد شيء، وإن حركات الفلك توجب استعداد القوابل لأن تفيض عليها الصور الحادثة من العلة القديمة سواء قلتم : هي العقل الفعال، أو هي الواجب الذي يصدر عنه بتوسط العقول،أو غير ذلك من الوسائط، وإذا كان التسلسل جائزا عندكم لم يمتنع حدوث الحوادث من غير علة موجبة للمعلول وإن لزم التسلسل، بل هذا خير في الشرع والعقل من قولكم ،وذلك أن الشرع أخبر أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام وهذا مما اتفق عليه أهل الملل المسلمون واليهود والنصارى

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٧/١٠٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٧٩/١١

فإن قيل : إنه خلقها بسبب حادث قبل ذلك، كان خيرا من قولكم : إنها قديمة أزلية معه في الشرع، وكان أولى في العقل؛ لأن العقل ليس فيه ما يدل على قدم هذه الأفلاك حتى يعارض الشرع، وهذه الحجة العقلية إنما تقتضي أنه لا يحدث شيء إلا بسبب حادث، فإذا قيل : إن السموات والأرض خلقها الله تعالى بما حدث قبل ذلك، لم يكن في حجتكم العقلية ما يبطل هذا .الوجه الثالث : أن يقال : حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية، إما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتنعا، فإن كان ممتنعا في العقل، لزم أن الحوادث جميعها." (١)

"ص -٢٤٧- أريد بذا أن الحوادث كلها بقدرته كانت، ومحض المشيئةومالكنا في كل ما قد أراده له الحمد حمدا يعتلي كل مدحةفإن له في الخلق رحمته سرت ومن حكم فوق العقول الحكيمةأمورا يحار العقل فيها إذا رأى من الحكم العليا وكل عجيبةفنؤمن أن الله عز بقدرة وخلق وإبرام لحكم المشيئةفنثبت هذا كله لإلهنا ونثبت ما في ذاك من كل حكمةوهذا مقام طالما عجز الأولى نفوه وكروا راجعين بحيرةوتحقيق ما فيه بتبيين غوره وتحرير حق الحق في ذي الحقيقةهو المطلب الأقصى لوراد بحره وذا عسر في نظم هذي القصيدةلحاجته إلى بيان محقق لأوصاف مولانا الإله الكريمةوأسمائه الحسنى، وأحكام دينه وأفعاله في كل هذي الخليقةوهذا بحمد الله قد بان ظاهرا وإلهامه للخلق أفضل نعمةوقد قيل في هذا وخط كتابه بيان شفاء للنفوس السقيمةفقولك : لم قد شاء ؟ مثل سؤال من يقول : فلم قد كان في الأزلية؛وذاك سؤال يبطل العقل وجهه وتحريمه قد جاء في كل شرعةوفي الكون تخصيص كثير يدل من له نوع عقل : أنه بإرادة." (٢)

"ص -٩٨- الأشياء التي هي ماهياتها مع قطع النظر عن وجودها في الخارج فتخيل الغالط أن هذه الحقائق والماهيات أمور ثابتة في الخارج .والتحقيق : أن ذلك كله أمر ثابت في الذهن . والمقدر في الأذهان أوسع من الموجود في الأعيان، وهو موجود وثابت في الذهن، وليس هو في نفس الأمر لا موجودا ولا ثابتا، فالتفريق بين الوجود والثبوت وكذلك التفريق بين الوجود والماهية مع دعوى أن كليهما في الخارج غلط عظيم .وهؤلاء ظنوا أن الحقائق النوعية كحقيقة الإنسان والفرس وأمثال ذلك ثابتة في الخارج غير الأعيان الموجودة في الخارج، وأنها أزلية لا تقبل الاستحالة وهذه التي تسمى : [المثل الأفلاطونية] . ولم يقتصروا على ذلك؛ بل أثبتوا أيضا ذلك في المادة والماهية والمكان، فأثبتوا مادة مجردة عن الصور،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٨/١٢٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤/١٢٩

ثابتة في الخارج : وهي الهيولي الأولية التي بنوا عليها قدم العالم، وغلطهم فيها جمهور العقلاء . والكلام على من فرق بين الوجود والماهية مبسوط في غير هذا الموضع .والمقصود هنا التنبية على أن ما ذكروه في المنطق من الفرق بين الماهية ووجودها في الخارج هو مبني على هذا الأصل الفاسد . وحقيقة الفرق الصحيح أن الماهية هي ما يرتسم في النفس من الشيء، والوجود ما يكون في الخارج منه،." (١)

"ص -١٠٤- وقد ذكر المناطقة أن القضايا المعلومة بالتواتر والتجربة والحواس يختص بها من علمها، ولا تكون حجة على غيره، بخلاف غيرها، فإنها مشتركة يحتج بها على المنازع، وهذا تفريق فاسد، وهو أصل من أصول الإلحاد والكفر . فإن المنقول عن الأنبياء بالتواتر من المعجزات وغيرها . يقول أحد هؤلاء بناء على هذا الفرق : هذا لم يتواتر عندي فلا تقوم به الحجة على، وليس ذلك بشرط، ومن هذا الباب إنكار كثير من أهل البدع والكلام والفلسفة لما يعلمه أهل الحديث من الآثار النبوية؛ فإن هؤلاء يقولون : إنها غير معلومة لنا كما يقول من يقول من الكفار : إن معجزات الأنبياء غير معلومة له؛ وهذا لكونهم لم يعلموا السبب الموجب للعلم بذلك، والحجة قائمة عليهم تواتر عندهم أم لا .وقد ذهب الفلاسفة أهل المنطق إلى جهالات قولهم : إن الملائكة هي العقول العشرة، وإنها قديمة أزلية، وإن العقل رب ما سواه، وهذا شيء لم يقل مثله أحد من اليهود والنصارى ومشركي العرب،ولم يقل أحد : إن ملكا من الملائكة رب العالم كله، ويقولون : إن العقل الفعال مبدع كل ما تحت فلك القمر، وهذا أيضا كفر لم يصل إليه أحد من كفار أهل الكتاب ومشركي العرب، ويقولون : إن الرب لا يفعل بمشيئته وقدرته، وليس عالما بالجزئيات، ولا يقدر أن يغير العالم، بل العالم فيض فاض عنه بغير مشيئته وقدرته وعلمه،." (٢)

"ص -١٢٥- الموجودات، ولا صارت عالما معقولا موازيا للعالم الموجود، بل صارت عالما لأمور كلية مقدرة لا يعلم بها شيء من العالم الموجود، وأي خير في هذا فضلا عن أن يكون كمالا .والثاني : أن يقال : أشرف الموجودات هو [واجب الوجود] ، ووجوده معين لا كلي؛ فإن الكلي لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، وواجب الوجود يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، وإن لم يعلم منه ما يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، بل إنما علم أمر كلي مشترك بينه وبين غيره لم يكن قد علم واجب الوجود، وكذلك [الجواهر العقلية] عندهم، وهي العقول العشرة، أو أكثر من ذلك عند من يجعلها أكثر من ذلك عندهم، كالسهروردي المقتول، وأبي البركات وغيرهما . كلها جواهر معينة، لا أمور كلية، فإذا لم نعلم إلا الكليات، لم نعلم شيئا

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٨/١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٤/١٤٨

منها، وكذلك الأفلاك التي يقولون : إنها أزلية أبدية، فإذا لم نعلم إلا الكليات، لم تكن معلومة، فلا نعلم واجب الوجود ولا العقول، ولا شيئا من النفوس ولا الأفلاك ولا العناصر ولا المولدات، وهذه جملة الموجودات عندهم، فأي علم هنا تكمل به النفس ؟الثالث : أن تقسيمهم العلوم إلى الطبيعي والرياضي والإلهي، وجعلهم الرياضي أشرف من الطبيعي . والإلهي أشرف من الرياضي، هو مما قلبوا به الحقائق، فإن العلم الطبيعي وهو العلم بالأجسام الموجودة في الخارج، ومبدأ." (١)

"ص -١٢٧- تجمع هذه كلها، فنسبة أحد المضروبين إلى المرتفع كنسبة الواحد إلى المضروب الآخر، ونسبة المرتفع إلى أحد المضروبين نسبة الآخر إلى الواحد .فهذه الأمور وأمثالها مما يتكلم فيه الحساب أمر معقول مما يشترك فيه ذوو العقول، وما من أحد من الناس إلا يعرف منه شيئا فإنه ضروري في العلم، ولهذا يمثلون به في قولهم : الواحد نصف الاثنين، ولا ريب أن قضاياه كلية واجبة القبول لا تنتقض البتة .وهذا كان مبدأ فلسفتهم التي وضعها [فيثاغورس] وكانوا يسمون أصحابه أصحاب العدد، وكانوا يظنون أن الأعداد المجردة موجودة خارجة عن الذهن، ثم تبين لأفلاطون وأصحابه غلط ذلك، وظنوا أن الماهيات المجردة كالإنسان والفرس المطلق موجودات خارج الذهن وأنها أزلية أبدية، ثم تبين لأرسطو وأصحابه غلط ذلك، فقالوا : بل هذه الماهيات المطلقة موجودة في الخارج مقارنة لوجود الأشخاص، ومشى من مشى من أتباع أرسطو مِن المتأخرين على هذا، وهو أيضا غلط . فإن ما في الخارج ليس بكلي أصلا، وليس في الخارج إلا ما هو معين مخصوص . وإذا قيل : الكلي الطبيعي في الخارج، فمعناه إنما هو كلي في الذهن يوجد في الخارج، لكن إذا وجد في الخارج لا يكون إلا معينا، لا يكون كليا، فكونه كليا مشروط بكونه في الذهن، ومن أثبت ماهية لا في الذهن." (٢)

"ص -١٣٣- وأقل أتباع الرسل إذا تصور حقيقة ما عندهم، وجده مما لا يرضى به أقل أتباع الرسل . وإذا علم بالأدلة العقلية أن هذا العالم يمتنع أن يكون شيء منه قديما أزليا، وعلم بأخبار الأنبياء المؤيدة بالعقل أنه كان قبله عالما آخر منه خلق، وأنه سوف يستحيل وتقوم القيامة ونحو ذلك، علم أن غاية ما عندهم من الأحكام الكلية ليست مطابقة بل هي جهل لا علم .وهب أنهم لا يعلمون ما أخبرت به الرسل، فليس في العقل ما يوجب ما ادعوه من كون هذه الأنواع الكلية في هذا العالم، أزلية أبدية، لم تزل ولا تزال . فلا يكون العلم بذلك علما بكليات ثابتة، وعامة [فلسفتهم الأولى] و [حكمتهم العليا] من هذا

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٥/١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٧/١٤٨

النمط، وكذلك من صنف على طريقتهم؛ كصاحب [المباحث المشرقية] ، وصاحب [حكمة الإشراق] ، وصاحب [دقائق الحقائق] ، و [رموز الكنوز] ، وصاحب [كشف الحقائق] ، وصاحب [الأسرار الخفية في العلوم العقلية] ، وأمثال هؤلاء، ممن لم يجرد القول لنصر مذهبهم مطلقا، ولا تخلص من إشراك ضلالهم مطلقا، بل شاركهم في كثير من ضلالهم، وشاركهم في كثير من محالهم، وتخلص من بعض وبالهم، وإن كان أيضا لم ينصفهم في بعض ما أصابوا، وأخطأ لعدم علمه بمرادهم أو لعدم معرفته أن ما قالوا صواب . ثم إن هؤلاء إنما يتبعون كلام ابن سينا .و [ابن سينا] تكلم في أشياء من الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع، لم يتكلم فيها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغتها علومهم، فإنه استفادها من." (١)

"ص -١٣٨- والقوم لولا الأنبياء لكانوا أعقل من غيرهم، لكن الأنبياء جاؤوا بالحق وبقاياه في الأمم وإن كفروا ببعضه، حتى مشركي العرب كان عندهم بقايا من دين إبراهيم، فكانوا خيرا من الفلاسفة المشركين الذين يوافقون أرسطو وأمثاله على أصولهم .الوجه الخامس : أنه إن كان المطلوب بقياسهم البرهاني معرفة الموجودات الممكنة، فتلك ليس فيها ما هو واجب البقاء على حال واحدة أزلا وأبدا، بل هي قابلة للتغير والاستحالة وما قدر أنه من اللازم لموصوفه، فنفس الموصوف ليس واجب البقاء، فلا يكون العلم به علما بموجود واجب الوجود، وليس لهم على أزلية شيء من العالم دليل صحيح، كما بسط في موضعه، وإنما غاية أدلتهم تستلزم دوام نوع الفاعلية ونوع المادة والمدة . وذلك ممكن بوجود عين بعد عين من ذلك النوع أبدا، مع القول بأن كل مفعول محدث مسبوق بالعدم، كما هو مقتضى العقل الصريح والنقل الصحيح، فإن القول بأن المفعول المعين مقارن لفاعله أزلا وأبدا مما يقضي صريح العقل بامتناعه، أي شيء قدر فاعله، لاسيما إذا كان فاعلا باختياره، كما دلت عليه الدلائل اليقينية ليست التي يذكرها المقصرون في معرفة أصول العلم والدين؛ كالرازي وأمثاله كما بسط في موضعه .وما يذكرون من اقتران المعلول بعلته، فإذا أريد بالعلة، ما يكون مبدعا للمعلول، فهذا باطل بصريح العقل؛ولهذا تقر بذلك جميع الفطر السليمة التي." (٢)

"ص -٢٨٠- بالقدرة والمشيئة كان مخلوقا لا يقوم بذاته؛ إذ لو قام بذاته كانت قد قامت به الحوادث، والحوادث لا تقوم به؛ لأنها لو قامت به لم يخل منها، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث، قالوا : إذ بهذا الأصل أثبتنا حدوث الأجسام، وبه ثبت حدوث العالم، قالوا : ومعلوم أن ما لم يسبق

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٣/١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٨/١٤٨

الحادث لم يكن قبله إما معه وإما بعده، وما كان مع الحادث أو بعده فهو حادث .وكثير منهم لم يتفطن للفرق بين نوع الحوادث وبين الحادث المعين، فإن الحادث المعين والحوادث المحصورة يمتنع أن تكون أزلية دائمة، وما لم يكن قبلها فهو إما معها وإما بعدها، وما كان كذلك فهو حادث قطعا، وهذا لا يخفى على أحد . ولكن موضع النظر والنزاع [نوع الحوادث] وهو أنه هل يمكن أن يكون النوع دائما فيكون الرب لايزال يتكلم أو يفعل بمشيئته وقدرته أم يمتنع ذلك ؟ فلما تفطن لهذا الفرق طائفة قالوا : وهذا أيضا ممتنع لامتناع حوادث لا أول لها، وذكروا على ذلك حججا كحجة التطبيق، وحجة امتناع انقضاء ما لا نهاية له وأمثال ذلك . وقد ذكر عامة ما ذكر في هذا الباب وما يتعلق به في مواضع غير هذا الموضع، ولكل مقام مقال .وأولئك المتفلسفة لما رأوا أن هذا القول مما يعلم بطلانه بصريح العقل، وأنه يمتنع حدوث الحوادث بدون سبب حادث، ويمتنع كون الرب يصير فاعلا بعد." (١)

"ص -٢٨١- أن لم يكن، وأن المؤثر التام يمتنع تخلف أثره عنه ظنوا أنهم إذا أبطلوا هذا القول فقد سلم لهم ما ادعوه من [قدم العالم] كالأفلاك وجنس المولدات ومواد العناصر، وضلوا ضلالا عظيما خالفوا به صرائح العقول . وكذبوا به كل رسول .فإن الرسل مطبقون على أن كل ما سوى الله محدث مخلوق كائن بعد أن لم يكن، ليس مع الله شيء قديم بقدمه، وأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام . والعقول الصريحة تعلم أن الحوادث لابد لها من محدث، فلو لم تكن إلا العلة القديمة الأزلية المستلزمة لمعلولها، لم يكن في العالم شيء من الحوادث، فإن حدوث ذلك الحادث عن علة قديمة أزلية مستلزمة لمعلولها ممتنع، فإنه إذا كان معلولها لازما لها كان قديما معها لم يتأخر عنها، فلا يكون لشيء من الحوادث سبب اقتضى حدوثه فتكون الحوادث كلها حدثت بلا محدث، وهؤلاء فروا من أن يحدثها القادر بغير سبب حادث، وذهبوا إلى أنها تحدث بغير محدث أصلا لا قادر ولا غير قادر، فكان ما فروا إليه شرا مما فروا منه، وكانوا شرا من المستجير من الرمضاء بالنار .واعتقد هؤلاء أن المفعول المصنوع المبتدع المعين كالفلك، يقارن فاعله أزلا وأبدا لا يتقدم الفاعل عليه تقدما زمانيا، وأولئك قالوا : بل المؤثر التام يتراخى عنه أثره ثم يحدث الأثر من غير سبب اقتضى حدوثه، فأقام الأولون الأدلة العقلية الصريحة على بطلان هذا، كما أقام هؤلاء الأدلة العقلية الصريحة." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١/١٥١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٢/١٥١

"ص -٢٨٤- الوجود واحد، وعين الوجود الواجب القديم الخالق هو عين الوجود الممكن المخلوق المحدث .وهذا أصل قول القائلين بوحدة الوجود، كابن عربي الطائي وابن سبعين وأتباعهما، كما بسط في مواضع .ومن هؤلاء القائلين بأنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته مع قيام الكلام به من قال : كلامه المعين حروف وأصوات معينة قديمة أزلية لم تزل ولاتزال . وزعموا أن كلا من القرآن والتوراة والإنجيل حروف وأصوات قديمة أزلية، لم تزل ولاتزال . فقال لهم جمهور العقلاء : معلوم بالاضطرار أن الباء قبل السين، والسين قبل الميم، فكيف يكونان معا أزلا وأبدا ؟ ومعلوم أن الصوت المعين لا يبقى زمانين، فكيف يكون أزليا لم يزل ولا يزال ؟فقالت الطائفة الثالثة ممن سلك مسلك أولئك المتكلمين : بل نقول : إنه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، وإن لزم من ذلك قيام الحوادث به فلا محذور في ذلك لا شرعا ولا عقلا، بل هذا لازم لجميع طوائف العقلاء، وعليه دلت النصوص الكثيرة وأقوال السلف والأئمة . ونقول : إنه يتكلم بمشيئته وقدرته بالقرآن العربي، وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى، كما دلت على ذلك النصوص وأقوال السلف، لكن نقول : إنه لم يكن في الأزل متكلما، ويمتنع أن." (١)

"ص -٢٢٧- وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب [الفصوص] ابن عربي : إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول؛ وذلك أنهم اعتقدوا [عقيدة المتفلسفة] ثم أخرجوها في قالب [المكاشفة] ، وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا : إن الأفلاك قديمة أزلية لها علة تتشبه بها، كما يقوله أرسطو وأتباعه؛ أو لها موجب بذاته كما يقوله متأخروهم : كابن سينا وأمثاله، ولا يقولون : إنها لرب خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ولا خلق الأشياء بمشيئته وقدرته، ولا يعلم الجزئيات؛ بل إما أن ينكروا علمه مطلقا، كقول أرسطو، أو يقولوا : إنما يعلم في الأمور المتغيرة كلياتها كما يقوله ابن سينا، وحقيقة هذا القول إنكار علمه بها، فإن كل موجود في الخارج فهو معين جزئي : الأفلاك كل معين منها جزئي، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها، فمن لم يعلم إلا الكليات لم يعلم شيئا من الموجودات، والكليات إنما توجد كليات في الأذهان لا في الأعيان .والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر في [درء تعارض العقل والنقل] وغيره .فإن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى، بل

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥/١٥١

ومشركي العرب، فإن جميع هؤلاء يقولون : إن الله خلق السموات والأرض، وأنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته، وأرسطو ونحوه من المتفلسفة." (١)

"ص -٢٧- بقتله؛ فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق ب [واسط] . فقال : أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم؛ فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما ! تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا . ثم نزل فذبحه . وأخذ ذلك عنه الجهم بن صفوان، فأنكر أن يكون الله يتكلم، ثم نافق المسلمين فأقر بلفظ الكلام، وقال : كلامه يخلق في محل كالهواء وورق الشجر .ودخل بعض أهل الكلام والجدل من المنتسبين إلى الإسلام من المعتزلة ونحوهم إلى بعض مقالة الصابئة والمشركين، متابعة للجعد والجهم . وكان مبدأ ذلك أن الصابئة في [الخلق] على قولين : منهم من يقول : إن السموات مخلوقة بعد أن لم تكن، كما أخبرت بذلك الرسل، وكتب الله تعالى ومنهم من ابتدع فقال : بل هي قديمة **أزلية**، لم تزل موجودة بوجود الأول، واجب الوجود بنفسه، ومنهم من قد ينكر الصانع بالكلية، ولهم مقالات كثيرة الاضطراب في الخلق والبعث، والمبدأ والمعاد؛ لأنهم لم يكونوا معتصمين بحبل الله تعالى فيجمعهم . والظنون لا تجمع الناس في مثل هذه الأمور التي تعجز الآراء عن إدراك حقائقها إلا بوحي من الله تعالى .وهم إنما يناظر بعضهم بعضا بالقياس المأخوذ مقدماته من الأمور الطبيعية السفلية، وقوى الطبائع الموجودة في التراب والماء، والهواء." (٢)

"ص -٣٨- مخلوقا منفصلا عنه، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، فكلامه قائم بذاته، ليس مخلوقا بائنا عنه، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، لم يقل أحد من سلف الأمة : إن كلام الله مخلوق بائن عنه، ولا قال أحد منهم : إن القرآن أو التوراة أو الإنجيل لازمة لذاته أزلا وأبدا، وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا قالوا : إن نفس ندائه لموسى أو نفس الكلمة المعينة قديمة **أزلية**، بل قالوا : لم يزل الله متكلما إذا شاء، فكلامه قديم، بمعنى أنه لم يزل متكلما إذا شاء .وكلمات الله لا نهاية لها، كما قال تعالى : ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾[الكهف : ١٠٩] ، والله سبحانه تكلم بالقرآن العربي، وبالتوراة العبرية، فالقرآن العربي كلام الله، كما قال تعالى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ إلى قوله : ﴿لسان عربي مبين ﴾ [النحل : ٩٨ ١٠٣] فقد بين سبحانه أن القرآن الذي يبدل منه آية مكان آية نزله روح القدس وهو جبريل وهو الروح

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧٩/١٨٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٧/٢٠٤

الأمين كما ذكر ذلك في موضع آخر من الله بالحق، وبين بعد ذلك أن من الكفار من قال : ﴿إنما يعلمه بشر ﴾ كما قال بعض المشركين : يعلمه رجل بمكة أعجمي، فقال تعالى : ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ﴾ أي الذي يضيفون إليه هذا التعليم أعجمي ﴿وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل : ١٠٣] .." (١)

"ص -٤٢- والناس قد تنازعوا في كلام الله نزاعا كثيرا، والطوائف الكبار نحو ست فرق، فأبعدها عن الإسلام قول من يقول من المتفلسفة والصابئة : إن كلام الله إنما هو ما يفيض على النفوس؛ إما من العقل الفعال، وإما من غيره، وهؤلاء يقولون : إنما كلم الله موسى من سماء عقله، أي بكلام حدث في نفسه لم يسمعه من خارج .وأصل قول هؤلاء : إن الأفلاك قديمة أزلية، وأن الله لم يخلقها بمشيئته وقدرته في ستة أيام كما أخبرت به الأنبياء، بل يقولون : أن الله لا يعلم الجزئيات، فلما جاءت الأنبياء بما جاؤوا به من الأمور الباهرة جعلوا يتأولون ذلك تأويلات يحرفون فيها الكلم عن مواضعه، ويريدون أن يجمعوا بينها وبين أقوال سلفهم الملاحدة، فقالوا مثل ذلك . وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى، وهم كثيروا التناقض، كقولهم : إن الصفة هي الموصوف، وهذه الصفة هي الأخرى، فيقولون : هو عقل وعاقل ومعقول، ولذيذ . وملتذ ولذة، وعاشق ومعشوق وعشق . . وقد يعبرون عن ذلك بأنه حي عالم معلوم، محب محبوب . ويقولون : نفس العلم هو نفس المحبة، وهو نفس القدرة، ونفس العلم هو نفس العالم، ونفس المحبة هي نفس المحبوب .ويقولون : إنه علة تامة في الأزل؛ فيجب أن يقارنها معلولها في." (٢)

"ص -٥١- والطائفة الأخرى التي وافقت ابن كلاب على أن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته قالت : بل الكلام القديم هو حروف، أو حروف وأصوات لازمة لذات الرب أزلا وأبدا لايتكلم بها بمشيئته وقدرته، ولا يتكلم بها شيئا بعد شيء . ولم يفرق هؤلاء بين جنس الحروف وجنس الكلام، وبين عين حروف قديمة أزلية، وهذا أيضا- مما يقول جمهور العقلاء أنه معلوم الفساد بالضرورة؛ فإن الحروف المتعاقبة شيئا بعد شيء يمتنع أن يكون كل منها قديما أزليا، وإن كان جنسها قديما؛ لإمكان وجود كلمات لا نهاية لها، وحروف متعاقبة لا نهاية لها، وامتناع كون كل منها قديما أزليا؛ فإن المسبوق بغيره لا يكون أزليا .وقد فرق بعضهم بين وجودها وماهيتها، فقال : الترتيب في ماهيتها لا في وجودها، وبطلان هذا القول معلوم بالاضطرار لمن تدبره، فإن ماهية الكلام الذي هو حروف لا يكون شيئا بعد شيء، والصوت لا يكون إلا

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/٢٠٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧/٢٠٥

شيئا بعد شيء، فامتنع أن يكون وجود الماهية المعينة أزليا متقدما عليها به، مع أن الفرق بينهما بين لو قدر الفرق بينهما، ويلزم من هذين الوجهين أن يكون وجودها أيضا مترتبا ترتيبا متعاقبا .ثم من هؤلاء من يزعم أن ذلك القديم هو ما يسمع من العباد من الأصوات بالقرآن والتوراة والإنجيل أو بعض ذلك،وكان أظهر." (١)

"ص -٨٦- شاء، وصرح أن الله يتكلم بمشيئته، ولكن أتباع ابن كلاب كالقاضي وغيره تأولوا كلامه على أنه أراد بذلك إذا شاء الإسماع؛ لأنه عندهم لم يتكلم بمشيئته وقدرته .وصرح أحمد وغيره من السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يقل أحد من السلف : إن الله تكلم بغير مشيئته وقدرته، ولا قال أحد منهم : إن نفس الكلام المعين كالقرآن أو ندائه لموسى أو غير ذلك من كلامه المعين أنه قديم أزلي لم يزل ولايزال، وأن الله قامت به حروف معينة أو حروف وأصوات معينة قديمة أزلية لم تزل ولا تزال، فإن هذا لم يقله ولا دل عليه قول أحمد ولا غيره من أئمة المسلمين، بل كلام أحمد وغيره من الأئمة صريح في نقيض هذا، وأن الله يتكلم بمشيئته وقدرته،وأنه لم يزل يتكلم إذا شاء، مع قولهم : إن كلام الله غير مخلوق، وأنه منه بدأ، ليس بمخلوق ابتدأ من غيره، ونصوصهم بذلك كثيرة معروفة في الكتب الثابتة عنهم، مثل م١ صنف أبو بكر الخلال في [كتاب السنة] وغيره، وما صنفه عبد الرحمن بن أبي حاتم من كلام أحمد وغيره، وما صنفه أصحابه وأصحاب أصحابه؛ كابنيه صالح وعبد الله، وحنبل، وأبي داود السجستاني صاحب [السنن] والأثرم، والمروزي، وأبي زرعة، وأبي حاتم، والبخاري صاحب الصحيح، وعثمان بن سعيد الدارمي، وإبراهيم الحربي، وعبد الوهاب الوراق،." (٢)

"ص -١٥٤- فقط إما الحروف المؤلفة وإما الحروف والأصوات، لكنه يقول : إن معناه قديم .وأما الفريق الثاني الذين قالوا بجواز حوادث لا أول لها مطلقا، وأن القديم الواجب بنفسه يجوز أن تتعقب عليه الحوادث مطلقا، وإن كان ممكنا لا واجبا بنفسه فهؤلاء القائلون بقدم العالم كما يقولون بقدم الأفلاك، وأنها لم تزل ولا تزال معلولة لعلة قديمة أزلية، لكن المنتسبون إلى الملل كابن سينا ونحوه منهم، قالوا : إنها صادرة عن الواجب بنفسه الموجب لها بذاته، وأما أرسطو وأتباعه فإنهم قالوا : إن لها علة غائية تتحرك للتشبه بها في تحركها، كما يحرك المعشوق عاشقه، ولم يثبتوا لها مبدعا موجبا ولا موجبا قائما بذاته، ولا قالوا : إن الفلك ممكن بنفسه واجب بغيره، بل الفلك عندهم واجب بنفسه، لكن قالوا مع ذلك : إن له

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦/٢٠٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥١/٢٠٥

علة غائية يتحرك للتشبه بها لا قوام له إلا بها، فجعلوا الواجب بنفسه الذي لا فاعل له مفتقرا إلى علة غائية منفصلة عنه، هذه حقيقة قول أرسطو وأتباعه؛ ولهذا لم يثبتوا الأول عالما بغيره؛ إذ لم يكن الأول عندهم مبدعا للفلك؛ فإنه إذا كان مبدعا يجب أن يكون عالما بمفعوله، كما قال : ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [الملك : ١٤] .ولهذا كانت أقوالهم في الإلهيات من أعظم الأقوال فسادا، بخلاف أقوالهم في الطبيعيات؛ ولهذا كان قولهم أشد فسادا في العقل والدين." (١)

"ص -١٥٦- حادث بواسطة أو بلا واسطة، فإن صدور الحوادث عن العلة التامة **الأزلية** ممتنع لذاته .وإذا قالوا : الحركة بتوسطه، أي بتوسط حركة الفلك، قيل لهم : فالكلام إنما هو في حدوث الحركة الفلكية؛ فإن الحركة الحادثة شيئا بعد شيء يمتنع أن يكون المقتضى لها علة تامة **أزلية**، مستلزمة لمعلولها؛ فإن ذلك جمع بين النقيضين؛ إذ القول بمقارنة المعلول لعلته في الأزل ووجوده معها يناقض أن يتخلف المعلول أو شيء من المعلول عن الأزل، بل يمتنع أن يكون المقتضى لها ذاتا بسيطة لا يقوم بها شيء من الصفات والأحوال المقتضيةلحدوث الحوادث المتعاقبة المختلفة، بل يمتنع أن يكون المقتضي لها ذاتا موصوفة لا يقوم بها شيء من الأحوال الموجبة لحدوث الحوادث المذكورة، فإن التجدد والتعدد الموجود في المعلولات يمتنع صدوره عن علة واحدة بسيطة من كل وجه، فصار حقيقة قولهم أن الحوادث العلوية والسفلية لا محدث لها .وهؤلاء يقولون : كلام الله ما يفيض علي النفوس الصافية، كما أن ملائكة الله عندهم ما يتشكل فيها من الصور النورانية، فلا يثبتون له كلاما خارجا عما في نفوس البشر، ولا ملائكة خارجة عما في نفوسهم غير [العقول العشرة] ، و [النفوس الفلكية التسعة] ، مع أن أكثرهم يقولون : إنها أعراض، وقد بين في غير هذا الموضع أن ما يثبتونه من المجردات." (٢)

"ص -١٦٦- وجمهور العقلاء من أهل السنة وأهل البدعة يقولون : إن فساد هذا القول معلوم بالضرورة، كما يقولون : إن فساد قول من يقول : إن الأصوات المسموعة من العباد قديمة معلوم بالضرورة كما يقولون إن فساد قول من يقول : إن المتكلم يكون متكلما بكلام يقوم بغيره، وأن العالم يكون عالما بعلم يقوم بغيره، والقادر يكون قادرا بقدرة تقوم بغيره، معلوم بالضرورة .وكما يقول جمهور العقلاء : إن فساد قول من يقول : إن العلم هو القدرة، والقدرة هي الإرادة، وأن العلم هو العالم، والقدرة هي القادر، معلوم بالضرورة .القول الرابع : قول طوائف من أهل الكلام والحديث من السالمية وغيرهم يقولون : إن كلام الله

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٩/٢٠٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤١/٢٠٦

حروف وأصوات قديمة أزلية، ولها مع ذلك معان تقوم بذات المتكلم، وهؤلاء يوافقون الأشعرية والكلابية في أن تكليم الله لعباده ليس إلا مجرد خلق إدراك للمتكلم، ليس هو أمرا منفصلا عن المستمع .ثم إن جمهور هؤلاء لا يقولون : إن تلك الأصوات هي المسموعة من القارئين، بل يفرقون بين هذا وهذا . ومنهم طائفة وهم أهل . . . .." (١)

"ص -١٨١- الكلام لا يكون إلا بقدرة المتكلم ومشيئته، وإن كلاما لازما لذات المتكلم لا يعقل؛ فإنه إن جعل معنى واحدا كان مكابرة للعقل، وكذلك إن جعل أصواتا أزلية، ثم ظنوا أن ما كان بقدرة الرب ومشيئته لا يكون إلا منفصلا عنه، وما انفصل عنه فهو مخلوق، ولهذا أنكروا أن يجيء، أو يأتي، أو ينزل، وغير ذلك مما جاء به الكتاب والسنة .وآخرون وافقوهم على هذا الأصل الذي أحدثه أولئك، وهو أنه لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته، لكن رأوا أن كلاما لا يقوم بالمتكلم لا يكون كلاما له، فقالوا : إن كلامه قائم به .ثم رأى فريق أن قدم الأصوات ممتنع، فجعلوا القديم هو المعنى،ثم رأوا أن تعدد المعانى القديمة ممتنع، وأنه يفضي إلى وجود معاني لا نهاية لها، فقالوا : هو معنى واحد .ورأى فريق آخر أن كون المعاني المتنوعة معنى واحدا ممتنع، وكون الرب لم يتكلم بحروف القرآن، بل خلقها في غيره موافقة لمن جعل الكلام لا يقوم بالمتكلم؛ فإن تلك الحروف المنظومة كالقرآن العربي إن قالوا : هو كلام الله لزم ألا يكون كلامه قائما به بل بغيره، وإن قالوا : ليس كلاما لله لزم أن يكون كلاما لمن خلقت فيه، فلا يكون الكلام العربي كلاما لله، بل كلاما لمن خلق فيه . وهذا." (٢)

"ص -١٨٢- هو الذي أنكروه على من قال : القرآن مخلوق . والذي قال إنه مخلوق، لم يقل إلا هذا، فلزمهم أن يوافقوا في الحقيقة قول من يقول : القرآن مخلوق، وإن ضموا إلى ذلك قولا لا حقيقة له يخالف العقل والنقل، وهو إثبات معنى واحد يكون هو جميع معاني التوراة، والإنجيل، والقرآن، لكنهم إنما قالوا ذلك فرارا من أقوال ظنوها باطلة، فلم يقصدوا إلا الفرار عما رأوه باطلا، فوقعوا في أقوال لها لوازم تقتضي بطلانها أيضا .فلما رأى هذا الفريق الثاني ما أجاب به هؤلاء، قالوا : إنه حروف وأصوات، قديمة أزلية . فرد عليهم غيرهم . وقالوا : إن الأصوات متضادة في نفسها، والضدان لا يجتمعان، وأقل ما في الأمور القديمة أن تكون مجتمعة، وقالوا لهم : الأصوات مستلزمة للحركات المستلزمة للقدرة والإرادة، فلا تكون الأصوات إلا بقدرة وإرادة، وما كان كذلك لم يكن قديم العين، لكن النزاع في كونه قديم النوع .

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦/٢٠٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢١/٢٠٧

وقالوا : الأصوات هي في نفسها يمتنع بقاؤها، وما امتنع بقاؤه امتنع قدمه، فامتنع قدم الأصوات .وقال آخرون : إذا كان الأمر كذلك كان متكلما بحروف، وأصوات، حادثة بمشيئته وقدرته، قائمة بذاته، لكن يمتنع قدم شيء من ذلك؛ لأن الحوادث لا تكون أزلية، ورأوا أن هذا القول ينجيهم من." (١)

"ص -١٨٨- لازم لنا؛ فإن الحوادث إذا امتنع حدوثها عن علة تامة أزلية وليس عندكم إلا العلة التامة الأزلية لزم ألا يكون للحوادث محدث .وأما نحن إذا سلكنا طريق سلف الأمة وأئمتها، فنقول لهؤلاء الفلاسفة : بل خلق الله السموات والأرض في ستة أيام، كما أخبرت به الرسل، فحدثت بأسباب حدثت قبل ذلك، وإذا قلنا : إنه لم يزل متكلما إذا شاء و ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس : ٨٢] كان ما يحدث حادثا بما شاء أن يتكلم به من كلامه، لا سيما إذا قيل بنظير ذلك في إرادته سبحانه وتعالى وأمكننا أن نجيب الفلاسفة بجواب آخر، مركب عنا وعنكم .فنقول لهم : وجود حوادث لا أول لها ممكن أو ممتنع ؟فإن قلتم : ممتنع، لزمكم القول بحدوث العالم، وأمكن حينئذ صحة قول الكرامية ونحوهم .وإن قلتم : هو ممكن . قيل : فممكن حينئذ أن يكون هذا العالم حدث بسبب حادث قبله . وكذلك السبب الآخر لا إلى غاية، والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع .والمقصود هنا التنبيه على أن هذه مقامات دقيقة، مشكلة." (٢)

"ص -٢١٢- ومن نازع في هذا من المعتزلة وغيرهم، وقال : إنه لا ينتهي إلى حد الوجوب، بل يكون العقل بالوجود أولى منه بالعدم، فإنه لم ينازع في أن القادر المختار يمتنع أن يكون مقدوره المعين أزليا، مقارنا له، بل هذا مما لم ينازع فيه لا هؤلاء ولا غيرهم .فتبين أنه لو كان شيء مما سوى الله أزليا، للزم أن يكون له مؤثر تام، مستلزم له في الأزل، سواء سمى علة تامة، أو موجبا بالذات، أو قدر أنه فاعل بالإرادة، وأن مراده المعين يكون أزليا مقارنا له .وإذا كان كذلك فنقول : ثبوت علة تامة أزلية ممتنع؛ فإن العلة التامة الأزلية تستلزم معلولها، لا يتخلف عنها شيء من معلولها؛ فإنه إن تخلف عنها لم تكن علة تامة لمعلولها، فيمتنع في الشيء الواحد أن يكون موجبا بذاته، وأن يتخلف عنه موجبه أو شيء من موجبه؛ فإن الموجب بالذات لشيء لابد أن يكون ذلك الموجب جميعه مقارنا لذاته، والعلة التامة هي التي يقارنها معلولها، ولا يتأخر عنها شيء من معلولها، فلو تأخر عنها شيء من معلولها لم تكن علة تامة لذلك

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٢/٢٠٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٨/٢٠٧

المستأخر . والفلاسفة يسلمون أن ليس علة تامة في الأزل لجميع الحوادث التي تحدث شيئا بعد شيء، فإن ذلك جمع بين النقيضين؛ إذ يمتنع أن يكون علة تامة أزلية لأمر حادث عنه غير أزلي .." (١)

"ص -٢١٤- الصانع إلا بإثبات حدوث العالم، ولا يمكن إثبات حدوث العالم إلا بإثبات حدوث الأجسام .قالوا : والطريق إلى ذلك هو الاستدلال بحدوث الأعراض على حدوث ما قامت به الأعراض، فمنهم من استدل بالحركة والسكون فقط، ومنهم من احتج بالأكوان التي هي عندهم الاجتماع والافتراق، والحركة والسكون، ومنهم من احتج بالأعراض مطلقا، ومبنى الدليل على أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث؛ لامتناع حوادث لا أول لها .فيقول لهم المعارضون من أهل الملل وغيرهم القائلون بأن السموات والأرض محدثة عن عدم، والقائلون بأن الأفلاك قديمة أزلية : حدوث الحوادث بعد أن لم تكن أمر حادث، فلابد له من سبب حادث، وإلا لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح .وقال لهم القائلون بحدوث الأفلاك من أهل الملل وغيرهم : أنتم أثبتم حدوث العالم بطريق، وحدوث العالم لا يتم إلا مع نقيض ما أثبتموه . فما جعلتموه دليلا على حدوث العالم لا يدل على حدوثه، بل ولا يستلزم حدوثه . والدليل لابد أن يكون مستلزما المدلول؛ بحيث يلزم من تحقق الدليل تحقق المدلول، بل هو مناف لحدوث العالم مناقض له، وهو يقتضى امتناع حدوث العالم، بل امتناع حدوث." (٢)

"ص -٢١٥- شيء من الأشياء، وهذا يقتضي بطلانه في نفسه، وإنه لو صح لم يدل إلا على نقيض المطلوب . ونقيض ما يقوله كل عاقل .فإن كل عاقل يعلم حدوث الحوادث في الجملة، سواء قيل بقدم الأفلاك أم لم يقل بذلك؛ وذلك أن مبنى دليلكم على أن القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح، وأن الإرادة الأزلية التي نسبتها إلى جميع المرادات على السواء رجحت مرادا على مراد بلا مرجح، غير المرجح الذي نسبته إلى جميع المرجحات نسبة واحدة لا يتفاضل .ومن المعلوم أن القول بترجيح وجود الممكن على عدمه بلا مرجح، أو ترجيح أحد المتماثلين على الآخر بلا سبب يقتضى ذلك باطل في بديهة العقل . ولو قيل : إن ذلك صحيح لبطل الدليل الذي يستدل به على ثبوت الصانع، وحدوث العالم؛ فإن مبنى الدليل على أن المحدث لابد له من محدث، وذلك يستلزم أن ترجيح الحدوث على العدم لابد له من مرجح، ولابد أن يكون المحدث المرجح قد حدث منه ما يستلزم وجود المحدث، الذي جعله موجودا،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٢/٢٠٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٤/٢٠٧

وإذا لم يلزم وجوده كان وجوده جائزا ممكنا، فكان محتملا للوجود والعدم .فترجيح الوجود على العدم لابد له من مرجح محدث له، فكل." (١)

"ص -٢١٨- وإن كان حقيقة قولهم أنه موجب بالذات لها، وأنه محدث للأجسام بسبب حدوث بعض التصورات، والإرادات، التي تحدث للنفوس، فيصير ذلك سببا لحدوث الأجسام، وهذا القول كما أنه معلوم البطلان في الشرع، فهو أيضا معلوم البطلان في العقل، كما سنبينه إن شاء الله تعالى .فنقول : الدليل الدال على أن كل ما سوى الله محدث يتناول هذا وهذا .وأيضا، فإذا كان موجبا بالذات كان اختصاص حدوث أجسام العالم بذلك الوقت دون ما قبله وما بعده يفتقر إلى مخصص، والموجب بذاته لا يصدر عنه ما يختص بوقت دون وقت؛ إذ لو جاز ذلك لم يكن موجبا بذاته؛ ولجاز حدوث العالم عنه؛ ولأن النفوس التي تثبتها الفلاسفة هي عند جمهورهم عرض قائم بجسم الفلك؛ فيمتنع وجودها به بدون الفلك، وعند ابن سينا وطائفة أنها جوهر قائم بنفسه، لكنها متعلقة بالجسم تعلق التدبير والتصريف . وحينئذ، فلو وجدت ولا تعلق لها بالجسم لم تكن نفس١، بل كانت عقلا، فعلم أن وجود النفس مستلزم لوجود الجسم .فإذا قال هؤلاء : إن النفس أزلية دون الأجسام كان هذا القول." (٢)

"ص -٢٢١- ومن نازع في هذا من المعتزلة وغيرهم، وقال : إنه لا ينتهي إلى حد الوجوب، بل يكون العقل بالوجود أولى منه بالعدم، فإنه لم ينازع في أن القادر المختار يمتنع أن يكون مقدوره المعين أزليا، مقارنا له، بل هذا مما لم ينازع فيه لا هؤلاء ولا غيرهم .فتبين أنه لو كان شيء مما سوى الله أزليا، للزم أن يكون له مؤثر تام، مستلزم له في الأزل، سواء سمى علة تامة، أو موجبا بالذات، أو قدر أنه فاعل بالإرادة، وأن مراده المعين يكون أزليا مقارنا له .وإذا كان كذلك فنقول : ثبوت علة تامة أزلية ممتنع؛ فإن العلة التامة الأزلية تستلزم معلولها، لا يتخلف عنها شيء من معلولها؛ فإنه إن تخلف عنها لم تكن علة تامة لمعلولها، فيمتنع في الشيء الواحد أن يكون موجبا بذاته، وأن يتخلف عنه موجبه أو شيء من موجبه؛ فإن الموجب بالذات لشيء لابد أن يكون ذلك الموجب جميعه مقارنا لذاته، والعلة التامة هي التي يقارنها معلولها، ولا يتأخر عنها شيء من معلولها، فلو تأخر عنها شيء من معلولها لم تكن علة تامة لذلك

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٥/٢٠٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٨/٢٠٧

المستأخر . والفلاسفة يسلمون أن ليس علة تامة في الأزل لجميع الحوادث التي تحدث شيئا بعد شيء، فإن ذلك جمع بين النقيضين؛ إذ يمتنع أن يكون علة تامة أزلية لأمر حادث عنه غير أزلي .." [١]

"ص -٢٢٢- وإن شئت قلت : يمتنع أن يكون موجبا بذاته في الأزل لأمر حادث ليس بأزلي، سواء كان إيجابه بواسطة أو بغير واسطة، فإن تلك الواسطة إن كانت أزلية كان اللازم لها أزليا، وإن كانت حادثة كان القول فيها كالقول في الحادث بتوسطها، وهذا الذي سلموه معلوم أيضا بصريح العقل، فالمقدمة برهانية مسلمة، لكن يقولون : إنه علة تامة، لما هو قديم كالأفلاك عندهم، وليس علة تامة للحوادث، وهذا أيضا باطل .وذلك أن كل ما يقال : إنه قديم كالأفلاك، إما أن يجب أن يكون مقارنا للحوادث كما يقولون في الفلك : إنه يجب له لزوم الحركة، وأنه لم يزل متحركا، وإما أنه لا يجب أن يكون مقارنا لشيء من الحوادث، فإن كان الأول لزم أن يكون علة تامة للحوادث، وكونه علة تامة للحوادث محال؛ لأن ما قارنته الحوادث ولم يخل منها بل هي لازمة له امتنع صدوره عن الموجب بدونها، ووجود الملزوم بدون اللازم محال، وإذا كانت الحركة لازمة للفلك كما يقولون فوجود الفلك بدون الحركة محال، فالموجب بذاته الذي هو علة تامة للفلك، يجب أن يكون علة تامة موجبة للوازمه، وعلة تامة في الأزل بحركته، لكن العلة التامة **الأزلية** لا يجوز أن تكون علة تامة أزلية للحوادث، لا الحركة ولا غيرها؛ لأنه يجب وجود معلولها الذي هو موجبها ومقتضاها." [٢]

"ص -٢٢٣- في الأزل وألا يتأخر عنها شيء من موجبها، ومقتضاها، ومعلولها .والحركة التي توجد شيئا فشيئا هي وغيرها من الحوادث التي تحدث شيئا بعد شيء ليس واحد منها قديما، بل كل منها حادث مسبوق بآخر، فيمتنع أن يكون شيء منها معلولا للعلة التامة **الأزلية**، لامتناع أن يكون حادث من الحوادث قديما، ويمتنع وجود مجموع الحوادث في الأزل،ويمتنع وجود المستلزم للحوادث إلا مع حادث من الحوادث، أو مع مجموع الحوادث، وإذا كان كلاهما يمتنع أن يكون قديما امتنع أن يكون شيء مما يستلزم الحوادث قديما، فامتنع أن يكون لشيء من الحوادث أو ما يستلزم الحوادث علة تامة قديمة، فامتنع صدور الحوادث أو شيء منها، أو من ملزوماتها عن علة تامة قديمة؛ فامتنع أن يكون شيء لا يخلو عن الحوادث صادرا عن علة تامة أزلية، فامتنع أن يكون الفلك المقارن للحوادث علة تامة أزلية قديمة . ولو كان قديما لصدر عن علة تامة قديمة ، فإذا لم يكن قديما إلا إذا كان المقتضى التام ثابتا في الأزل، وثبوت

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦١/٢٠٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٢/٢٠٧

المقتضى التام له ممتنع، كما أن قدمه ممتنع .وأما إن قيل : إن القديم شيء غير مقارن للحوادث، ولا مستلزم لها، مثل أن يقال : القديم أعيان ساكنة، هي المعلول الأول، فيقال : ذلك المعلول إما أن يجوز حدوث حال من الأحوال، إما فيه، أو عنه، أو غير ذلك، وإما ألا يجوز .." (١)

"ص -٢٢٤- فإن جاز حدوث حال من الأحوال له امتنع حدوث ذلك الحادث عن علة تامة أزلية وهو الموجب بالذات كما تقدم، وكما هو معلوم ومتفق عليه بين العقلاء ولابد من محدث، والمحدث إن كان سوى الله فالقول في حدوثه إن كان محدثا، أو في حدوث ذلك الإحداث له بعد أن لم يكن، كالقول في حدوث ذلك الحادث، وإن كان هو الله تعالى امتنع أن يكون موجبا بالذات له؛ إذ القديم لايكون موجبا بالذات لحادث كما بين فامتنع ثبوت العلة القديمة . وإذا لم يكن الصانع موجبا بالذات فلا يكون علة تامة امتنع قدم شيء من العالم؛ لأنه لا يكون قديم إلا عن علة تامة، وإن قيل : إنه لا يجوز حدوث لما فرض قديما معلولا للأول، فهذا مع أنه لم يقل به أحد من العقلاء فهو باطل؛ لوجوه :أحدها : أن واجب الوجود تحدث له النسب والإضافات باتفاق العقلاء؛ فحدوث ذلك لغيره أولى .الثاني : أن الحوادث مشهودة في العالم العلوي والسفلي، وهذه الحوادث صادرة عن الله، إما بوسط أو بغير وسط، فإذا كانت بوسط فتلك الوسائط حدثت عنها أمور بعد أن لم تكن، فلزم حدوث الأحوال للقديم،سواء كان هو الصانع أو كان هو الوسائط للصانع .." (٢)

"ص -٢٢٧- وقلتم : هو موجب بذاته علة تامة أزلية يقارنها المعلول الأزلي، فلا يتأخر عنها . ومعلوم أن صدور الحوادث المختلفة عن العلة التامة البسيطة الأزلية،التي لا يتخلف عنها مقتضاها ومعلولها أشد امتناعا من صدور الحوادث عن قادر مختار بعد أن لم تكن صادرة عنه، فإن كان حدوث الحوادث عن القديم الذي لم يقم به حادث ممتنعا، فقولكم أشد امتناعا، وإن كان ممكنا فقول المعتزلة أقرب؛ فإن قولهم إن اقتضى ألا يكون للحوادث سبب حادث، فقولكم يقتضي ألا يكون للحوادث محدث أصلا، والحوادث مشهودة والمحدث لابد أن يكون موجودا عند وجودها، ولابد أن يكون كل ما يعتبر في الإحداث موجودا عند الإحداث . وذلك يمتنع صدوره عن علة تامة .فتبين أن المقدمات التي احتج بها الفلاسفة على المعتزلة وأتباعهم على قدم العالم، يحتج بها بعينها على حدوث العالم؛ فإن مبنى دليلهم على أن العلة التامة الأزلية تستلزم معلولها، وأن الباري إن لم يكن علة تامة أزلية لزم الحدوث بلا سبب، وإن كان علة

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٣/٢٠٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٤/٢٠٧

تامة أزلية لزم مقارنة معلوله، فيلزم قدم العالم .أما كونه علة تامة فممتنع، لأن العلة التامة الأزلية يقارنها معلولها كله، لا يتأخر عنها شيء من معلولها، والعالم لا ينفك من حوادث مقارنة له بالضرورة، واتفاق جماهير العقلاء، وما كان مستلزما للحوادث امتنع كونه معلول العلة التامة الأزلية، لامتناع كون الحوادث حادثة." (١)

"ص -٢٢٨- عن علة تامة أزلية، فإنه ما من حادث إلا وهو مسبوق بالعدم، فليس هو علة تامة لشيء منها، وما من زمن يقدر إلا وفيه حادث، فليس هو في شيء من الأوقات علة تامة، لا في الماضي ولا المستقبل؛ فامتنع أن يكون علة تامة وهو المطلوب، فيلزم من ذلك كون كل ما سواه محدثا، سواء قيل بتسلسل الحوادث أو لم يقل .وأما قولهم : إن لم يكن علة تامة أزلية، لزم الحدوث بلا سبب . فيقال لهم : هذا إنما يلزم إذا لم يكن متكلما إذا شاء تقوم به الأفعال الاختيارية بقدرته تعالى وإلا فعلى هذا التقدير لم يزل ولا يزال قادرا على الفعل متكلما إذا شاء، وحينئذ فما حصل بمشيئته وقدرته من أقواله وأفعاله يكون هو السبب لما بعده .وإن قالوا : هذا يستلزم قيام الحوادث به . قيل لهم أولا : قيام الحوادث بالقديم جائز عندكم، ومن أنكر ذلك من أهل الكلام فإنما أنكره لاعتقاده أن ما قامت به الحوادث فهو حادث، فإن كان هذا الاعتقاد صحيحا بطل قولكم بقدم الأفلاك، وإن كان باطلا بطلت حجة من قال : إن القديم لا تقوم به الحوادث، فلا يمكنكم على التقديرين أن تقولوا : إنه لا تقوم به الحوادث، لكن أنتم نفيتم ذلك بناء على نفي الصفات،وقولكم في نفي الصفات في غاية الفساد، ودليلكم عليه قد بين فساده في غير هذا الموضع، وبين بطلان ما ذكرتموه .." (٢)

"ص -٢٣١- والأصل الذي بنوا عليه ذلك ضعيف جدا، وإن كان اشتبه على كثير من المتأخرين .وقولهم : إن الواجب لا يكون إلا واحدا، قصدوا به أنه ليس له علم ولا قدرة، ولا حياة ولا كلام يقوم به، ولا شيء من الصفات القائمة به؛ لأنه لو كان كذلك لكان الواجب أكثر من واحد، كما يقوله المعتزلة : إنه ليس له صفات قديمة قائمة بذاته؛ لأنه لو كان كذلك لكان القديم أكثر من واحد .ولفظ [الواجب، والقديم] يراد به الإله الخالق سبحانه الواجب الوجود القديم، فهذا ليس إلا واحدا، ويراد به صفاته الأزلية، وهي قديمة واجبة بتقدم الموصوف، ووجوبه لم يجب أن تكون مماثلة له، ولا تكون إلها، كما أن صفة النبي ليست بنبي، وصفة الإنسان والحيوان ليست بإنسان ولا حيوان، وكما أن صفة المحدث إن كانت

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٧/٢٠٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٨/٢٠٧

محدثة فموافقتها له في الحدوث لا يقتضى مماثلتها له، وما ذكروا من الحجة على ذلك ضعيفة .فإذا قالوا : لو كان له علم و اجب بوجوب العالم لكان الواجب أكثر من واحد . قيل له : ولم قلتم بامتناع كون الواجب أكثر من واحد؛ إذ كانت الذات الواجبة إلها واحدا، موصوفا بصفات الكمال .." (١)

"ص -٢٣٧- فالواجب على المسلم أن يلزم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنة خلفائه الراشدين، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان . وما تنازعت فيه الأمة وتفرقت فيه، إن أمكنه أن يفصل النزاع بالعلم والعدل وإلا استمسك بالجمل الثابتة بالنص والإجماع، وأعرض عن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا؛ فإن مواضع التفرق والاختلاف عامتها تصدر عن اتباع الظن، وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى .وقد بسطت القول في جنس هذه المسائل ببيان ما كان عليه سلف الأمة، الذي اتفق عليه العقل والسمع، وبيان ما يدخل في هذا الباب من الاشتراك والاشتباه والغلط في مواضع متعددة، ولكن نذكر منها جملة مختصرة بحسب حال السائل .والواجب أمر العامة بالجمل الثابتة بالنص والإجماع، ومنعهم من الخوض في التفصيل الذي يوقع بينهم الفرقة والاختلاف، فإن الفرقة والاختلاف من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله .والتفصيل المختصر أن نقول : من اعتقد أن المداد الذي في المصحف وأصوات العباد قديمة أزلية فهو ضال مخطئ، مخالف للكتاب والسنة، وإجماع السابقين الأولين، وسائر علماء الإسلام، ولم يقل أحد قط من." (٢)

"ص -٢٦٧- المعنى معنى واحدا هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وتجعلون ذلك المعنى إذا عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإذا عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإذا عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا، وهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة من العقل والدين؛ فإن التوراة إذا عربناها لم يكن معناها معنى القرآن، والقرآن إذا ترجمناه بالعبرانية لم يكن معناه معنى التوراة .وأيضا، فإن معنى آية الكرسي ليس هو معنى آية الدين، وإنما يشتركان في مسمى الكلام، ومسمى كلام الله، كما تشترك الأعيان في مسمى النوع، فهذا الكلام وهذا الكلام وهذا الكلام، كله يشترك في أنه كلام الله، اشتراك الأشخاص في أنواعها، كما أن الإنسان وهذا الإنسان وهذا الإنسان يشتركون في مسمى الإنسان، وليس في الخارج شخص بعينه هو هذا وهذا وهذا، وكذلك ليس في الخارج كلام واحد هو معنى التوراة والإنجيل والقرآن، وهو معنى آية الدين وآية الكرسي .ومن خالف هذا كان في مخالفته لصريح المعقول من جنس من قال : إن أصوات العباد وأفعالهم قديمة

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧١/٢٠٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤/٢٠٨

أزلية . فاضرب بكلام البدعتين رأس قائلهما، والزم الصراط المستقيم؛ صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .." (١)

"ص -٣٠٢- بل هو مخلوق خلقه في غيره . وقال جمهور العقلاء : هذا القول معلوم الفساد بالاضطرار . فإنه من المعلوم بصريح العقل أن معنى [آية الكرسي] ليس معنى [آية الدين] ولا معني ﴿قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص : ١] معني ﴿تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ [المسد : ١] ، فكيف بمعاني كلام الله كله في الكتب المنزلة، وخطابه لملائكته، وحسابه لعباده يوم القيامة، وغير ذلك من كلامه ؟ !ومنهم من قال : هو حروف أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته، لم يزل ولا يزال موصوفا بها .وكلا الحزبين يقول : إن الله تعالى لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وإنه لم يزل ولا يزال يقول : يا نوح، يا إبراهيم، يأيها المزمل، يأيها المدثر، كما قد بسطت أقوالهم في غير هذا الموضع، ولم يقل أحد من السلف بواحد من القولين . ولم يقل أحد من السلف : إن هذا القرآن عبارة عن كلام الله، ولا حكاية له، ولا قال أحد منهم : إن لفظي بالقرآن قديم أو غير مخلوق، فضلا عن أن يقول : إن صوتي به قديم أو غير مخلوق، بل كانوا يقولون بما دل عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله، والناس يقرؤونه بأصواتهم ويكتبونه بمدادهم، وما بين اللوحين كلام الله، وكلام الله غير مخلوق .وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا تسافروا." (٢)

"ص -٣٢٠-مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وكثر هذا في بعض المتأخرين المنتسبين إلى أحمد بن حنبل فقالوا بقول المعتزلة وبقول الكلابية، وافقوا هؤلاء في قولهم : إنه قديم، ووافقوا أولئك في قولهم : إنه حروف وأصوات، وأحدثوا قولا مبتدعا كما أحدث غيرهم فقالوا : القرآن قديم، وهو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لنفس الله تعالى أزلا وأبدا .واحتجوا على أنه قديم بحجج الكلابية، وعلى أنه حروف وأصوات بحجج المعتزلة . فلما قيل لهم : الحروف مسبوقة بعضها ببعض، فالباء قبل السين والسين قبل الميم، والقديم لا يسبق بغيره، والصوت لا يتصور بقاؤه فضلا عن قدمه، قالوا : الكلام له وجود وماهية، كقول من فرق بين الوجود والماهية من المعتزلة وغيرهم . قالوا : والكلام له ترتيب في وجوده، وترتيب ماهية الباء للسين بالزمان هي في وجوده وهي مقارنة لها في ماهيتها لم تتقدم عليها بالزمان، وإن كانت متقدمة بالمرتبة كتقدم بعض الحروف المكتوبة على بعض؛ فإن الكاتب قد يكتب آخر المصحف قبل أوله، ومع

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٢/٢١٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٧/٢١٠

هذا فإذا كتبه كان أوله متقدما بالمرتبة على آخره .فقال لهم جمهور العقلاء : هذا مما يعلم فساده بالاضطرار؛ فإن الصوت لا يتصور بقاؤه، ودعوى وجود ماهية غير الموجود في الخارج دعوى." (١)

"ص -٥٦٧- والسلف قالوا : لم يزل الله تعالى متكلما إذا شاء . فإذا قيل : كلام الله قديم، بمعنى أنه لم يصر متكلما بعد أن لم يكن متكلما، ولا كلامه مخلوق، ولا معنى واحد قديم قائم بذاته، بل لم يزل متكلما إذا شاء فهذا كلام صحيح .ولم يقل أحد من السلف : إن نفس الكلام المعين قديما، وكانوا يقولون : القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، ولم يقل أحد منهم : إن القرآن قديم، ولا قالوا : إن كلامه معنى واحد قائم بذاته، ولا قالوا : إن حروف القرآن أو حروفه وأصواته قديمة أزلية قائمة بذات الله، وإن كان جنس الحروف لم يزل الله متكلما بها إذا شاء، بل قالوا : إن حروف القرآن غير مخلوقة، وأنكروا على من قال : إن الله خلق الحروف .وكان أحمد وغيره من السلف ينكرون على من يقول : لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق . يقولون : من قال : هو مخلوق، فهو جهمي، ومن قال : غير مخلوق، فهو م بتدع؛ فإن [اللفظ] يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظا، ويراد باللفظ الملفوظ به، وهو نفس الحروف المنطوقة، وأما أصوات العباد ومداد المصاحف فلم يتوقف أحد من السلف في أن ذلك مخلوق، وقد نص أحمد وغيره على أن صوت القارئ صوت العبد، وكذلك غير أحمد من الأئمة . وقال أحمد : من." (٢)

"ص -٥٨٥- صوت القارئ والكلام كلام البارئ .وكثير من الخائضين في هذه المسألة لا يميز بين صوت العبد وصوت الرب؛ بل يجعل هذا هو هذا فينفيهما جميعا أو يثبتهما جميعا، فإذا نفى الحرف والصوت نفي أن يكون القرآن العربي كلام الله، وأن يكون مناديا لعباده بصوته، وأن يكون القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله، كما نفى أن يكون صوت العبد صفة لله عز وجل ثم جعل كلام الله المتنوع شيئا واحدا لا فرق بين القديم والحادث، هو مصيب في هذا الفرق دون ذاك الثاني الذي فيه نوع من الإلحاد والتعطيل، حيث جعل الكلام المتنوع شيئا واحدا لا حقيقة له عند التحقيق .وإذا أثبت جعل صوت الرب هو صوت العبد، أو سكت عن التمييز بينهما مع قوله : إن الحروف متعاقبة في الوجود مقترنة في الذات قديمة أزلية الأعيان، فجعل عين صفة الرب تحل في العبد أو تتحد بصفته، فقال بنوع من الحلول والاتحاد، يفضي إلى نوع من التعطيل .وقد علم أن عدم الفرق والمباينة بين الخالق وصفاته والمخلوق وصفاته خطأ وضلال لم يذهب إليه أحد من سلف الأمة وأئمتها؛ بل هم متفقون على التمييز بين صوت

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٦/٢١٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥/٢١٧

الرب وصوت العبد، ومتفقون أن الله تكلم بالقرآن الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم حروفه ومعانيه." (١)

"ص –٥٩٧– بالعين، كما لم يفرق أولئك بين الكلام الواحد بالعين والكلام الواحد بالنوع .وكان منتهى أمر أهل الإلحاد في الكلام إلى هذا التعطيل والكفر والاتحاد، الذي قاله أهل الوحدة والحلول والاتحاد في الخالق والمخلوقات، كما أن الذين لم يفرقوا بين نوع الكلام وعينه، قالوا هو يتكلم بحرف وصوت قديم، قالوا أولا : إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا تسبق الباء السين بل لما نادى موسى فقال ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ [طه : ١٤] ﴿إني أنا الله رب العالمين ﴾ [القصص : ٣٠] ، كانت الهمزة والنون وما بينهما موجودات في الأزل يقارن بعضها بعضا، لم تزل ولا تزال لازمة لذات الله تعالى .ثم قال فريق منهم : إن ذلك القديم هو نفس الأصوات المسموعة من القراء . وقال بعضهم : بل المسموع صوتان قديم ومحدث . وقال بعضهم : أشكال المداد قديمة أزلية . وقال بعضهم : محل المداد قديم أزلي . وحكي عن بعضهم أنه قال : المداد قديم أزلي . وأكثرهم يتكلمون بلفظ القديم ولا يفهمون معناه بل منهم من يظن أن معناه أنه قديم في علمه، ومنهم من يظن أن معناه متقدم على غيره، ومنهم من يظن أن معنى اللفظ أنه غير مخلوق، ومنهم من لا يميز بين ما يقول، فصار هؤلاء حلولية اتحادية في الصفات، ومنهم من يقول بالحلول والاتحاد في." (٢)

"ص –١٧٠– كمن قال : إن كلامه مخلوق، أو قال : إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، فهؤلاء في الحقيقة لم يثبتوا أنه يتكلم، ولا أثبتوا له كلاما؛ ولهذا يقولون ما لا يعقل . هذا يقول : إنه معنى واحد قام بالذات، وهذا يقول : حروف أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته، وهذا يقول : مخلوق بائن عنه .ولهذا لما ظهر لطائفة من أتباعهم ما في قولهم من الفساد، ولم يعرفوا عين هذه الأقوال الثلاثة حاروا وتوقفوا، وقالوا : نحن نقر بما عليه عموم المسلمين من أن القرآن كلام الله، وأما كونه مخلوقا أو بحرف وصوت أو معنى قائم بالذات فلا نقول شيئا من هذا .ومعلوم أن الهدى في هذه الأصول ومعرفة الحق فيها هو معرفة ما جاء به الرسول، وهو الموافق لصريح المعقول، أنفع وأعظم من كثير مما يتكلمون فيه من العلم، لاسيما والقلوب تطلب معرفة الحق في هذه بالفطرة، ولما قد رأوا من اختلاف الناس فيها .وهؤلاء يذكرون ه ذا الوقف في عقائدهم وفيما صنفوه في أصول الدين، كما قد رأيت منهم من أكابر شيوخ العلم والدين

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٨/٢١٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢١/٢١٩

بمصر والشام قد صنفوا في أصول الدين ما صنفوه، ولما تكلموا في [مسألة القرآن] وهل هو مخلوق ؟ أو قديم ؟ أو هو الحروف والأصوات ؟ أو معنى قائم بالذات ؟ نهوا عن هذه الأقوال، وقالوا : الواجب أن يقال ما قاله." (١)

"ص -١٩٨- قدر وجودها مجردا عن العيان على رأي من أثبت [المثل الأفلاطونية] فتثبت الماهيات الكلية مجردة عن الموصوفات، ويدعى أنها قديمة أزلية، مثل إنسانية مجردة وحيوانية مجردة، وهذا خيال باطل .وهذا الذي جعله مجردا هو مجرد في الذهن وليس في الخارج كلي مجرد، وإذا قدر ثبوت كلي مجرد في الخارج وهو مسمى الوجود فهذا يتناول وجود المحدثات كلها، كما يتناول وجود القديم، وهذا لا يكون مبدعا لشيء ولا اختصاص له بصفات الكمال، فلا يوصف بأنه حي عليم قدير؛ إذ ليس وصفه بذلك بأولى من وصفه بأنه عاجز جاهل ميت، والخالق لابد أن يكون حيا عليما قديرا، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .ثم لو قدر أن هذا هو الخالق فهذا غير الأعيان الموجودة المخلوقة، فقد ثبت وجودان أحدهما غير الآخر، وأحدهما محدث مخلوق، فيكون الآخر الخالق غير المخلوق، ولا يمكن جحد وجود الأعيان المعينة، ولكن الواحد من هؤلاء قد يغيب عن شهود المغيبات كما يغيب عن شهود نفسه، فيظن أن ما لم يشهده قد عدم في نفسه وفنى وليس كذلك، فإن ما عدم وفنى شهوده له وعلمه به ونظره إليه، فالمعدوم الفاني صفة هذا الشخص، وإلا فالموجودات في نفسها باقية على حالها لم تتغير، وعدم العلم ليس علما بالمعدوم، وعدم المشهود ليس شهودا للعدم، ولكن هذه الحال يعترى كثيرا من السالكين." (٢)

"ص -٢٣١- حذيفة كان يعلم أسماء المنافقين، خصه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبحديث أبي هريرة : " حفظت جرابين " .ويروون كلاما عن أبي سعيد الخراز أنه قال : للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية، يخبرون عنها بلسان الأزلية، ويقولون : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن من العلم كهيئة المخزون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله " [وقوله : أهل الغرة أى أهل الغفلة] . فهل ما ادعوه صحيحا أم لا ؟ فسيدي يبين لنا مقالاتهم؛ فإن المملوك وقف على كلام لبعض العلماء ذكر فيه أن الواحدي قال : ألف أبو عبد الرحمن السلمي كتابا سماه [حقائق التفسير] إن صح عنه فقد كفر، ووقفت على هذا الكتاب فوجدت كلام هذه

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٧٤/٢٢١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٠٣/٢٢١

الطائفة منه أو ما شابهه، فما رأى سيدي في ذلك ؟ وهل صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [للقرآن باطن] الحديث يفسرونه على ما يرونه من أذواقهم ومواجيدهم المردودة شرعا ؟ أفتونا مأجورين .فأجاب الشيخ رضي الله عنه :الحمد لله رب العالمين . أما الحديث المذكور، فمن الأحاديث المختلقة التي لم يروها أحد." (١)

"ص -٨٧- جميع معاني الكلام . ومنهم من قال : بل القرآن القديم هو حروف أو حروف وأصوات، وهي قديمة أزلية قائمة بذات الرب أزلا وأبدا، وهي متعاقبة في ذاتها وماهيتها لا في وجودها، فإن القديم لا يكون بعضه متقدما على بعض، ففرقوا بين ذات الكلام وبين وجوده، وجعلوا التعاقب في ذاته لا في وجوده كما يفرق بين وجود الأشياء بأعيانها وماهياتها من يقول بذلك من المعتزلة والمتفلسفة وكلا الطائفتين تقول : إنه إذا كلم موسى أو الملائكة أو العباد يوم القيامة، فإنه لا يكلمه بكلام يتكلم به بمشيئته وقدرته حين يكلمه، ولكن يخلق له إدراكا يدرك ذلك الكلام القديم اللازم لذات الله أزلا وأبدا، وعندهم لم يزل ولا يزال يقول : ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [البقرة : ٣٥] ، و ﴿يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك﴾ [هود : ٤٨] ، و ﴿يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص : ٧٥] ، ونحو ذلك، وقد بسط الكلام على هذه الأقوال وغيرها في مواضع .والمقصود أن هذين القولين لا يقدر أحد أن ينقل واحدا منهما عن أحد من السلف أعني الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين المشهورين بالعلم والدين، الذين لهم في الأمة لسان صدق في زمن أحمد بن حنبل، ولا زمن الشافعي، ولا زمن أبي حنيفة ولا قبلهم وأول من أحدث هذا الأصل هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب، وعرف أن الحروف متعاقبة فيمتنع أن تكون قديمة الأعيان، فإن المتأخر." (٢)

"ص -١٦٣- والثاني : أنه واحد، والواحد لا يتصور فيه تفاضل ولا تماثل . وهذا على قول من يقول : إنه واحد بالعين، وهؤلاء الذين يقولون : إنه واحد بالعين منهم من يجعله مع ذلك حروفا أو حروفا وأصواتا قديمة الأعيان، ويقول : هو مع ذلك شيء واحد، كما يوجد في كلام طائفة من المتأخرين الذين أخذوا عن الكلابية أنه ليس له إلا إرادة واحدة وعلم واحد وقدرة واحدة وكلام واحد وأن القرآن قديم . وأخذوا عن المعتزلة وغيرهم أنه مجرد الحروف والأصوات . والتزموا أن الحروف والأصوات قديمة الأعيان، مع أنها مترتبة في نفسها ترتبا ذاتيا في الوجود، أزلية لم يزل بعضها مقارنا لبعض، وفرقوا بين ذات الشيء وبين وجوده

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/٢٢٢

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٨٦/٢٣٨

في الخارج موافقة لمن يقول ذلك من المعتزلة وكثير من القائلين بقدمه، وأنه حروف وأصوات، لا يقولون : إنه شيء واحد، بل يجعلونه متعددا مع قدم القرآن، وقدم أعيان الحروف والأصوات .والقول الآخر لمن يقول : إنه واحد بالعين : أن القديم هو معنى واحد لا يتعدد ولا يتبعض، كما قد بين حقيقة قولهم . وهذا هو القول المنسوب إلى ابن كلاب والأشعري . وهذا القول أول من عرف أنه قاله في الإسلام ابن كلاب، لم يسبقه إليه أحد من الصحابة ولا التابعين ولا غيرهم من أئمة المسلمين، مع كثرة ما تكلم الصحابة والتابعون في كلام الله تعالى ومع أنه من أعظم وأهم أمور الدين الذي تتوفر." (١)

"ص -٢٨٩- شرطا في الثاني، والثاني شرطا في الثالث، وهم مشتركون في الضلال وهو إثبات جواهر قائمة بنفسها أزلية مع الرب لم تزل ولا تزال معه، لم تكن مسبوقة بعدم، وجعل الفلك أيضا أزليا، وهذا وحده فيه من مخالفة صريح المعقول والكفر بما جاءت به الرسل ما فيه كفاية، فكيف إذا ضم إليه غير ذلك من أقاويلهم المخالفة للعقل والنقل ؟ !الوجه السادس : أن الصوادر المعلومة في العالم إنما تصدر عن اثنين، وأما واحد وحده فلا يصدر عنه شيء، كما تقدم التنبيه عليه في المتولدات من الأعيان والأعراض . وكل ما يذكرونه من صدور الحرارة عن الحار، والبرودة عن البارد، والشعاع عن الشمس، وغير ذلك، فإنما هو صدور أعراض، ومع هذا فلابد لها من أصلين . وأما صدور الأعيان عن غيرها، فهذا لا يعلم إلا بالولادة المعروفة . وتلك لا تكون إلا بانفصال جزء من الأصل، وهذا الصدور والتولد والمعلولية التي يدعونها في العقول والنفوس والأفلاك يقولون : إنها جواهر قائمة بأنفسها صدرت عن جوهر واحد بسيط، فهذا من أبطل قول قيل في الصدور والتولد؛ لأن فيه صدور جواهر عن جوهر واحد، وهذا لا يعقل، وفيه صدوره عنه من غير جزء منفصل من الأصل، وهذا لا يعقل، وهم غاية ما عندهم أن يشبهوا هذا بحدوث بعض الأعراض كالشعاع عن الشمس، وحركة الخاتم عن حركة اليد، وهذا تمثيل." (٢)

"ص -٢٩٠- باطل؛ لأن تلك ليست علة فاعلة، وإنما هي شرط فقط، والصادر هناك لم يكن عن أصل واحد، بل عن أصلين، والصادر عرض لا جوهر قائم بنفسه .فتبين أن ما ذكره هؤلاء من التولد العقلي الذي يدعونه من أبعد الأمور عن التولد والصدور، وهو أبعد من قول النصارى ومشركي العرب، وهم جعلوا مفعولاته بمنزلة صفة أزلية لازمة لذاته . وقد ذكرنا أن هذا مما يمتنع أن يقال فيه : إنه متولد عنه، وحينئذ فهم في دعواهم إلهية العقول والنفوس والكواكب أكفر من هؤلاء وهؤلاء، ومن جعل من المنتسبين إلى

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦٣/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٩٣/٢٣٨

الملل منهم هؤلاء هم الملكية، فقوله في جعل الملائكة متولدين عن الله، شر من قول العرب وعوام النصارى، فإن أولئك أثبتوا ولادة حسية، وكونه صمدا يبطلها؛ لكن ما أثبتوه معقول، وهؤلاء ادعوا تولدا عقليا باطلا من كل وجه أبطل مما ادعته النصارى من تولد الكلمة عن الذات، فكان نفي ما ادعوه أولى من نفي ما ادعاه أولئك؛ لأن المحال الذي يعلم امتناعه في الخارج لا يمكن تصوره موجودا في الخارج، فإنه يمتنع وجوده في الخارج، بل هو يفرض في الذهن وجوده في الخارج، وذلك إنما يمكن إذا كان له نظير من بعض الوجوه فيقدر له في الوجود الخارجي ما يشبهه، كما إذا قدر مع الله إلها آخر، وقدر أن له ولدا، فإنه يشبه من له ولد من العباد، ومن له شريك من." (١)

"ص -٣٣٢- وأرسطو كان وزير الإسكندر بن فيلبس المقدوني نسبة إلى مقدونية وهي جزيرة هؤلاء الفلاسفة اليونانيين، الذين يسمون المشائين، وهي اليوم خراب أو غمرها الماء وهو الذي يؤرخ له النصارى واليهود التاريخ الرومى، وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة . فيظن من يعظم هؤلاء الفلاسفة أنه كان وزير لذى القرنين المذكور في القرآن، ليعظم بذلك قدره، وهذا جهل؛ فإن ذا القرنين كان قبل هذا بمدة طويلة جدا، وذو القرنين بني سد يأجوج ومأجوج، وهذا المقدونى ذهب إلى بلاد فارس، ولم يصل إلى بلاد الصين؛ فضلا عن السد .والملائكة التي أخبر الله ورسوله بها لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ليسوا عشرة ولا تسعة، وهم عباد الله أحياء، ناطقون، ينزلون إلى الأرض، ويصعدون إلى السماء، ولا يفعلون إلا بإذن ربهم، كما أخبر الله عنهم بقوله : ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ [الأنبياء : ٢٦ : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ [النجم : ٢٦] ، وأمثال هذه النصوص .وهؤلاء يدعون أن العقول قديمة أزلية، وأن العقل الفعال هو." (٢)

"ص -٣٦٢- والجمهور، وهو باطل في نفس الأمر، لكن أراد أن يخيل لهم ما ينتفعون به، ولم يمكنه أن يعرفهم الحق، فإنهم كانوا ينفرون عنه ولا يقبلونه، وأما من قال من الباطنية الملاحدة وفلاسفتهم بالتأويل، فإنه يتأول كل شيء مما أخبرت به الرسل من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ثم يؤولون العبارات كما هو معروف من تأويلات القرامطة الباطنية .وأبو حامد في [الإحياء] ذكر قول هؤلاء المتأولين من

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٩٤/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٣٨/٢٣٨

الفلاسفة وقال : إنهم أسرفوا في التأويل، وأسرفت الحنابلة في الجمود، وذكر عن أحمد بن حنبل كلاما لم يقله أحمد، فإنه لم يكن يعرف ما قاله أحمد، ولا ما قاله غيره من السلف في هذا الباب، ولا ما جاء به القرآن والحديث، وقد سمع مضافا إلى الحنابلة ما يقوله طائفة منهم، ومن غيرهم من المالكية والشافعية، وغيرهم في الحرف والصوت . وبعض الصفات مثل قولهم : إن الأصوات المسموعة من القراء قديمة أزلية، وإن الحروف المتعاقبة قديمة الأعيان، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ويخلو منه العرش، حتى يبقى بعض المخلوقات فوقه، وبعضها تحته إلى غير ذلك من المنكرات فإنه ما من طائفة إلا وفي بعضهم من يقول أقوالا ظاهرها الفساد، وهي التي يحفظها من ينفر عنهم، ويشنع بها عليهم، وإن كان أكثرهم ينكرها ويدفعها كما في هذه المسائل المنكرة التي يقولها بعض أصحاب أحمد ومالك والشافعي فإن جماهير هذه الطوائف." (١)

"ص -٣٠١- ومعلوم بصريح العقل أن القادر إذا لم يكن مريدا للفعل ولا فاعلا، ثم صار مريدا فاعلا، فلابد من حدوث أمر اقتضى ذلك . والكلام هنا في مقامين : أحدهما : في جنس الفعل والقول . هل صار فاعلا متكلما بمشيئته بعد أن لم يكن، أو ما زال فاعلا متكلما بمشيئته . وهذا مبسوط في مسائل الكلام والأفعال في مسألة القرآن وحدوث العالم .والثاني : إرادة الشيء المعين وفعله، كقوله تعالى : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس : ٨٢] ، وقوله : ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ﴾ [الكهف : ٨٢] ، وقوله : ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ [الإسراء : ١٦] ، وقوله : ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ﴾ [الرعد : ١١] ، وقوله : ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رآد لفضله ﴾ [يونس : ١٠٧] ، وقوله : ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ﴾ [الزمر : ٣٨] .وهو سبحانه إذا أراد شيئا من ذلك فللناس فيها أقوال :قيل : الإرادة قديمة أزلية واحدة، وإنما يتجدد تعلقها بالمراد،." (٢)

"ص -٣٠٦- والقرآن والسنة تثبت القدر، وتقدير الأمور قبل أن يخلقها، وأن ذلك في كتاب، وهذا أصل عظيم يثبت العلم والإرادة لكل ما سيكون ويزيل إشكالات كثيرة ضل بسببها طوائف في هذا المكان في مسائل العلم والإرادة .فالإيمان بالقدر من أصول الإيمان، كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٦٨/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٢/٢٥٤

حديث جبريل، قال : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، وبالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره " . وقد تبرأ ابن عمر وغيره من الصحابة من المكذبين بالقدر .ومع هذا، فطائفة من أهل الكلام وغيرهم لا تثبت القدر إلا علما أزليا وإرادة **أزلية** فقط . وإذا أثبتوا الكتابة قالوا : إنها كتابة لبعض ذاك .وأما من يقول : إنه قدرها حينئذ، كما في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء " ، فقد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع .." (١)

"ص -٤٢٩- ومن سمات الحدث النقائص، كالجهل، والعمى، والصمم، والبكم، فإن كل ما كان كذلك، لم يكن إلا محدثا؛ لأن القديم الأزلي منزه عن ذلك؛ لأن القديم الأزلي متصف بنقيض هذه الصفات، وصفات الكمال لازمة له . واللازم يمتنع زواله إلا بزوال الملزوم . والذات قديمة **أزلية**، واجبة بنفسها، غنية عما سواها، يستحيل عليها العدم والفناء بوجه من الوجوه . فيستحيل عدم لوازمها، فيستحيل اتصافها بنقيض تلك اللوازم . فلا يوصف بنقيضها إلا المحدث، فهي من سمات الحدث المستلزمة لحدوث ما اتصف بها .وهذا يدخل في قول القائل : [كل ما استلزم حدوثا أو نقصا فالرب منزه عنه] . والنقص المناقض لصفات كماله مستلزم لحدوث المتصف به، والحدوث مستلزم للنقص اللازم للمخلوق . فإن كل مخلوق فهو يفتقر إلى غيره، كائن بعد أن لم يكن لا يعلم إلا ما علم، ولا يقدر إلا ما أقدر، وهو محاط به مقدور عليه .فهذه النقائص اللازمة لكل مخلوق هي ملزومة للحدوث،حيث كان حدوث كانت . والحدوث أيضا ملزوم لها، فحيث كان محدث كانت هذه النقائص .فقولنا : [ما استلزم نقصا أو حدوثا فالرب منزه عنه] حق .." (٢)

"ص -٤٥٧- الحوادث المشهود لهم حدوثها هي الأعراض فقط، كما قد بينا هذا في مواضع .ثم يقال : هؤلاء يثبتون خالقا لا خلق له . وهذا ممتنع في بداية العقول، فلم يثبتوا خالقا .والكرامية، وإن كانوا يقولون : الخلق غير المخلوق، فهم يقولون بحدوث الخلق بلا سبب يوجب حدوثه . وهذا أيضا ممتنع . فما أثبتوا خالقا .وأيضا، فهؤلاء وهؤلاء يقولون : الموجب للتخصيص بحدوث ما حدث دون غيره هو إرادة قديمة **أزلية** . فالكرامية يقولون : هي المخصص لما قام به وما خلقه . وهؤلاء عندهم لم يقم به شيء يكون مرادا، بل يقولون : هي المخصص لما حدث .والطائفتان ومن وافقهم يقولون : تلك الإرادة قديمة **أزلية** لم

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٧/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٨٠/٢٥٤

تزل على نعت واحد، ثم وجدت الحوادث بلا سبب أصلا . ويقولون : من شأنها أن تخصص مثلا على مثل، ومن شأنها أن تتقدم على المراد تقدما لا أول له . فوصفوا الإرادة بثلاث صفات باطلة يعلم بصريح العقل أن الإرادة لا تكون هكذا . وهي المقتضية للخلق والحدوث، فإذا أثبتت فلا خلق ولا حدوث .." (١)

" غير محدود ولا مكيف فكذلك نراه وهو غير محدود ولا مكيف وكذلك قالت النجارية ان الباري سبحانه بكل مكان من غير حلول ولا جهة وقالت الحشوية والمجسمة إنه سبحانه حال في العرش وأن العرش مكان له وهو جالس عليه فسلك طريقة بينهما فقال كان ولا مكان فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه وقالت المعتزلة له يد يد قدرة ونعمة ووجهه وجه وجود وقالت الحشوية يده يد جارحة ووجهه وجه صورة فسلك رضي الله عنه طريقة بينهما فقال يده يد صفة ووجهه وجه صفة كالسمع والبصر وكذلك قالت المعتزلة النزول نزول بعض آياته وملائكته والإستواء بمعنى الإستيلاء وقالت المشبهة والحشوية النزول نزول ذاته بحركة وانتقال من مكان إلى مكان والإستواء جلوس على العرش وحلول فيه فسلك رضي الله عنه طريقة بينهما فقال النزول صفة من صفاته والإستواء وكذلك قالت المعتزلة كلام الله مخلوق مخترع م بتدع وقالت الحشوية المجسمة الحروف المقطعة والأجسام التي يكتب عليها والألوان التي يكتب بها وما بين الدفتين كلها قديمة أزلية فسلك رضي الله عنه طريقة بينهما فقال القرآن كلام الله قديم غير مغير ولا مخلوق ولا حادث ولا مبتدع فأما الحروف المقطعة والأجسام والألوان والأصوات والمحدودات وكل ما في العالم من المكيفات مخلوق مبتدع مخترع وكذلك قالت المعتزلة والجهمية والنجارية الإيمان مخلوق على ." (٢)

" الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش وقال مرة الرحمن على العرش استوى وقال مرة الله على العرش استوى لأنهما بمعنى واحد

ولو كان كما ادعى المعارض وإمامه المريسي لكان الخالق والمخلوق استويا جميعا على العرش إذ كانت أسماؤه مخلوقة عندهم إذ كان الله في دعواهم في حد المجهول أكثر منه في حد المعروف لأن لحدوث الخلق حدا ووقتا وليس لأزلية الله حد ولا وقت لم يزل ولا يزال وكذلك أسماؤه لم تزل ولا تزال

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٠٨/٢٥٤

(٢) تبيين كذب المفتري، ص/١٥٠

ثم احتج المعارض لترويج مذهبه بأقبح قياس فقال أرأيت لو كتبت اسما في رقعة ثم احترقت الرقعة أليس إنما تحترق الرقعة ولا تضر النار الاسم شيئا فيقال لهذا التائه الذي لا يدري ما يخرج من رأسه ." (١)

"[٢٦٨] (١) وَإِنَّ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةَ (٢) خَمْسِمِائَةِ عَامٍ سُمْكُ كُلِّ سَمَاءٍ كَذَلِكَ وَبَيْنَ (٣)__________(١) - لا توجد في (ر).(٢) - وبين كل سماء كذلك لا توجد في (ر).(٣) - حقيقة مذهب الصلف في الصفات: أن مذهب السلف في صفات الله تعالى واضح كل الوضوح فيه من اليسر والسهولة ما يزيده إشراقا وجمالا فهم يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم حقيقة لا مجازا على الوجه اللائق بكمال الله وجلاله لأنه لا يصف الله تعالى أعلم من الله، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسوله صلى الله عليه وسلم، والله يقول عن نفسه (أأنتم أعلم أم الله) البقرة آية ٧٤ ويقول عن رسوله صلى الله عليه وسلم (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) النجم آية ٣ فكل ما جاء به القرآن حق لأنه من عند الله تعالى والله يقول (وقال الحق من ربكم) الكهف آية ٢٩ وكل ما ثبت في السنة حق وشرع لنا، وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم لا لتؤمن به. وطريقة السلف في الإثبات بنوها على أسس هي : ١- تنزيه الله سبحانه وتعالى عن مشابهة جميع المخلوقات في أسمائه وصفاته وذاته لقول الله تعالى (ليس كمثله شيء). ٢- اليأس من إدراك كيفية هذه الصفات والأسماء لقول الله تعالى (ولا يحيطون به علما) طه آية ١١٠، وقد نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن التفكر في ذات الله تعالى لأن ذلك يؤدي إلى الهلكة، والقول في الصفات هو كالقول في الذات لأنهما من باب واحد، فهما من الغيب الذي لا نستطيع إدراكه أو الوقوف على حقيقته أو كنهه لأن ذلك من الغيب المحظور علينا والكيف المجهول عنا كما سبقت الإشارة إلى هذا بقول أم سلمة رضي الله عنها وغيرها: الاستواء معلوم والكيف مجهول "فمذهب السلف الصالح إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية هذا بأصلين: الأول: أن يقال القول في بعض الصفات كالقول في بعض فإن كان المخاطب ممن يقول بأن الله حي بحياة عليم بعلم قدير بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام ويجعل ذلك كله حقيقية وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهيته فيجعل ذلك مجازا أو يفسره بالإرادة وأما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات، فيقال له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته بل القول في أحدهما كالقول في الآخر. الثاني : أن يقال القول في الصفات كالقول في الذات فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فإذا كان له ذات حقيقية لا تماثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر

---

(١) نقض الدارمي، ١/١٦٣

الصفات. وقد شاع لدى بعض الباحثين قديما وحديثا أن مذهب السلف هو التفويض وليس الإثبات، ونرد على هذه الدعوى بأمور: (أولا) الآيات القرآنية التي تضمنت هذه الصفات الكريمة لله تعالى من الاستواء والمجيء والرضا والغضب و... فإن لم يكن المراد منها إثبات هذه الصفات كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته فما هو المقصود منها إذا ؟ ثم إن الأحاديث النبوية الكثيرة في الصفات ومطابقتها لآيات الكريمات واستنطاق النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة وسؤاله لهم عن هذه الصفات كل ذلك من أوضح الأدلة على إثبات هذه الصفات لله جل وعلا وقد ذكر المصنف قسما من هذه الأحاديث مما يغنينا عن إعادة ذكرها أو ذكر مثيل لها بل سأكتفي بذكر حديثين فقط منهما مما رواهما البخاري ومسلم. (أ) قال صلى الله عليه وسلم (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء...) الحديث. (ب) حديث احتج آدم وموسى وفيه فقال له موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده....) الحديث. (ثانيا) الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من السلف التي تدل على أن مذهبهم إنما هو إثبات الصفات لله سبحانه وتعالى. فقد أخرج اللالكائى بسنده قول أم سلمة رضي الله عنها في الاستواء "الاستواء غير مجهول والكيف غير معلوم والإقرار به إيمان والجحود به كفر" [فتح الباري ١٣/٤٠٦.]. وقالت عائشة رضي الله عنها: وأيم الله أني لأخشى لو كنت أحب قتله - لقتلت - يعني عثمان ولكن علم الله من فوق عرشه أني لم أحب قتله [الرد على الجهمية للدارمي ص ٢٧٥ في مجموعة اعتقاد السلف.]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين قبل أن يسلم: كم الها تعبد اليوم قال سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء قال فإذا أصابك الضر فمن تدعو قال الذي في السماء [البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٢٤.]. وكانت زينب أم المؤمنين رضي الله عنها تفتخر على سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات [البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤١٦.]. ودخل ابن عباس على عائشة رضي الله عنهما وهي تموت فقال لها: كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب إلا طيبا وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات [الرد على الجهمية للدارمي ص ٢٧٥.]. وقال عبد الرحمن بن القاسم (لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن ولا يشبه يديه بشيء ولا وجهه بشيء ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن وله وجه كما وصف نفسه يقف عندما وصف به نفسه في الكتاب فإنه تبارك وتعالى لا مثيل له ولا شبيه ولكن هو الله لا إله إلا هو [رسالة في الاعقتاد لمحمد بن عبد الله بن زمنين (ق ٢/٢).]. وقال الأوزاعي إمام أهل الشام في زمنه: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله على عرشه ونؤمن

بما وردت به السنة من صفاته [فتح الباري ٤٠٦/١٣ وصححها الذهبي في التذكرة ص ١٨١] (٧). وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال كنت عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن: (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى فأطرق مالك فأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع وما أراك إلا صاحب بدعة فأخرجوه [فتح الباري ٤٠٧/١٣]. (ثالثا) ما نقله كثير ممن صنف في العقائد من المتقدمين أن مذهب السلف هو الإثبات. فقد أخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي قال: كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحددون ولا يشبهون ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون كيف "قال أبو داود: وهو قولنا، وقال البيهقي، وعلى هذا مضى أكابرنا [الفتح ٤٠٧/١٣] وقال الترمذي في سننه عقب روايته لحديث النزول: وهو على العرش كما وصف به نفسه في كتابه كذا قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات [عون المعبود ٤٢/١٣]. وقتال أيضا في باب فضل الصدقة. قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف كذا جاء عن مارك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أمروها بلا كيف وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكروها وقالوا: هذا تشبيه، وقال إسحاق بن راهويه: إنما يكون التشبيه لو قيل يد كيد وسمع كسمع [عارضة الأحوزي بشرح الترمذي لابن العربي (١٦٥/٣)]. وقال الإمام أبو حنيفة في "الفقه الأكبر" وما ذكر الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال أن يده قدرته ونعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف [ص ٢ ط حيدر آباد]. وقال الإمام الدارمي في مقدمة كتابه "الرد على الجهيمة" وله الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، يقبض ويبسط ويتكلم ويرضى ويسخط ويغضب ويحب ويبض ويكره ويضحك ويأمر وينهي ذو الوجه الكريم والسمع السميع والبصر البصير والكلام المبين واليدين والقبضتين والقدرة والسلطان والعظمة والعلم الأزلي لم يزل كذلك ولا يزال... استوى على عرشه فبان من خلقه لا تخفي عليه منهم خافية علمه بهم محيط وبصره فيهم نافذ (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير [الرد على الجهمية ص ٢٥٥ - ٢٥٦]). وقال الدارمي أيضا بعد أن ساق الآيات والأحاديث في إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى: فمن آمن بهذا القرآن الذي احتججنا منه بهذه الآيات وصدق هذا الرسول الذي روينا عنه هذه الروايات لزمه الإقرار بأن الله بكماله فوق عرشه فوق سماواته وإلا فليحتمل قرآنا غير هذا فإنه غير مؤمن بهذا [المرجع السابق ص ٢٨٢]. وقال أبو العالية: استوى إلى السماء "ارتفع، وقال مجاهد: استوى

علا. ونقل محيي السنة البغوي في تفسيره عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناها ارتفع [الفتح ١٣/٤٠٣ - ٤٠٦]". وقال حماد بن زيد: إنما يحاون أن يقولوا ليس في السماء شيء [السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ص ١٠]. وقيل ليزيد بن هارون من الجهمية؟ فقال: من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي [المرجع السابق ص ١٢]. وقال عباد بن العوام: كلمت بشرا المريسي وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شيء [المرجع السابق ص ٦٣]. وقيل لعبد الله بن المبارك: كيف نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه [المرجع السابق ص ٥]. وأخرج الدارقطني بسنده أن عباد بن العوام قال: قدم علينا شريك بن عبد الله فقلت له: أن عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث (أن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا) وأن أهل الجنة يرون ربهم (فحدثني شريك بنحو عشرة أحاديث في هذا وقال: أما نحن فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمن أخذوا) [الصفات للدارقطني (ق٦/١).]. وقال عبد العزيز بن الماجشون: والله ما دلهم على عظيم ما وصف من نفسه وما تحيط به قبضته إلا صغر نظيرها من عندهم أن ذلك الذي ألقى في روعهم وخلق على معرفته قلوبهم [الفتاوى لابن تيمية ٥/٤٨٢]. وقال الإمام الشافعي: لله أسماء وصفات لا يسع أحد ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل فتثبت هذه الصفات ونفي عنه التشبيه كما نفي عن نفسه فقال (ليس كمثله شيء) [عون المعبود ١٣/٤١] وقال أيضا: السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا أهل الحديث الذين رأيتهم عليها فأحلف عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء وأن الله ينزل إلى سماء الدنيا كيف يشاء [عون المعبود ١٣/٤٧]. (رابعا) أن الذين صنفوا في العقيدة من المتقدمين قد ذكروا الأحاديث والآثار التي تتعلق بالصفات ضمن أبواب في رسائلهم، حتى أن ابن خزيمة أطلق على كتابه في ذلك اسم: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل وهذه بعض أبواب كتابه: باب في إثبات وجه الله ، باب ذكر إثبات العين لله جل وعلا، باب ذكر إثبات السماع والرؤية لله جل وعلا، باب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ جل وعلا، باب ذكر استواء خالقنا العلى الأعلى، باب صفة تكلم الله بالوحي، وهكذا فعل كثير ممن صنف في عقيدة السلف مثل كتاب "الرد على الجهمية" للدارمي، والرد على الجهمية للإمام أحمد والسنة له والسنة لابنه عبد الله والسنة لابن أبي عاصم النبيل والسنة لأبي بكر الأثرم والأربعين في دلائل التوحيد للهروي وشرح أصول السنن للالكائي والأسماء والصفات للبيهقي والإبانة للأشعري، وكذلك رسالته

إلى أهل الثغر وعشرات الكتب غيرها – فكل هذه الكتب ليس فيها الا الإثبات وليس فيها ما يدل على خلافه، وهل بعد ذكر هذا الإجماع من هؤلاء الفحول من العلماء يطلب الدليل على أن مذهب السلف هو الإثبات. (خامسا) تبويب المحدثين لأحاديث الصفات في كتبهم دليل قاطع أيضا على أن مذهب السلف هو الإثبات، وهذه بعض أبواب إمام المحدثين البخاري رحمه الله تعالى. باب: وكان الله سميعا عليما، باب قول الله: ويحذركم الله نفسه، باب قول الله عز وجل: كل شيء هالك إلا وجهه، باب قول الله تعالى: ولتصنع على عيني، باب قول الله تعالى: لما خلقت بيدي، باب قول الله تعالى: تعرج الملائكة والروح إليه، وكان يذكر في كل باب عدة أحاديث فيها الصفة التي بوب عليها. كما عقد أبواب ذكر فيها ما أنكرت الجهمية من صفات الله تعالى وهكذا كان صنيع كثير من المحدثين، وسأذكر هنا بعض الأبواب التي ذكرها ابن ماجة في سننه في الرد على ما أنكرت الجهمية فقال: باب فيما أنكرت الجهمية: وذكر أحاديث الرؤية، والضحك والقبض والأصابع والطي وغيرها من أحاديث الصفات، والجهمية لهم تنكر أن هذه الأحاديث قد صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما أنكرت ما فيها من إثبات لصفات الله تعالى، فرد عليهم علماء السنة هذا ما بين مكفر ومضلل ومبدع ومفسق . وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر: وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكييف له وإن الإيمان به واجب وترك التكييف له لازم [(ق ٧/١)]. وقال ابن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يكيفوا شيئا منها، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا: من أقر بها فهو مشبه فسماهم من أقر بها معطلة [فتح الباري ٤٠٧/١٣]. وقال ابن خزيمة في كتابه "التوحيد" وإثبات صفات الرب عند كلامه على صفه الوجه: فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا إنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ونصدق بذلك في قلوبنا – من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين وعز ربنا عن أن نشبهه بالمخلوقين وجل ربنا عن مقالة العاطلين وعز أن يكون عدما كما قاله المبطلون [ص ١٠]. وقال أبو عمرو الطلمنكي: وأجمعوا – أهل السنة – على أن لله عرشا وعلى أنه مستو على عرشه وعلمه وقدرته وتدبيره بكل ما خلقه. وقال أيضا: فأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى (وهو معكم أينما كنتم) ونحو ذلك في القرآن أن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته مستوى على عرشه كيف شاء [الفتاوى لابن تيمية ٥١٩/٥]. وذكر البيهقي في كتابة "الاعتقاد" بابا في ذكر آيات وأخبار وردت في إثبات صفة الوجه واليدين والعين وهذه صفات طرق إثباتها السمع فنثبتها لورود خبر الصادق بها ولا نكيفها [ص ٢٩].

وقال ابن قدامة المقدسي: وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم والاهتداء بمنارهم وحذرنا المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات [لمعة الاعتقاد لابن قدامة ص ٤]. وقال الشهرستاني: واعلم أن جماعة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة... ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا واحدا وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه ولا يؤلون ذلك إلا أنهم يقولون: هذه صفات وردت في الشرع فنسميها صفات خبرية [الملل والنحل ١/٩٢]. وذكر أن من هؤلاء مالك بن أنس وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وداود بن علي الأصفهاني ومن تابعهم [المرجع السابق ١/٩٣]. وقال أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني في رسالته "إثبات الاستواء والفوقية" وأثبتنا علو ربنا سبحانه +وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح في ذلك والصدور تنشرح له، فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جهل وعلى مع كون الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها فوقوفنا عن إثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياها فما وصف لنا نفسه بهذا إلا لنثبت ما وصف به نفسه لنا ولا نقف في ذلك أ هـ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ١/١٨١ وقال الشيخ أحمد بن إبراهيم الواسطي الشافعي [المعروف بابن شيخ الحزامين المتوفي سنة ٧١١ هـ.]. في رسالته "النصيحة في صفات الرب جل وعلا". وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت غير معقولة من حيث التكييف والتحديد، فيكون المؤمن بها مبصرا من وجه أعمى من وجه، مبصرا من حيث الإثبات والوجود أعمى من حيث التكييف والتحديد. وبهذا يحصل على الجمع بين الإثبات لما وصف الله به نفسه وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف وذلك مرادا لله تعالى منافي إبراز صفاته لنا لنعرفه بها ونؤمن بحقائقها لا فرق بين الاستواء والسمع ولا بين النزول والبصر لأن الكل ورد في النص، فإن قالوا لنا: في الاستواء شبهتهم، نقول لهم: في السمع شبهتم وصفتم ربكم بالعرض. وإن قالوا: لا عرض بل كما يليق به قلنا: في الاستواء والفوقية لا حصر بل كما يليق به، فجميع ما يلزموننا في الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب من التشبيه نلزمهم به في الحياة والسمع والبصر والعلم فكي لا يجعلونها أعراضا كذلك نحن لا نجعلها جوارح ولا مما يوصف به المخلوق وليس من الإنصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين فيحتاجون إلى التأويل والتحريف فإن فهموا في هذه الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات المخلوقين من الأعراض. فما يلزموننا في تلك الصفات من التشبيه والجسمية

نلزمهم في هذه الصفات من العرضية وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع وينفونه عنه من عوارض الجسم فيها فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبوننا فيها إلى التشبيه سواء بسواء ومن أنصف عرف ما قلناه واعتقده وقبل نصيحتنا ودان الله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك ونفي عن جميعها التعطيل والتشبيه والتأويل والوقوف. وهذا مراد الله تعالى منافي ذلك لأن هذه الصفات وتلك جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل وحرفنا هذه وأولناها كان كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وفي هذا بلاغ وكفاية أ هـ بتصرف يسير جدا ص ٢٣ - ٢٤. (سادسا) ما ذكره المفسرون من الأحاديث والآثار عند آيات الصفات التي وردت في القرآن الكريم، دليل آخر على أن مذهب السلف هو الإثبات وليس التفويض. ولست أعني بالمفسرين هنا الذين سلكوا غير منهج السلف في تفاسيرهم بل أعنى من لم يخرج عن النهج السلفي منهم كابن جرير وابن أبي حاتم وابن كثير رحمهم الله أجمعين. (سابعا) لم يثبت أن أحدا من السلف صرح بنقيض هذه الصفات لا من قريب ولا من بعيد، مثل أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه نفى أن يكون الله جلا جلاله في السماء، وإنما جاء أن من نفي ذلك الجهمية فرد عليهم علماء السلف وشنعوا عليهم. (ثامنا) إجماع علماء السلف على وصف من نفى صفات الله تعالى بأنه معطل جهمي متابع في ذلك للجهم بن صفوان الترمذي، فإنه أول من أظهر القول بنفي الصفات، وأما الذين أثبتوا بعض الصفات ونفوا بعضها فقد سلكوا في ذلك منهجا عقليا مع أنه يلزمهم في الصفات التي أثبتوها ما يلزمهم في الصفات التي نفوها. (تاسعا) مقتضى الإيمان بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إنما يكون بإثبات جميع جزيئات المؤمن به وفي ذلك زيادة في اليقين على من فوض ذلك وآمن بمجمله، لأن المعصوم صلى الله عليه وسلم قد أتى به والعقول لا ترده. وغاية القول أن مذهب السلف هو الإثبات وليس التفويض لما يلزم على التفويض من أمور نكتفي بذكر بعضها: (أ) عدم معرفة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة لمعاني آيات وأحاديث الصفات وإذا افترضنا أن هذا جائز في كلام الله تعالى فلا يصح أن يكون هذا جائزا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم. (ب) أنه يؤدي إلى القول بأن ظواهر هذه النصوص تدل على معنى لا يليق بالله تعالى، وقد قال بهذا طائفة، قال الرازي : أن هذه المتشابهات يجب القطع بأن مراد الله منها شيء غير ظاهرها كما يجب تفويض معناها إلى الله تعالى ولا يجوز الخوض في تفسيرها [أساس التقديس ص ٦] فهم اعتبروا أن آيات الصفات من المتشابه، وهذا قول باطل أيضا فقد تطرق ابن جرير في تفسيره إلى بيان المراد بالمتشابه عند آية آل عمران (وآخر متشابهات) وذكر الأقوال في ذلك عن السلف ولم يذكر أن أحدا من السلف قال بدخول آيات الصفات في المتشابه ونفترض ثانية أنه إذا جاز

أن تكون آيات الصفات من المتشابه، فكيف يعقل أن تكون أحاديث الصفات من المتشابه أيضا وهذا خرق للإجماع لأن الأحاديث النبوية ليس فيها متشابهة. (ج) أنه يشير إلى اتهام من ذكرنا من العلماء بتزوير حقيقة مذهب السلف في ذلك، وإذا جاز هذا فيلزم منه محاذير منها إبطال الإجماع من أصله وهو أصل من أصول التشريع. (د) مصادمة هذا القول للنصوص التي تفيد الإثبات والتشكيك في صفات الله تعالى وأن الشك في صفات الله تعالى لا يجوز. هـ) أنه يؤدي إلى أن ينسب للبدعة من خالفه وفي هذا خطأ كبير لأنهم سووا بين المثبتة للصفات والنافين لها ووهم جاهلون أي الفريقين أصاب السنة والحق وهذا يؤدي إلى أن يكون الحق باطلا والسنة بدعة. شبهة والرد عليها: وقد وردت عن بعض السلف عبارات تدل على إمرار أحاديث الصفات وترك تأويلها وتفسيرها وقد اتخذت هذه العبارات شبهة للبعض فقرروا بموجبها أن مذهب السلف هو التفويض. فنقول في رد هذه الشبهة، أن هذه الأقوال عن بعض علماء السلف لا تتنافي مع ما قرروه من الإثبات ، لأن مرادهم بمثل هذه العبارات إنما هو ترك الكلام في معنى كيفيتها، لأن معرفة الكيفية لا سبيل إليه فلابد من اليأس من إدراك كنه الصفة وحقيقتها وهذا أصل معروف لدى علماء السلف، ويؤكد أن المراد بهذه العبارات هو ما ذكرناه أن كل من نقل عنه مثل هذه العبارات قد نقل عنه القول بالإثبات ، ومثال ذلك فقد روى الدارقطني ، في "الصفات" بسنده قول سفيان بن عيينة: كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثيل (ق ٥/١). وروى الدارقطني أيضا في الكتاب نفسه وفي الورقة نفسها بسنده عن سفيان بن عيينة لما سئل عن أحاديث الصفات فقال: هي كما جاءت نقر بها ونحدث بلا كيف (ق ٥ /٢). فالمراد من قول سفيان الأول إنما هو نفي الكيفية فقط، كما نفاها مالط وأم سلمة وغيرهم من السلف عندما قالوا في الاستواء أنه معلوم والكيف مجهول "وقد سبق أن ذكرنا قول الترمذي في سننه" قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف، كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أمروها بلا كيف. كما جاء في بعض العبارات أيضا "وترك تفسيرها" أي أحاديث الصفات، فالمراد بذلك ترك تأويلها لأن لفظ التأويل في كلام العرب لا يراد به إلا التفسير أو الحقيقة الموجودة في الخارج التي يؤول إليها الشيء كما ذكر ذلك شيخ +الإسلام ابن تيمية... الفتاوى ٣٤٩/٥، أو أن المراد من ذلك ترك التفسير الذي يخرج عن ظاهر اللفظ أو ترك التفسير الذي يؤدي إلى الكيفية والكنه. وأن مثل هذه العبارات تحمل على ما ذكرناه لاستحالة أن يراد به غير ذلك لما فيه من خرق للإجماعات الكثيرة التي نقلناها من أن مذهب السلف هو الإقرار لأحاديث وآيات الصفات، وعبارة المصنف في ذلك تحمل أيضا على ما ذكرناه فقد قال في الإبانة الكبرى في معرض الرد على الجهمية

ونفوا عن الله الصفات التي نطق به القرآن ونزل بـها الفرقان من السمع والبصر والحلم و الرضا والغضب والعفو والمغفرة والصفح والمحاسبة والمناقشة (ق ٦٥٥ /٢). ولعل الشهرستاني أول من نقل أن مذهب السلف هو التفويض وتبعه على ذلك إمام الحرمين والرازي وغيرهما، قال الشهرستاني في "الملل والنحل" ص ٩٣: ثم إن جماعة من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف فقالوا لابد من إجرائها على ظاهرها فوقعوا في التشبيه الصرف وذلك على خلاف ما اعتقده السلف "وقد تناقض الشهرستاني هنا، وذلك أنه ذكر قبل صفحة واحدة فقط ما نصه: اعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون الله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة... ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه ولا +يؤولون ذلك..." ص ٩٢. ففي النص الأول أفاد أن إجراء آيات الصفات على ظاهرها هو زيادة على مذهب السلف، وفي النص الثاني ذكر أن السلف يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه، فنقول للشهرستاني أليس هذا أيضا إجراء للنصوص على ظاهرها فنحن نطالب.... الشهرستاني بالتفريق بين ذلك؟. وقال الرازي في هذا الصدد في كتابه "أساس التقديس" ص ٢٢٣ ما نصه: أن هذه المتشابهات يجب القطع بأن مراد الله منها شيء غير ظواهرها كما يجب تفويض معناها إلى الله تعالى لا يجوز الخوض في تفسيرها أ هـ "وقد وقع الرازي أيضا هنا في تناقض وبيان ذلك أنه أوجب تفويض معناها إلى الله تعالى، ثم دعا إلى حملها على غير ظاهرها، فكيف يكون هذا تفويضا، لأن مجرد حملها على غير ظاهرها هو نقض للتفويض أصلا، كما قال: ولا يجوز الخوض في تفسيرها" فما هي الفائدة إذا من حملها على غير ظاهرها، إذا كان لا يجوز لنا الخوض في تفسيرها. وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها [شرح جوهرة التوحيد للباجوري ص ١٤٩]. وقد حصروا ذلك في الصفات الفعلية أما الصفات التي أثبتوها من ا لسمع والبصر و... فلم يتوهموا فيها التشبيه مع أن الصفات الفعلية التي نفوها وزعموا أنها توهم التشبيه لا فرق بينها وبين الصفات التي أثبتوها، وكيف يصح أن يقال هذا في الصفات وأكثرها وارد في القرآن الكريم والله سبحانه وتعالى يقول عنه (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير).." (١)

"وَمِنْ اَلسُّنَّةِ وَتَمَامِ اَلْإِيمَانِ وَكَمَالِهِ اَلْبَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ اِسْمٍ خَالَفَ اَلسُّنَّةَ وَخَرَجَ مِنْ إِجْمَاعِ اَلْأُمَّةِ وَمُبَايَنَةُ أَهْلِهِ وَمُجَانَبَةُ مَنِ اِعْتَقَدَهُ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اَللَّهِ – عز وجل – بِمُخَالِفَتِهِ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ اَلرَّافِضَةُ (١) وَالشِّيعَةُ (٢) وَالْجَهْمِيَّةُ (٣) وَالْمُرْجِئَةُ (٤)

---

(١) متن كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة، ص/٢٢٧

(١) – الشيعة: اعتبرهم الشهرستاني الأصل الذي انبسقت عنه طوائف الشيعة، وشايعوا عليا على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية إما جليا وإما خفيا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده ١٤٦ وقال ابن الجوزي هم: الذين قالوا أن عليا وصبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووليه من بعده وأن الأمة كفرت بمبايعة غيره "التلبيس" ص ٣٢.

(٢) – الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم المازني بمرو وذكر ابن الجوزي أن الجهمية انقسمت إلى اثنتى عشرة فرقة وذكرها "التلبيس ص ٣١ وذكر الشهرستاني أن جهما من الجبرية الخالصة ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية" الملل ٨٦/١.

(٣) – المرجئة: وهم الغلاة في إثبات الوعد والرجاء والقدر وسموا مرجئة إما أنها مشتقة من الرجاء أو من التأخير" (ق ١٧–٢) من كتاب ذكر فرق المبتدعة وأهل الأهواء ومذاهبهم لأبي محمد عثمان بن عبد الله بن الحسن العراقي. وانظر الملل لابن حزم ٤٦/٥.

(٤) – وهي أصل الخوارج ومنها تشعبت فرقها وهم الذين خرجوا على علي رضى الله عنه ولجأو إلى حروراء وكان زعيمهم ابن الكواء "انظر تلبيس إبليس" ص ٢٩.." (١)

"وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع (١) ، وذكر منشأ غلط الطائفتين حيث لم يفرقوا بين النوع والعين، وذكر قول السلف والأئمة: إن الله لم يزل متكلما إذا شاء، وإنه لا نهاية لكلمات الله، وإن وجود مالا نهاية له من كلمات الله في الماضي، كما ثبت في المستقبل وجود مالا نهاية له أيضا، وإن كل ما سوى الله مخلوق كائن بعد أن لم يكن، وليس معه شيء قديم بقدمه، بل ذلك ممتنع عقلا باطل شرعا؛ فإن الله أخبر أنه خالق كل شيء. والقول بأن الخالق علة تامة أزلية مستلزمة لمعلولها باطل عقلا وشرعا، وموجبة أنه يمتنع ضرورة وجود علة تامة يقارنها حدوث شيء من العالم، فإن الحوادث بعد أن لم تكن يمتنع مقارنة معلولها بها، بل قد بين أن القول بأن الفاعل يكون علة تامة مستلزمة للمفعول باطل، وأن الفعل لا يكون إلا بإحداث شيء. لكن فرق بين حدوث الشيء المعين وبين حدوث الحوادث شيئا بعد شيء.وقد ثبت بـالـدلائل اليقينية أن الرب فاعل باختياره وقدرته، وأنه إذا قيل: هو موجب بالذات، فإن أريد بذلك أنه يوجب بمشيئته وقدرته ما شاءه= فهذا لا ينافي فعله بمشيئته وقدرته؛ وإن أريد بذلك ما يقوله دهرية الفلاسفة كابن سينا ونحوه من أن ذاتا مجردة عن الصفات أوجبت العالم بما فيه من الأمور المختلفة

---

(١) متن كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة، ص/٣٢٦

الحادثة= فهذا من أفسد الأقوال عقلا وسمعا، فإن إثبات ذات مجردة عن الصفات أو إثبات وجود مجرد عن جميع القيود أو مقيد بالسلوب لا يختص بأمر وجودي مما لا يمكن تحققه في الخارج، وإنما يقدره الذهن كما يقدر سائر______________(١) انظر "شرح حديث عمران بن حصين" الذي سبق ذكره، وانظر "منهاج السنة" (١/٣٦٠ وما بعدها) و"درء التعارض" (٨/٢٨٧- ٢٩٠) .." (١)

"في العلم. وذلك أن الله يعلم الموجود والمعدوم والواجب والممكن والممتنع، وقد اتفق العقلاء على أن الممتنع ليس بشيء، وإنما نازع بعضهم في الممكن، فقال فريق من المعتزلة والرافضة: المعدوم الممكن شي ثابت في نفسه خارجا عن العلم. ثم هؤلاء متفقون على أنه ليس كل ممكن وجد.فهذا أيضا ينبغي أن نعرفه، فلا فرق عند أهل السنة وجماهير الخلق بين الوجود والثبوت، بل المعدوم كما قال الله تعالى: (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا (٩)) (١) ، وقال: (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧)) (٢) . فإذا قال: "إنه معلوم لله" فهذا حق، لا فرق بين أن يقال: هو ثابت في العلم أو موجود في علم الله.الوجه الثالثقوله: "فلما تحركت الإرادة **الأزلية** أن يعرض نفسه على الحقائق الكونية المعدومة في نفسها المشهودة أعيانها في علمه في تجليه المطلق، نزلت الحلية الإلهية من حقيقة كانه إلى سر شأنه، فعند ذلك قارن الألف النون، فعبر عنها بـ"أنا"، وعند ذلك ظهرت نقطة سميت عقدة "حقيقة النبوة"، فهو صورة علم الحق بنفسه الواقعة بصورة العمل، المطابقة للصفة المعلومية، فصارت مرآة______________(١) سورة مريم: ٩.(٢) سورة مريم: ٦٧.." (٢)

"الفاسدة ليس لها حد. وما أكثر ما يوجد هذا في كلام هؤلاء الملحدة في أسماء الله وآياته المشابهين للإسماعيلية والنصيرية والفرعونية، ولهذا كان العلماء يقولون عنهم: لهم خيال واسع، والخيال والوهم محل الشياطين الذين يتنزلون عليهم بهذا.فيقال: قولك "تحركت الإرادة **الأزلية**" عبارة فيها إنكار، فلو قال: "توجهت أو تعلقت الإرادة" كان أحسن. ومتى كانت هذه الحركة؟ أهي قديمة معه لم تزل أم كان ذلك بعد أن لم يكن؟ فإن كان قديما بطل قولك "فلما تحركت الإرادة **الأزلية** نزل من كانه إلى شأنه"، فإن هذا ظرف لفعلات يقتضي تحولا من حال إلى حال، والفعل الذي له ظرف زمان لا يكون إلا حادثا، ولذلك قلت: "فعند ذلك قارن الألف النون فعبر عنها". والقديم ليس له ظرف زمان يتحول فيه، فإنه لم يزل، وإن قلت: إن هذا محدث بطل قولك بعد هذا بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - من الأزل إلى الأبد.وأيضا

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣/٣٤٨

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٤/٤٠٣

فقولك "يعرض نفسه على الحقائق الكونية المعدومة في نفسها المشهودة أعيانها في علمه" كلام باطل، فإن الله لا يعرض نفسه على شيء، ولا يتجلى لكل شيء، وإنما يتجلى لأوليائه يوم القيامة في الجنة كما جاءت الآثار الصحيحة، ويتجلى أيضا لعباده في عرصات القيامة. وقد قيل: إن محمدا رآه ليلة أسري، وأما من سوى محمد - صلى الله عليه وسلم - فلا يراه بعينه في الدنيا، كما ثبت في صحيح." (١)

"العالم شيء قديم مساوق لله، كما تقوله الفلاسفة القائلون بقدم الأفلاك، وأنها مساوقة لله في وجوده، فإن هذا ليس من أقوال المسلمين.[الاستطراد في الرد على قول الفلاسفة بقدم العالم][مجمل الرد على قول الفلاسفة بقدم العالم]وقد بينا فساد قول هؤلاء في [غير] (١) هذا الموضع، وبينا أن قولهم بأن المبدع علة تامة موجب بذاته هو نفسه يستلزم فساد قولهم، فإن العلة التامة تستلزم معلولها، فلا يجوز أن يتأخر عنها شيء من معلولها.فالحوادث مشهودة في العالم، فلو كان الصانع موجبا بذاته علة تامة مستلزمة لمعلولها لم يحدث شيء من الحوادث في الوجود إذ الحادث يمتنع (٢) أن يكون صادرا عن علة تامة أزلية، فلو كان العالم قديما لكان مبدعه علة تامة، والعلة التامة لا يتخلف عنها شيء من معلولها، فيلزم من ذلك أن لا يحدث في العالم شيء، فحدوث الحوادث دليل على أن فاعلها ليس بعلة تامة في الأزل، وإذا (٣) انتفت العلة التامة في الأزل بطل القول بقدم شيء من العالم لكن هذا لا ينفي أن الله لم يزل متكلما إذا شاء، ولم يزل حيا فعالا لما يشاء.[مناقشة الفلاسفة تفصيلا على قولهم بقدم العالم]وعمدة الفلاسفة على قدم العالم هو قولهم يمتنع (٤) حدوث الحوادث بلا سبب حادث، فيمتنع تقدير ذات معطلة (٥) عن الفعل لم تفعل، ثم فعلت من غير حدوث سبب.وهذا القول لا يدل على قدم شيء بعينه من العالم لا الأفلاك، ولا__________(١) غير: ساقطة من (ن) فقط.(٢) أ: في الوجود الحادث ممتنع، ب: من الحوادث فالموجود الحادث يمتنع.(٣) ن، م: فإذا.(٤) ن، م: امتناع.(٥) ن، م: تقديرات معطلة، وهو تحريف.." (٢)

"علة تامة موجبة يقترن بها معلولها - كما زعموا - لم يكن في العالم شيء محدث، فإن ذلك المحدث لا يحدث عن علة تامة أزلية يقارنها معلولها، فإن المحدث المعين لا يكون أزليا.وسواء قيل. إنه حدث بوسط أو بغير وسط (١) - كما يقولون: إن الفلك تولد عنه بوسط عقل، أو عقلين، أو غير ذلك مما يقال - فإن كل قول يقتضي أن يكون شيء (٢) من العالم قديما لازما لذات الله فهو باطل ؛ لأن

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٤/٤٠٥

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/١٤٨

ذلك يستلزم كون البارئ موجبا بالذات بحيث يقارنه (٣) موجبه إذ لولا ذلك لما قارنه بذلك الشيء، ولو كان موجبا بالذات لم يتأخر عنه شيء من موجبه ومقتضاه، فكان يلزم أن لا يكون في العالم شيء محدث.[بطلان القول بأن البارئ موجب بذاته للفلك]ولو قيل: إنه موجب بذاته للفلك، وأما حركات الفلك، فيوجبها شيئا بعد شيء كان هذا باطلا من وجوه:أحدها:أن يقال: إن كانت حركة الفلك لازمة له - كما هو قولهم - امتنع إبداع الملزوم دون لازمه، وكونه موجبا بالذات علة تامة للحركة ممتنع ؛ لأن الحركة تحدث شيئا فشيئا، والعلة (* التامة الموجبة لمعلولها [في الأزل] (٤) لا يتأخر عنها شيء من معلولها، فلا تكون الحركة معلولة____________(١) أ، ب: بواسطة أو بغير واسطة.(٢) ن، م: أن يكون كل شيء. . .(٣) ن، م: يفارقه، وهو خطأ.(٤) في الأزل: ساقط من (ن) ، (م) .." (١)

"للموجب بذاته في الأزل *) (١) الذي يلزمه (٢) معلوله، وإن لم تكن لازمة [له] (٣) فهي حادثة، فتقتضي سببا واجبا (٤) حادثا، وذلك بالحادث لا يحدث عن العلة التامة **الأزلية** إذ الموجب بذاته لا يتأخر عنه موجبه.ولهذا كان قول هؤلاء الذين يجعلون الحوادث صادرة عن علة تامة **أزلية** لا يحدث فيها، ولا منها شيء أشد فسادا من قول من يقول حدثت عن القادر بدون سبب حادث ؛ لأن هؤلاء أثبتوا فاعلا. ولم يثبتوا سببا حادثا، وأولئك (٥) يلزمهم نفي الفاعل للحوادث ؛ لأن العلة التامة الموجبة بذاتها في الأزل لا تكون محدثة لشيء أصلا. ولهذا كانت الحوادث عندهم إنما تحدث بحركة الفلك، وهم لا يجعلون فوق الفلك شيئا أحدث حركته، بل قولهم في حركات الأفلاك وسائر الحوادث من جنس قول القدرية في أفعال الحيوان، وحقيقة ذلك أنها تحدث بلا محدث، لكن القدرية خصوا ذلك بأفعال الحيوان، وهؤلاء قالوا ذلك في كل حادث علوي وسفلي.الوجه الثاني:أن الفاعل سواء كان قادرا، أو موجبا بذاته، أو قيل: هو قادر يوجب بمشيئته وقدرته لا بد أن يكون موجودا عند وجود المفعول، ولا يجوز أن يكون معدوما عند وجود المفعول إذ المعدوم لا يفعل موجودا، ونفس____________(١) ما بين النجمتين ساقط من (ب) فقط.(٢) أ، ب: يلزم، وهو خطأ.(٣) له: ساقطة من (ن) فقط.(٤) واجبا: زيادة في (ن) فقط.(٥) ن، م: فأولئك.." (٢)

"الفعال، فيقولون: إنه دائم الفيض، ولكن يحدث استعداد القوابل بسبب حدوث الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية، وتلك ليست صادرة عن العقل الفعال، وإنما. (١) في المبدع الأول، فهو المبدع

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/١٥٠

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/١٥١

لكل ما سواه، فعنه يصدر الاستعداد والقبول والقابل والمقبول.وحينئذ فيقال: إذا كان علة تامة موجبا بذاته، وهو دائم الفيض لا يتوقف فيضه على [شيء] (٢) غيره أصلا لزم أن يكون كل ما يصدر عنه بواسطة أو بغير واسطة (٣) لازما له قديما بقدمه، فلا يحدث عنه شيء لا بوسط ولا بغير وسط ؛ لأن فعله وإبداعه لا يتوقف على استعداد أو قبول (٤) يحدث عن غيره، ولكن هو المبدع للشرط والمشروط والقابل والمقبول والاستعداد، وما يفيض على المستعد، وإذا كان وحده هو الفاعل لذلك كله امتنع أن يكون علة تامة أزلية مستلزمة لمعلولها ؛ لأن ذلك يوجب أن يكون معلوله كله أزليا قديما بقدمه، وكل ما سواه معلول له، فيلزم أن يكون كل ما سواه قديما أزليا، وهذا مكابرة للحس.ومن تدبر هذا وفهمه تبين له أن فساد قول هؤلاء معلوم بالضرورة بعد التصور التام.[النتائج التي أدى إليها امتناع المتكلمين عن القول بحوادث لا أول لها]وإنما عظمت حجتهم، وقويت شوكتهم على أهل الكلام المحدث [المبتدع] (٥) الذي ذمه السلف والأئمة من الجهمية والمعتزلة، ومن__________(١) أ، ب: وأما.(٢) شيء: ساقطة من (ن) ، (م) .(٣) أ، م: بوسط أو بغير وسط.(٤) ن، م: وقبول.(٥) أ، ب: المبدع. والكلمة ساقطة من (ن) ، (م) وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.." (١)

"بذاته بمعنى (١) أنه علة أزلية مستلزمة للفعل، ولا بمعنى أنه يوجب بذات (٢) لا مشيئة لها، ولا قدرة (٣) ، بل هو يوجب بمشيئته، وقدرته ما شاء وجوده، وهذا هو القادر المختار، فهو قادر مختار يوجب بمشيئته ما شاء وجوده.وبهذا التحرير يزول الإشكال. (٤) في هذه المسألة، فإن الموجب بذاته إذا كان أزليا يقارنه موجبه، فلو كان الرب تعالى موجبا بذاته [للعالم.] (٥) في الأزل [لكان كل ما في العالم مقارنا له في الأزل] (٦) ، وذلك ممتنع بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فكل ما شاء الله وجوده من العالم فإنه يجب وجوده بقدرته ومشيئته، وما لم يشأ يمتنع وجوده إذ لا يكون شيء إلا بقدرته، ومشيئته، وهذا يقتضي وجوب وجود ما شاء تعالى وجوده.ولفظ الموجب بالذات فيه إجمال، فإن أريد به أنه يوجب ما يحدثه بمشيئته، وقدرته، فلا منافاة بين كونه فاعلا بالقدرة والاختيار، وبين كونه موجبا بالذات بهذا التفسير، وإن أريد بالموجب بالذات أنه يوجب شيئا من الأشياء بذات مجردة عن القدرة والاختيار، فهذا باطل ممتنع، (* وإن__________(١) ن، م: يعني.(٢) ن: ولا يعلم أنه موجب بذاته، م: ولا يعني بأنه

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/١٥٥

يوجب بذات، وهو تحريف.(٣) ب (فقط) : لا مشيئة لها لا قدرة.(٤) ن، م: الإشكالات.(٥) للعالم: ساقطة من (ن) فقط.(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.." (١)

"أريد أنه علة تامة أزلية تستلزم (١) معلولها الأزلي بحيث يكون من العالم ما هو قديم بقدمه لازم لذاته أزلا وأبدا - الفلك، أو غيره - فهذا أيضا باطل *) (٢) .فالموجب بالذات إذا فسر بما يقتضي قدم شيء من العالم مع الله، أو فسر بما يقتضي سلب (٣) صفات الكمال عن الله، فهو باطل، وإن فسر بما يقتضي أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فهو حق، فإن ما شاء وجوده فقد وجب وجوده بقدرته ومشيئته، لكن لا يقتضي هذا أنه شاء شيئا من المخلوقات بعينه في الأزل، بل مشيئته لشيء معين في الأزل ممتنع لوجوه متعددة.ولهذا كان عامة العقلاء على أن الأزلي لا يكون مرادا مقدورا، ولا أعلم نزاعا بين النظار أن ما كان من صفات الرب أزليا لازما لذاته لا يتأخر منه شيء لا يجوز أن يكون مرادا مقدورا، وأن ما كان مرادا مقدورا لا يكون إلا حادثا شيئا بعد شيء، وإن كان نوعه لم يزل موجودا، أو كان نوعه كله حادثا بعد أن لم يكن.ولهذا كان الذين اعتقدوا أن القرآن قديم لازم لذات الله متفقين على أنه لم يتكلم بمشيئته، وقدرته (٤) ، وإنما يكون بمشيئته، وقدرته (٥) خلق إدراك في العبد لذلك المعنى القديم، والذين قالوا: كلامه قديم، وأرادوا أنه__________(١) ن، م: يستلزم.(٢) ما بين النجمتين ساقط من (أ) . (ب) .(٣) ب: تأخر. وسقطت الكلمة من (أ) .(٤) ن (فقط) : بمشيئة الله وقدرته.(٥) أ، ب: بقدرته ومشيئته.." (٢)

"قديم العين متفقون على أنه لم يتكلم بمشيئته وقدرته، سواء قالوا: هو معنى واحد قائم بالذات، أو قالوا: هو حروف، أو حروف وأصوات قديمة أزلية الأعيان.بخلاف أئمة السلف الذين قالوا: إنه يتكلم بمشيئته، وقدرته، وإنه لم يزل متكلما إذا شاء، وكيف شاء، (١ فإن هؤلاء يقولون: الكلام قديم النوع، وإن كلمات الله لا نهاية لها، بل لم يزل متكلما بمشيئته، وقدرته، ولم يزل يتكلم كيف شاء إذا شاء ١) (١) ، ونحو ذلك من العبارات، والذين قالوا: إنه يتكلم بمشيئته وقدرته، وكلامه حادث بالغير (٢) قائم (٣) بذاته، أو مخلوق منفصل عنه يمتنع عندهم أن يكون قديما.فقد اتفقت الطوائف كلها على أن المعين القديم الأزلي لا يكون مقدورا مرادا بخلاف ما كان نوعه لم يزل موجودا شيئا بعد شيء، فهذا مما يقول أئمة السلف وأهل السنة والحديث: إنه يكون بمشيئته وقدرته، كما يقول ذلك جماهير الفلاسفة الأساطين الذين

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/١٦٤

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/١٦٥

يقولون بحدوث الأفلاك وغيرها وأرسطو، وأصحابه الذين يقولون بقدمها.فأئمة أهل الملل وأئمة الفلاسفة يقولون: إن الأفلاك محدثة كائنة بعد أن لم تكن مع قولهم: إنه لم يزل النوع المقدور المراد موجودا شيئا بعد شيء.ولكن كثيرا من أهل الكلام يقولون: ما كان مقدورا مرادا يمتنع أن__________(١) (١ - ١) : ساقط من (أ) ، (ب) .(٢) ن: بالعين ؛ م: العين، وهو تحريف.(٣) ن، م: قديم.." (١)

"لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، [بل حقيقة قولهم: إن الله لم يخلق شيئا، كما بين في موضع آخر] (١) ، وهذا كفر باتفاق أهل الملل: المسلمين، واليهود والنصارى.وهؤلاء القائلون بقدمها يقولون. بأزلية الحوادث في الممكنات، وأما الذين يقولون: إن الله خالق كل شيء، [وربه، ومليكه] (٢) ، وما سواه مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن، فهم يفرقون بين الخالق الواجب، والمخلوق الممكن في دوام الحوادث وهذا قول أئمة أهل الملل وأئمة الفلاسفة [القدماء] (٣) ، فهم وإن قالوا: إن الرب لم يزل متكلما إذا شاء، ولم (٤) يزل حيا فعالا فإنهم يقولون: إن ما سواه مخلوق حادث بعد أن لم يكن.والمقصود هنا أن الفلاسفة القائلين بقدم العالم إن جوزوا حدوث الحوادث بلا سبب حادث بطلت عمدتهم في قدم العالم، وإن منعوا ذلك امتنع خلو العالم عن الحوادث، وهم [لا] يسلمون (٥) أنه لم يخل من الحوادث.وإذا كان [كل] (٦) موجود معين من مرادات الله التي يخلقها، فإنه مقارن (٧)__________(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .(٢) وربه ومليكه: ساقطة من (ن) ، (م) .(٣) أ، ب: وهذا قول أئمة الفلاسفة القدماء وأئمة الملل.(٤) أ، ب: أو لم.(٥) ن، م، أ: وهم يسلمون.(٦) كل: ساقطة من (ن) فقط.(٧) ن (فقط) : مفارق.." (٢)

"للحوادث مستلزم لها امتنع إرادته دون إرادة لوازمه التي لا ينفك عنها، والله رب كل شيء، وخالقه لا رب غيره، فيمتنع أن يكون بعض ذلك بإرادته، وبعضه بإرادة غيره، بل الجميع بإرادته.وحينئذ فالإرادة الأزلية القديمة (١) إما أن تكون مستلزمة لمقارنة مرادها لها، وإما أن لا تكون كذلك، فإن كان الأول لزم أن يكون المراد ولوازمه قديما أزليا، والحوادث لازمة لكل مراد مصنوع، فيجب أن تكون مرادة له، وأن تكون قديمة أزلية (٢) ، إذ التقدير أن المراد مقارن للإرادة، فيلزم أن تكون جميع الحوادث المتعاقبة قديمة أزلية، وهذا ممتنع لذاته.[اعتراض يشبه قول ابن ملكا والرد عليه]وإن قيل: إنه أراد القديم بإرادة قديمة، وأراد الحوادث المتعاقبة عليه (٣) بإرادات متعاقبة، كما قد يقوله طائفة من الفلاسفة، وهو يشبه قول صاحب

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/١٦٦

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/١٧٧

المعتبر (٤) .__________(١) أ، ب: القديمة **الأزلية**.(٢) أ، ب: فيجب أن يكون مراده وإن تكرر قديما أزليا (أ: قديمة **أزلية**) ، والصواب ما أثبتناه، وهو الذي في (ن) ، (م) . وتقدير الكلام: فيجب أن تكون هذه الحوادث مرادة وأن تكون في نفس الوقت قديمة **أزلية**.(٣) ن، م: عليها.(٤) وهو أبو البركات هبة الله بن ملكا صاحب كتاب " المعتبر في الحكمة " اختلف في اسمه فسماه بعض المؤرخين: هبة الله بن علي، وقال بعضهم: ابن ملكا، وقال آخرون: ابن ملكان، كما اختلفوا في سنة وفاته فجعلها بعضهم ٥٤٧، وقال آخرون: إنها ٥٦٠ أو ٥٧٠، وهو طبيب وفيلسوف كان يهوديا وأسلم، يعرف بأوحد الزمان وبفيلسوف العراقين. طبع كتابه " المعتبر " في حيدر آباد سنة ١٣٥٧. انظر ترجمته والكلام عن كتابه في: آخر الجزء الثالث من كتابه " المعتبر " ص [٠ - ٩] ٣٠ - ٢٥٢ ؛ طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (ط. بيروت) ٢٩٦/٢ - ٣٠٠ ؛ أخبار الحكماء لابن القفطي، ص [٠ - ٩] ٤٣ - ٣٤٦ ؛ تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي، ص ١٥٢ - ١٥٤ ؛ نكت الهميان للصفدي، ص ٣٠٤ ؛ وفيات الأعيان ١٢٤/٥، ١٢٥ ؛ الأعلام ٦٣/٩.." (١)

"قيل: معلوم أن إرادة هذا الحادث ليست إرادة هذا الحادث، وإن جوزوا هذا لزمهم أن يجوزوا وجود جميع الكائنات بإرادة واحدة قديمة **[أزلية]** (١) ، كما يقوله من يقوله من المتكلمين كابن كلاب وأتباعه، وحينئذ يبطل قولهم.وإذا كان كذلك، فالمعلول المعين القديم إذا قدر كان [مرادا] (٢) بإرادة قديمة **أزلية** باقية، ولم يقترن بها إرادة (٣) شيء من الحوادث ؛ لأن (٤) الحادث لا يكون قديما، ونوع الإرادات والحوادث ليس فيه شيء بعينه قديم لكن قد يقال: يقترن بها النوع الدائم (٥) لكن هذا ممتنع من وجوه قد ذكر بعضها.[قول الأشعرية والكرامية وموافقيهم]وإن قيل: إن الإرادة القديمة **الأزلية** [ليست] (٦) مستلزمة لمقارنة مرادها لها لم يجب أن يكون المراد قديما أزليا، ولا يجوز أن يكون حادثا ؛ لأن حدوثه بعد أن لم يكن يفتقر إلى سبب حادث كما تقدم.وإن (٧) جاز أن يقال: [إن] (٨) الحوادث تحدث بالإرادة القديمة **الأزلية** من غير تجدد أمر من الأمور - كما يقول ذلك كثير من أهل الكلام__________(١) **أزلية**: زيادة في (م) .(٢) مرادا: ساقطة من (ن) فقط.(٣) إرادة: ساقطة من (أ) ، (ب) .(٤) ن، م: أن.(٥) أ: القائم، ب: القديم.(٦) ليست: ساقطة من (ن) ، (م) .(٧) ن: فإن.(٨) إن: ساقطة من (ن) ، (م) .." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٧٨/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٨٠/١

"من الأشعرية، والكرامية، [وغيرهم] (١) ، ومن وافقهم من أتباع الأئمة أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم – كان هذا مبطلا لحجة هؤلاء الفلاسفة على قدم العالم.فإن أصل حجتهم أن الحوادث لا تحدث إلا بسبب حادث، فإذا جوزوا حدوثها (٢) عن القادر المختار بلا سبب حادث، أو جوزوا حدوثها بالإرادة القديمة الأزلية بطلت عمدتهم، وهم لا يجوزون (٣) ذلك.وأصل هذا الدليل أنه لو كان شيء من العالم قديما للزم أن يكون صدر عن مؤثر تام سواء سمي علة تامة، أو موجبا بالذات، أو قيل: إنه قادر مختار، واختياره أزلي مقارن لمراده في الأزل (٤) ، ويمتنع (٥) أن يكون في الأزل، ويمتنع أن يكون في الأزل قادر مختار يقارنه مراده سواء سمي ذلك علة تامة، أو لم يسم، وسواء سمي موجبا بالذات، [أو لم يسم] (٦) ، بل يمتنع أن يكون شيء من المفعولات [المعينة] (٧) العقلية مقارنا لفاعله الأزلي في الزمان، وامتناع هذا معلوم بصريح العقل عند جماهير العقلاء من الأولين والآخرين، ويمتنع أن يكون في الأزل علة تامة، أو موجب بالذات سواء (٨) سمي قادرا مختارا، أو لم يسم.__________(١) وغيرهم: ساقطة من (ن) ، (م) .(٢) أ، ب: إحداثها.(٣) أ، ب: ولا يجوزون.(٤) في الأزل: ساقطة من (أ) ، (ب) ، (م) .(٥) ن، م: فيمتنع.(٦) أو لم يسم: ساقطة من (ن) ، (م) .(٧) المعينة: ساقطة من (ن) ، (م) .(٨) سواء: ساقطة من (أ) ، (ب) .." [1]

"وسر ذلك: أن ما كان كذلك لزم أن يقارنه أثره المسمى معلولا. أو مرادا، أو موجبا بالذات، أو مبدعا، أو غير ذلك من الأسماء لكن مقارنة ذلك له في الأزل تقتضي أن لا يحدث عنه شيء بعد أن لم يكن حادثا، ولو لم يكن كذلك لم يكن للحوادث فاعل، بل كانت حادثة بنفسها، وهذا ممتنع بنفسه، فإثبات موجب بالذات أو فاعل مختار يقارنه مراده في الأزل يستلزم أن لا يكون للحوادث. (١) فاعل، وهذا محال.[قول ابن سينا]لا سيما قول من يقول: إن العالم صدر عن ذات بسيطة لا يقوم بها صفة ولا فعل، كما يقوله ابن سينا، وأمثاله، فإن هؤلاء يقولون بصدور الأمور المختلفة عن ذات بسيطة، وإن العلة البسيطة التامة الأزلية توجب معلولات مختلفة، وهذا من أعظم الأقوال امتناعا في صريح المعقول.ومهما أثبتوه من الوسائط كالعقول وغيرها، فإنه لا يخلصهم من هذا القول الباطل.فإن تلك الوسائط –[كالعقول]– (٢) صدرت عن غيرها، وصدر عنها غيرها.فإن كانت بسيطة من كل وجه، فقد صدر المختلف الحادث (٣) عن البسيط الأزلي، وإن كان فيها (٤) اختلاف، أو قام بها حادث، فقد صدرت أيضا (٥) المختلفات والحوادث عن البسيط التام [الأزلي] (٦) ،__________(١) ن: في الحوادث.(٢) كالعقول: ساقطة

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/١٨١

من (ن) ، (م) .(٣) أ، ب: فقد صدر البسيط المختلف الحادث.(٤) ن: بها ؛ م: فيهما.(٥) أيضا: زيادة في (ن) فقط.(٦) الأزلي: ساقطة من (ن) ، فقط.." (١)

"وكلاهما باطل، فهم مع القول (١) بأن مبدع العالم علة له أبعد الناس عن مراعاة موجب التعليل.وهؤلاء يقولون. [أيضا] (٢) : إنه علة تامة أزلية لبعض العالم كالأفلاك مثلا. وليس علة تامة في الأزل لشيء من الحوادث، بل لا يصير علة تامة لشيء من الحوادث إلا عند حدوثه، فيصير علة بعد أن لم يكن علة (٣) مع أن حاله قبل [ومع] (٤) ، وبعد حال. (٥) واحدة، فاختصاص كل وقت بحوادثه، وبكونه صار علة تامة فيه لتلك الحوادث لا بد له من مخصص، ولا مخصص إلا الذات البسيطة، وحالها في نفسها. [واحد أزلا وأبدا، فكيف يتصور أن يخص بعض الأوقات بحوادث مخصوصة دون بعض مع تماثل أحوالها في نفسها؟] (٦) .وهذا بعينه تخصيص (٧) لكل حال من الأحوال الحادثة (٨) المتماثلة (٩) عن سائر أمثاله بذلك الإحداث، وبتلك المحدثات من غير مخصص يختص به ذلك المثل، فقد وقع هؤلاء في أضعاف ما فروا منه وأضعاف أضعافه إلى ما لا يتناهى.__________(١) ن، م: فهم مع القول الأول. إلخ.(٢) أيضا: ساقطة من (ن) ، وفي (م) : أيضا يقولون.(٣) علة: ساقطة من (أ) ، (ب) .(٤) ومع: ساقطة من (ن) ، (م) .(٥) ن: حالة.(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.(٧) م: مخصص.(٨) الحادثة: في (ن) فقط.(٩) ن، م: المماثلة.." (٢)

"فأما الذات: التي منها الإعداد، ومنها الإمداد، ومنها الفيض، ومنها القبول، وهي الفاعلة للقابل والمقبول والشرط والمشروط، فلا يتصور أن يقال: إنما اختلف فعلها أو فيضها أو إيجابها، [وتأخر] (١) لاختلاف القوابل والشروط، أو لتأخر ذلك، فإنه يقال: القول (٢) في اختلاف القوابل والشروط وتأخرها كالقول في اختلاف [المقبول] (٣) ، والمشروط وتأخر ذلك، فليس هناك سبب وجودي يقتضي ذلك إلا مجرد الذات التي هي عندهم بسيطة، وهي [عندهم] (٤) علة تامة أزلية، فهل هذا القول إلا من أفسد الأقوال في صريح المعقول؟ .وإن قالوا: السبب في ذلك أنه لم يكن إلا هذا، وأن الممكنات لا تقبل إلا هذا.قيل: الممكنات قبل وجودها ليس لها حقيقة موجودة تجعل هي السبب في تخصيص أحد الموجودين بالوجود دون الآخر، ولكن بعد وجودها يعقل كون الممكن شرطا لغيره ومانعا لغيره كوجود (٥) أحد الضدين فإنه مانع من الآخر [دون غيره] (٦) ، ووجود اللازم، فإنه شرط في وجود الملزوم أي لا بد من وجوده مع

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٨٢/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٨٣/١

وجوده سواء وجدا معا، أو سبق أحدهما الآخر.____________(١) وتأخر: ساقطة من (ن) فقط.(٢) ن، م، أ: فإنه يقال والقول.(٣) المقبول: ساقطة من (أ) فقط.(٤) عندهم: ساقطة من (ن) ، (م) .(٥) ن، م: لوجود.(٦) دون غيره: ساقطة من (ن) ، (م) .." (١)

"سواء قالوا (١) : إنها تصدر عن القادر (٢) المختار، ولم يثبتوا له إرادة قديمة، كما تقوله المعتزلة والجهمية، أو قالوا: إنها تصدر عن القادر المختار المريد بإرادة قديمة أزلية، كما تقوله الكلابية والأشعرية والكرامية.وعلى هذا القول فيمتنع قدم شيء من العالم، (٣ فإنه ما من شيء من العالم ٣) (٣) إلا. وهو مقرون بالحوادث لم يسبقها سواء جعل كل (٤) ذلك جسما، أو قيل: إن هناك عقولا ونفوسا ليست أجساما، فإنه لا ريب أنها مقارنة للحوادث، فإنها (* فاعلة (٥) مستلزمة لها، فإذا امتنع وجود حوادث لا أول لها امتنع أن يكون للحوادث *) (٦) علة مستلزمة لها سواء كانت ممكنة أو واجبة، وعلى هذا التقدير فالإرادة القديمة لا تستلزم وجود المراد معها لكن يجب وجود المراد في الوقت المتأخر عن الإرادة.وإن قيل: إنه يمكن دوام الحوادث، وأن لا يكون لها ابتداء.فيقال: على هذا التقدير يمتنع أن يكون شيء من العالم قديما أزليا لا الأفلاك ولا العقول ولا النفوس ولا المواد (٧) العنصرية ولا الجواهر المفردة (٨) ، ولا غير ذلك ؛ لأن كل ما كان قديما من العالم أزليا، فلا بد أن____________(١) ن، م: قال.(٢) في (أ) الفاعل. وكتب في الهامش: " والأصل: القادر ".(٣) (٣ - ٣) : ساقط من (أ) ، (ب) .(٤) كل: ساقطة من (أ) ، (ب) .(٥) م: علة.(٦) ما بين النجمتين ساقط من (أ) ، (ب) .(٧) ن: المراد، وهو تحريف.(٨) أ: المنفردة، ب: الفردة.." (٢)

"السادس: أنه إذا كانت الأحوال لازمة لها كان بتقدير فعلها بدون الأحوال تقديرا ممتنعا، وحينئذ فالذات المستلزمة للأحوال المتعاقبة لا تفعل بدونها، وإذا كان الفاعل لا يفعل إلا بأحوال متعاقبة امتنع قدم شيء من مفعولاته ؛ لأن القديم يقتضي علة تامة أزلية، وما يستلزم الأحوال المتعاقبة لا يكون اقتضاؤه في الأزل لشيء معين تاما أزليا، بل إنما يتم اقتضاؤه لكل مفعول عند وجود الأحوال التي بها يصير فاعلا.السابع: أنه إن جاز أن يقوم بالفاعل الأحوال المتعاقبة جاز، بل وجب حدوث كل ما سواه، وإن لم يجز ذلك، فإما أن يقال: يمتنع حدوث شيء، ومعلوم وجود الحوادث، وإما أن يقال: بل تحدث بلا سبب حادث في الفاعل، وحينئذ فيلزم جواز حدوث كل ما سوى الله تعالى، فإنه إذا جاز أن يحدث الحوادث دائما بلا

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/١٨٥

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/١٨٨

سبب يقتضي حدوثها، فلأن تحدث جميعها بلا سبب يقتضي حدوثها أولى، فإن هذا أقل محذورا، فإذا جاز الحدوث مع المحذور الأعظم، فمع الأخف أولى.وأيضا، فالأول إن كان مستلزما لتلك الحوادث كان الجميع قديما، وهو ممتنع كما تقدم (١) ، وإن لم يكن مستلزما لتلك الحوادث كانت حادثة بعد أن لم تكن، فيلزم حدوث الحوادث بدون سبب حادث، [وإن كان مستلزما لنوعها دون الآحاد، فقد عرف بطلان ذلك من وجوه] (٢) ، ولو (٣) جاز حدوث الحوادث بدون سبب حادث لجاز حدوث العالم،__________(١) أ: تقدر ؛ ب: تقرر.(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .(٣) أ، ب: إذا.." (١)

"ففاعله لا بد أن يوجبه فيكون علة موجبة أزلية إذ لو لم يوجبه، بل جاز وجوده، وجاز عدمه - وهو من (١) نفسه ليس له إلا العدم - لوجب عدمه، ومع وجوب العدم يمتنع وجوده فضلا عن قدمه، فما لم يكن موجودا بنفسه، ولا قديما بنفسه إذا لم يكن له في الأزل ما يوجب وجوده لزم عدمه، فإن المؤثر التام إذا حصل لزم وجود الأثر، وإن لم يحصل لزم عدمه.وإذا قيل: التأثير أولى به مع إمكان عدم التأثير قيل: هذه مقدمة باطلة كما تقدم، وأنتم تسلمون صحتها، والذين ادعوا صحتها لم يقولوا بباطل قولكم، فلم يجمع أحد بين هذين القولين الباطلين.ونحن في مقام الاستدلال، فإن قلتم: نحن نقول هذا على طريق الإلزام لمن قال هذا من الجبرية، والقدرية الذين يجوزون ترجيح القادر المختار بدون مرجح تام يوجب الفعل، فنقول لهم هلا قلتم بأن الرب فاعل مختار، وهو مع هذا. (٢) فعله لازم له.قيل لكم (٣) : هؤلاء يقولون: إن الفعل القديم ممتنع لذاته، ولو قدر أن الفاعل غير مختار، فكيف إذا كان الفاعل مختارا.فقد علم أن فعل القادر المختار يمتنع أن يكون مقارنا له.ويقولون: لا يعقل الترجيح إلا مع الحدوث، ويقولون: إن الممكن لا يعقل ترجيح وجوده على عدمه إلا مع كونه حادثا، فأما الممكن المجرد بدون الحدوث (٤) فلا يعقل كونه مفعولا. بل يقولون: إن هذا معلوم__________(١) ب: في.(٢) ن، م: ومع هذا.(٣) ن، م، أ: قيل لهم، وهو خطأ.(٤) ن: الحدث.." (٢)

"وأيضا، فإنه على هذا التقدير الذي نتكلم عليه، وهو تقدير أن لا يكون الأزلي مستلزما لتلك الحوادث، بل كانت حادثة بعد أن لم تكن، فيلزم (١) أن العالم كان خاليا عن جميع الحوادث، ثم حدثت (٢) فيه بلا سبب حادث، وهو شبيه بقول الحرانيين القائلين (٣) بالقدماء الخمسة الواجب بنفسه، والمادة،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٩٢/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٩٨/١

والمدة، والنفس، والهيولي، كما يقوله ديمقراطيس (٤) ، وابن زكريا الطبيب (٥) ومن. وافقهما، أو بقول يحكى عن بعض القدماء، وهو أن جواهر العالم (٦) أزلية، وهو القول بقدم المادة –___________(١)

ب (فقط) : يلزم.(٢) أ، ب: حدث.(٣) أ، ب: وهم من يقول.(٤) وهو ديموقريطس DEMOKRITOS الفيلسوف اليوناني المشهور، وقد ولد في أبديرا من أعمال تراقيا، ولكننا لا نعلم تاريخ ولادته ووفاته بالضبط، وإنما نعلم أنه اشتهر حوالي سنة ٤٢٠ ق. م. (انظر مثلا بروتراندرسل: تاريخ الفلسفة الغربية ١/١١٤، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، القاهرة، ١٩٥٤) . وهو أهم شخصيات المدرسة الذرية ومذهبها – كما ذكر العرب فيما بعد – هو مذهب القائلين بالجزء الذي لا يتجزأ أو بالجوهر الفرد. وانظر ترجمته ومذهبه في الكتب العربية مثل طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل، ص [٠ – ٩] ٣ ؛ إخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي، ص [٠ – ٩] ٨٢ ؛ الملل والنحل ١/١٠٧ – ١٠٨، ١٢٠ – ١٢٢.(٥) وهو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب والفيلسوف المتوفى سنة ٣١٣، وهو أحد القائلين بمذهب الجوهر الفرد من المنتسبين إلى الإسلام. انظر ترجمته في طبقات الأطباء لابن جلجل، ص ٧٧، ٧٨ ؛ ابن القفطي، ٢٧١ – ٢٧٧ ؛ ابن ظهير البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام (دمشق ١٩٤٦) ، ص [٠ – ٩] ١، ٢٢. وقد تكلم الدكتور س. بينيس في كتابه " مذهب الذرة عند المسلمين " (ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبي ريده، القاهرة، ١٩٤٦) على مذهب الرازي بالتفصيل، وذكر (ص [٠ – ٩] ٠) قول الرازي: إن القدماء أو الجواهر خمسة: الباري والنفس والهيولى والزمان والمكان. وانظر نفس الكتاب ص [٠ – ٩] ١ – ٥٦ ؛ انظر أيضا: الفصل لابن حزم ٥ – ١٩٧.(٦) ن، م: العوالم.." (١)

"مختصة به، والعلة المجردة عن الأحوال الاختيارية إنما تستلزم ما يكون من لوازمها، وإنما يكون من لوازمها ما يناسبها مناسبة المعلول لعلته، والمعلول فيه من الأقدار والأعداد والصفات المختلفة ما يمتنع (١) وجود ما يشابه ذلك في علته، فتمتنع المناسبة، وإذا امتنعت المناسبة امتنع كونه علة له.وأيضا، فإذا قدر أنها موجب أزلي للمعلول الأزلي كان إيجابها له إما بالذات مجردة عن أحوالها المتعاقبة، وإما مع أحوالها، والأول ممتنع، فإن خلو الذات (٢) عن لوازمها ممتنع، والثاني ممتنع ؛ لأن الذات المستلزمة لصفاتها وأحوالها لا تفعل إلا بصفاتها، وأحوالها، والأحوال المتعاقبة يمتنع أن يكون لها معلول معين قديم أزلي، ويمتنع أن تكون شرطا في المعلول الأزلي ؛ لأن المعلول الأزلي لا بد أن يكون مجموع علة (٣) أزلية، والأحوال المتعاقبة لا يكون مجموعها ولا شيء منها أزليا (٤) ،. وإنما الأزلي هو النوع القديم الذي

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٢٠٩

يوجد شيئا فشيئا، وهذا يمتنع أن يكون شرطا في الأزل.وهذا كما لو قيل: إن الفلك المتحرك دائما (٥) يوجب ذاتا أزلية متحركة، [أو غير متحركة، فإن هذا ممتنع عندهم وعند غيرهم، فإن ما كان فعله مشروطا بالحركة يمتنع أن يكون مفعوله المعين قديما، ولو قدر أن______________(١) أ، ب: ما يمنع.(٢) ن: فإن خلو الذات الحوادث ؛ م: فإن خلو الحوادث الذات.(٣) ن، أ: علته.(٤) أ، ب: لا يكون مجموعها ولا شيء معين.(٥) م: المتحرك إنما.." (١)

"معدومة مؤثرة في عدمه، فتلك العلة المعدومة إن كان عدمها واجبا كان وجودها ممتنعا، فإن المعلول يجب بوجوب علته، ويمتنع بامتناعها، وحينئذ فيكون عدم الممكن علته واجبة، ووجوده ممتنعا، فإن المعلول يجب بوجوب علته، ويمتنع بامتناعها، وحينئذ (١) كل ممكن يقدر إمكانه، فإنه ممتنع، وهذا فيه من الجمع بين النقيضين ما هو في غاية الاستحالة: كيفية وكمية.وإن قيل: عدم علته يفتقر إلى عدم يؤثر في وجودها وعدم ذاك المؤثر لعدم مؤثر فيه، وهلم جرا، فلذلك يستلزم التسلسل الباطل الذي هو أبطل من تسلسل المؤثرات الوجودية.[الوجه] (٢) الخامس: [أن يقال] (٣) : إنه لو فرض أن العدم المستمر له علة قديمة، وأن المعلول إذا كان عدما مستمرا كانت علته التي هي عدم مستمر علة أزلية لم يلزم من ذلك أن يكون الموجود المعين الذي يمكن أن يوجد وأن يعدم قديما أزليا، ويكون الفاعل له لم يزل فاعلا له بحيث يكون فاعل الموجودات لم يحدث شيئا قط، فإن قياس الموجود الواجب القديم الأزلي الخالق فاعل الموجودات المخلوقة على العدم المستمر المستلزم لعدم مستمر من أفسد القياس، وهو قياس محض من غير جامع، فكيف يجوز الاحتجاج بمثل هذا التشبيه الفاسد في مثل هذا______________(١) (١ - ١) : ساقطة من (أ) ، (ب) .(٢) الوجه: ساقطة من (ن) ، (م) .(٣) أن يقال: ساقطة من (ن) ، (م) .." (٢)

"موجودة، وإذا كانت موجودة فوجودها واجب فعلم أن افتقارها إلى الفاعل في حال وجوب وجودها بالغير (١) ، لا في الحال التي لا تستحق فيها وجودا ولا عدما.السابع: أنه لو سلم أن هذه الماهية ثابتة في الخارج، وإنما هي من حيث (٢) هي هي مفتقرة إلى المؤثر، فليس في هذا ما يدل على وجوب كونها أزلية، بل ولا على إمكان ذلك، وإذا لم يكن فيه ما يدل على ذلك لم يمتنع أن يكون هذا الافتقار لا يثبت لها إلا مع الحدوث، ولكون الحدوث شرطا في هذا الافتقار (٣) .الثامن: أنا إذا سلمنا أن علة الافتقار إلى الفاعل هو الإمكان، فالإمكان الذي يعقله الجمهور إمكان أن يوجد الشيء، وإمكان أن يعدم الشيء

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٢٨/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٦٣/١

(٤) ، وهذا الإمكان ملازم للحدوث، فلا يعقل إمكان كون الشيء قديما أزليا واجبا بغيره، وهو مع ذلك يفتقر إلى الفاعل، وهذا هو (٥) الذي يدعونه.التاسع: أنهم إذا جعلوا الوجوب مانعا من الاستناد إلى الغير، وإن كان وجوبا حادثا، فالوجوب القديم الأزلي (٦) أولى أن يكون مانعا من الاستناد إلى الغير، والأفلاك عندهم واجبة الوجود أزلا وأبدا، ووجوب ذلك____________(١) ن (فقط) : بالعين، وهو تحريف.(٢) م، أ، ب: وأنها من حيث.(٣) أ، ب: ولكن للحدوث شروطا في هذا الافتقار.(٤) الشيء: زيادة في (ن) فقط.(٥) ن (فقط) : وهو هو.(٦) ن: الأزلي القديم ؛ م: القديم الأولي.." (١)

"وإن قالوا: عدمه يفتقر إلى مرجح، فالمرجح عندهم عدم العلة (١) ، فالجميع عدم، لم يقولوا: إن العدم يفتقر إلى موجود.وإذا كان هذا بينا، فقوله: (جهة الاحتجاج لا بد وأن لا تبقى مع المؤثر كما كانت لا مع المؤثر) هو كلام ملبس، فإن الاحتياج إنما هو في حال كون المؤثر مؤثرا، فكيف تزول حاجته إلى المؤثر في الحال التي هو فيها محتاج إلى المؤثر. وكيف يكون محتاجا إلى المؤثر حين لم يؤثر فيه، وهو معدوم لا يحتاج إلى مؤثر أصلا. وفي حال احتياجه إليه لا يكون محتاجا إليه؟ .وإن قالوا: هو. (٢) في حال عدمه لا يمكن وجوده إلا بمؤثر، قلنا: فهذا بعض ما ذكرنا، فإن كونه لا يوجد إلا بمؤثر أمر لازم له، لا يقال: إنه ثابت له في حال عدمه دون حال وجوده.وإذا تبين أن الفعل مستلزم لحدوث المفعول، وأن إرادة الفاعل أن يفعل مستلزمة لحدوث المراد، فهذا يبين أن كل مفعول وكل ما أريد فعله فهو حادث بعد أن لم يكن عموما، وعلم بهذا أنه يمتنع [أن يكون ثم] (٣) إرادة أزلية لشيء من الممكنات يقارنها مرادها أزلا وأبدا سواء كانت عامة لكل ما يصدر عنه (* أو كانت خاصة ببعض المفعولات، ثم يقال: أما كونها عامة (٤) لكل ما يصدر عنه *) (٥) فامتناعه ظاهر متفق____________(١) ن: عندهم علة العلة ؛ م: عندهم العلة.(٢) ن: قلنا هو ؛ م: فإن قيل هو.(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .(٤) أ، ب: علة.(٥) ما بين النجمتين ساقط من (م) فقط.." (٢)

"عليه بين العقلاء، فإن ذلك يستلزم أن يكون كل ما صدر عنه بواسطة أو بغير واسطة قديما أزليا، فيلزم أن لا يحدث في العالم شيء، وهو مخالف لما يشهده الخلق من حدوث الحوادث في السماء والأرض وما بينهما من حدوث الحركات والأعيان والأعراض كحركة الشمس، والقمر، والكواكب، وحركة الرياح، وكالسحاب والمطر وما يحدث من الحيوان والنبات (١) ، والمعدن.وأما إرادة شيء معين، فلما

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٨٩/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٩٦/١

تقدم، ولأنه حينئذ إما أن يقال: ليس له إلا تلك الإرادة **الأزلية**، وإما أن يقال: له إرادات (٢) تحصل شيئا بعد شيء، فإن قيل بالأول، فإنه (٣) على هذا التقدير يكون المريد الأزلي في الأزل مقارنا لمراده الأزلي، فلا يريد شيئا من الحوادث لا بالإرادة القديمة ولا بإرادة متجددة ؛ لأنه إذا قدر أن المريد الأزلي يجب أن يقارنه مراده كان الحادث حادثا إما بإرادة **أزلية** فلا يقارن المريد مراده، وإما حادثا بإرادة حادثة مقارنة له، وهذا باطل لوجهين:أحدهما: أن التقدير أنه ليس له إلا إرادة واحدة **أزلية**.الثاني: أن حدوث تلك الإرادة يفتقر إلى سبب حادث، والقول في ذلك [السبب] (٤) الحادث كالقول في غيره: يمتنع أن يحدث بالإرادة **الأزلية** المستلزمة لمقارنة مرادها لها، ويمتنع أن يحدث بلا إرادة لامتناع حدوث الحادث بلا إرادة، فيجب على هذا التقدير أن تكون إرادة____________(١) أ، ب: النبات والحيوان.(٢) ن، م: إرادة.(٣) أ، ب: فهو.(٤) السبب: ساقطة من (ن) ، (م) .." (١)

"الحادث المعين مشروطة بإرادة له، وبإرادة للحادث الذي قبله، وأن الفاعل المبدع لم يزل مريدا لكل ما يحدث من المرادات.وهذا هو التقدير الثاني. وهو أن يقال: لو أراد أن يحصل (١) شيئا بعد شيء، فكل مراد له محدث كائن بعد أن لم يكن، (٢ وهو وحده المنفرد بالقدم **والأزلية**، وكل ما سواه مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن ٢) (٢) ، وعلى هذا التقدير، فليس فيه إلا دوام الحوادث وتسلسلها، وهذا هو [التقدير] (٣) الذي تكلمنا عليه، ويلزم أن يقوم بذات الفاعل ما يريده ويقدر عليه، وهذا هو قول أئمة أهل الحديث وكثير من أهل الكلام والفلسفة، بل قول أساطينهم من المتقدمين والمتأخرين.فتبين أنه يجب القول بحدوث كل ما سوى الله سواء سمي جسما أو عقلا أو نفسا، وأنه يمتنع كون شيء من ذلك قديما سواء قيل بجواز دوام الحوادث وتسلسلها، وأنه لا أول لها، أو قيل بامتناع ذلك، وسواء قيل بأن الحادث لا بد له من سبب حادث، أو قيل بامتناع ذلك، وأن القائلين بقدم العالم كالأفلاك والعقول والنفوس قولهم باطل في صريح العقل الذي لم يكذب قط على كل تقدير، وهذا هو المطلوب.[استطراد: الكلام في الحدوث والقدم في أفعال الله وكلامه تصادمت فيه أئمة الطوائف]وقد بسط الكلام على ما يتعلق بهذا في غير هذا الموضع، فإن هذا الأصل هو [الأصل] (٤) الذي تصادمت فيه أئمة الطوائف من أهل____________(١) ب (فقط) : له إرادات تحصل.(٢) (٢ - ٢) : ساقط من (م) فقط.(٣) التقدير: ساقطة من (ن) ، (م) .(٤) الأصل: زيادة في (أ) ، (ب) .." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٩٧/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٩٨/١

"يتكلم بمشيئته وقدرته أزلا وأبدا، وإن كلامه قديم بمعنى أنه قديم النوع، لم يزل الله متكلما بمشيئته كما قاله (١) السلف والأئمة.ثم قالوا: إنه قديم العين، وافترقوا (٢) على حزبين: حزب قالوا: يمتنع أن يكون القديم هو الحروف والأصوات؛ لامتناع البقاء عليها وكونها توجد شيئا بعد شيء؛ لأن المسبوق بغيره لا يكون قديما، فالقديم هو المعنى، ويمتنع وجود معان لا نهاية لها في آن واحد، والتخصيص بعدد دون عدد لا موجب له، فالقديم معنى واحد هو الأمر بكل مأمور، والخبر عن كل مخبر، وهو معنى التوراة والإنجيل والقرآن، وهو معنى (٣) آية الكرسي، وآية الدين، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وأنكروا أن يكون الكلام العربي كلام الله.والحزب الثاني قالوا: بل الحروف أو الحروف (٤) والأصوات قديمة أزلية الأعيان، وقالوا: الترتيب في ذاتها لا في وجودها، وفرقوا بين الحقيقة وبين وجود الحقيقة كما يفرق كثير من أهل الكلام بين وجود الرب وبين حقيقته، وكثير منهم ومن الفلاسفة يفرق بين وجود الممكنات وبين حقيقتها، وقالوا: الترتيب هو [في] (٥) حقيقتها لا في وجودها، بل هي موجودة أزلا وأبدا، لم يسبق منها شيء شيئا (٦) ، وإن كانت حقيقتها (٧)____________(١) ن، م: كما قال.(٢) ا: ثم قالوا: إنه قديم العين افترقوا؛ ب: ثم الذين قالوا: إنه قديم العين افترقوا.(٣) معنى: ساقطة من (ا) ، (ب) .(٤) أو الحروف: ساقطة من (ب) . وفي (ا) : والحروف.(٥) في: ساقطة من (ن) ، (م) .(٦) ا، ب: لم يسبق شيء منها شيئا.(٧) ا، ب: صفتها.." (١)

"ما يوافق خبر الرسول، وبينا أن الطرق (١) الصحيحة في المعقول هي مطابقة لما أخبر به الرسول، مثل هذه الطرق وغيرها (٢) .[عود لمسألة قدم العالم]فإنه يعلم بصريح المعقول أن فاعل العالم إذا قيل: إنه علة تامة أزلية، والعلة التامة تستلزم معلولها لزم أن لا يتخلف عنه في القدم شيء من المعلول، فلا يحدث عنه شيء لا بواسطة ولا بغير واسطة (٣) ، ويمتنع أن يصير علة لمفعول بعد مفعول من غير أن يقوم به ما يصير علة للثاني، فيمتنع مع تماثل أحواله أن تختلف مفعولاته ويحدث منها شيء.وهذا مما لا ينازع فيه عاقل تصوره (٤) تصورا جيدا، وحذاقهم معترفون بهذا، كما يذكره ابن رشد الحفيد وأبو عبد الله الرازي (٥) وغيرهما من أن صدور المتغيرات المختلفة عن الواحد البسيط مما تنكره العقول، [وكذلك إذ سمي موجبا بالذات] (٦) ، وكذلك إذا قيل: مؤثر تام التأثير في الأزل، أو مرجح تام الترجيح في الأزل. أو نحو ذلك، وكذلك إذا قيل: هو قادر مختار يستلزم وجود مراده في الأزل، فإنه إذا استلزم وجود مراده في الأزل لزم أن لا يحدث شيء من مراده، فلا يحدث في العالم شيء؛ إذ لا يحدث شيء إلا بإرادته، فلو كانت إرادته

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣١٤/١

أزلية مستلزمة لوجود مرادها معها في الأزل لزم أن لا يكون شيء من المرادات حادثا،____________(١) ن، م: وأما الطرق.(٢) انظر كلام ابن تيمية مثلا في " درء تعارض العقل والنقل " و " الرد على المنطقيين " و " الصفدية ".(٣) ن، م: ولا بغيرها.(٤) ن: تصور.(٥) ن، م: والرازي.(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.." (١)

"فلا يكون في العالم حادث وهو خلاف المشاهدة.وهم لا يقولون به ولا (١) يقول عاقل: إنه علة تامة أزلية لجميع معلولاتها، ولا موجب أزلي لجميع العالم حتى أشخاصه. ولا يقول أحد: إن جميع مراده مقارن له في الأزل، بل يقولون إن أصول العالم كالأفلاك والعناصر هي الأزلية القديمة (٢) بأعيانها، وإن الحركات والمولدات قديمة النوع، أو يقولون: إن مواد هذا العالم كالجواهر المفردة (٣) أو الهيولى أو غير ذلك هي قديمة أزلية بأعيانها. وهذا كله باطل؛ إذ كان قدم شيء من ذلك يستلزم أن يكون فاعله مستلزما له في الأزل، سواء سمي موجبا له بذاته في الأزل، أو علة تامة قديمة مستلزمة لمعلولها أو قيل: إنه فاعل بإرادته الأزلية [المستلزمة] (٤) للمفعول المراد في الأزل.[بطلان القول بأن فاعل العالم علة تامة لأصول العالم دون حوادثه]وإذا قيل: هو علة تامة لأصول العالم دون حوادثه، أو هو مريد بإرادة أزلية مستلزمة لاقتران مرادها بها في الأزل، لكن تلك [الإرادة الأزلية المقارنة] (٥) لمرادها إنما تعلقت بأصول العالم دون حوادثه.قيل لهم هذا باطل من وجوه: منها أن مقارنة المفعول المعين لفاعله - لا سيما مقارنته له أزلا____________(١) ا، ب: فهم لا يقولون ولا. .(٢) ن، م: هي القديمة الأزلية.(٣) ا، ب: الفردة.(٤) المستلزمة: ساقطة من (ن) ، (م) .(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) وسقطت كلمة " الأزلية " من (م) .." (٢)

"وأبدا ممتنع في صرائح (١) العقول، بل وفي بداية (٢) العقول بعد التصور التام.وإذا قالوا: العلوم الضرورية لا يجتمع على جحدها طائفة من العقلاء الذين لا يجوز عليهم التواطؤ على الكذب ٠ قيل لهم: لا جرم هذا القول لم يتفق عليه طائفة من العقلاء من غير تواطئ، بل جماهير العقلاء من الأولين والآخرين ينكرونه غاية الإنكار، وإنما تقوله طائفة واحدة بعضهم عن بعض (٣) ، على سبيل مواطأة بعضهم لبعض، (* وتلقي بعضهم عن بعض، ومع المواطأة تجوز المواطأة *) (٤) على تعمد الكذب وعلى الأمور المشتبهة كالمذاهب الباطلة التي يعلم فسادها بالضرورة، وقد توارثها طائفة تلقاها بعضهم عن بعض، بخلاف الأقوال

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٢٣/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٢٤/١

التي يقر بها الناس عن (٥) غير مواطأة، فتلك لا يكون منها ما يعلم فساده ببديهة العقل. ولهذا كان في عامة أقوال الكفار وأهل البدع من المشركين والنصارى والرافضة والجهمية وغيرهم ما يعلم فساده بضرورة العقل، ولكن قاله طائفة تلقاه بعضهم عن بعض.ومنها أن يقال: لو كان هذا حقا لامتنع حدوث الحوادث في العالم جملة، ولم يكن للحوادث محدث أصلا، وهذا من أظهر ما يعلم فساده بضرورة العقل، فإن العلة إذا كانت تامة أزلية قارنها معلولها، وكان ما________(١) ا، ب: صريح.(٢) ن، ا: بداية؛ ب: بداهة.(٣) ا، ب: وإنما قاله طائفة أخذه بعض عن بعض.(٤) ما بين النجمتين ساقط من (م) .(٥) ا، ب: من.." (١)

"يحدث غير [معلولها؛ لأنه لو كان معلولا لها] لكان قد تأخر المعلول (١) أو بعض المعلول عن علته التامة، والعلة التامة لا يجوز أن يتأخر عنها لا معلولها ولا بعض معلولها، فكل ما حدث لا يحدث عن علة تامة أزلية، وواجب الوجود عندهم علة تامة أزلية، فيلزم أن لا يحدث عنه حادث لا بواسطة ولا بغير واسطة (٢) .وما يعتذرون به في هذا المكان من قولهم: إنما تأخرت الحوادث لتأخر الاستعداد ونحوه من أفسد الأقوال، فإن هذا إنما يمكن أن يقال فيما يكون علة وجوده غير علة استعداده وقبوله (٣) ، كما يحدث عن الشمس، فإنها تارة تلين وترطب كما تلين الثمار بعد يبسها (٤) بسبب ما يحصل فيها من الرطوبة، فتجتمع الرطوبة المائية والسخونة الشمسية فتنضج الثمار وتلين، وتارة تجفف وتيبس كما يحصل للثمار بعد تناهي نضجها، فإنه ينقطع عنها الاستمداد من الرطوبة، فتبقى حرارة تفعل في رطوبة من غير إمداد، فتجففها كما تجفف الشمس والنار وغيرهما لغير ذلك من الأجسام الرطبة.والمقصود أنه في مثل ذلك قد يتأخر فعل الفاعل لعدم استعداد القابل، ولو قدر أن ما يدعونه من العقل الفعال له حقيقة لكان تأخر فيضه حتى تستعد القوابل من هذا الباب. وأما واجب الوجود الفاعل لكل________(١) ا، ب: وكان ما يحدث غير معلول لها لكان قد تأخر المعلول. . إلخ.(٢) ن، م: لا بوسط ولا بغير وسط.(٣) ن، م: وقبولها.(٤) ن، م: بعد قوتها.." (٢)

"ما سواه الذي لا يتوقف فعله على أمر آخر من غيره - لا إعداد (١) ولا إمداد ولا قبول ولا غير ذلك، بل نفسه هي المستلزمة لفعله - فلو قدر أنه علة تامة أزلية لوجب أن يقارنه معلوله كله، ولا يتأخر عنه شيء من مفعولاته (٢) ، وإذا تأخر شيء من مفعولاته ولو كان مفعولا بواسطة، علم أنه لم يكن علة

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٢٥/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٢٦/١

تامة له في الأزل، وأنه صار علة بعد أن لم يكنوإذا قيل الحركة الفلكية هي سبب حدوث الحوادث ٠قيل: وهذا أيضا مما يعلم بطلانه، فإن الحركة الحادثة شيئا بعد شيء يمتنع أن يكون الموجب لها (٣) علة تامة أزلية، فإن هذه يقارنها معلولها أزلا وأبدا، والحركة الحادثة شيئا بعد شيء يمتنع أن تكون مقارنة لعلتها في الأزل، فعلم أن الموجب لحدوثها ليس علة تامة أزلية، بل لا بد أن يكون الرب متصفا بأفعال تقوم به شيئا بعد شيء، بسبب (٤) ما يقوم به، يحدث عنه ما يحدث، مثل مشيئته القائمة بذاته وكلماته القائمة بذاته وأفعاله الاختيارية القائمة بذاته.ومنها أن الحوادث بعد ذلك لا بد لها من محدث، ويمتنع أن يحدثها غيره؛ لأنه لا رب غيره، ولأن القول فيه في ذلك الحدث كالقول فيه: إما أن يكون علة تامة في الأزل، وإما أن لا يكون، ويعود التقسيم.وإذا قالوا: إنما تأخر الثاني لتأخر حدوث القوابل والشروط التي بها قبل الفيض ٠__________(١) ن، م: لا عداد، وهو تحريف.(٢) ن، م: من معلولاته.(٣) ن، م: له.(٤) بسبب: كذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: ويسبب.." (١)

"قيل لهم: هذا يعقل فيما إذا (١) كان حدوث القوابل من غيره، كما في حدوث الشعاع عن الشمس، وكما يقولونه في العقل الفعال. وأما إذا كان هو الفاعل للقابل والمقبول، والشرط والمشروط، وهو علة تامة أزلية لما يصدر عنه (٢) وجب مقارنة معلوله كله له، ولم يجز أن يتأخر عنه شيء، فإنه يمتنع أن يصير فاعلا بعد أن لم يكن من غير إحداثه لشيء، وإحداثه لشيء (٣) مع كونه (٤) علة تامة أزلية ممتنع، وكونه علة لنوع الحوادث مع عدم حدوث فعل يقوم به ممتنع.ولأن صدور العالم عن فاعلين ممتنع، سواء كانا مشتركين في جميعه، أو كان هذا فاعلا لبعضه وهذا فاعلا لبعضه، كما قد بسط في غير هذا الموضع (٥) وهذا مما لا نزاع فيه، فإنه لم يثبت أحد من العقلاء أن العالم صدر عن اثنين متكافئين في الصفات والأفعال، ولا قال أحد من العقلاء: إن أصول العالم القديمة صدرت عن واحد، وحوادثه صدرت عن آخر، فإن العالم لا يخلو من الحوادث (٦) ، وفعل الملزوم بدون لازمه ممتنع، ولو كان الفاعل للوازمه غيره لزم أن لا يتم فعل واحد منهما إلا بالآخر، فيلزم الدور في الفاعلين، وكون كل [واحد] (٧) من الربين لا يصير ربا إلا بالآخر، ولا يصير قادرا إلا بالآخر، ولا يصير فاعلا إلا بالآخر، فلا__________(١) إذا: ساقطة من (ا) ، (ب) .(٢) ن، م: عنها.(٣) عبارة " وإحداثه لشيء ": ساقطة من (ا) ، (ب) .(٤) ب (فقط) : مع

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٢٧/١

أن كونه.(٥) ن، م: كما قد بسط في موضعه.(٦) ن، م: لا يخلو عن الحدوث.(٧) واحد: زيادة في (ا) ، (ب) .." (١)

"أو بغيره، فما علم أنه كان قديما واجبا بنفسه أو بغيره *) (١) يكون العلم بامتناع عدمه أوكد وأوكد.والعالم إذا كان شيء منه قديما أزليا لا حادث فيه، ثم حدث فيه حادث فقد غيره من الحال القديمة **الأزلية** الواجبة بنفسها أو بغيرها إلى حال أخرى تخالفها، وهذا مع أنه ممتنع، فإذا كان هذا بدون سبب حادث كان ممتنعا من هذا الوجه ومن هذا الوجه.وأيضا: فالعالم لا يتصور انفكاكه عن مقارنة الحوادث، فإن الأجسام لا تخلو عن مقارنة الحوادث: الحركة وغيرها، والعالم ليس فيه إلا ما هو قائم بنفسه أو بغيره بلا نزاع بين العقلاء، وتلك الأعيان لا تخلو عن مقارنة الحوادث، فإنها لو خلت عنها ثم قارنتها للزم حدوث الحوادث بلا سبب، وهذا باطل، وإن لم يكن هذا باطلا جاز حدوث الحوادث بلا سبب، فبطل القول بقدم العالم.ثم كثير من النظار يقول: ليس في العالم إلا جسم أو عرض. وهؤلاء منهم من يفسر الجسم بما يشار إليه، ويمنع (٢) كون كل جسم مركبا من الجواهر المفردة (٣) أو من المادة والصورة، فلا يلزمهم من الإشكال ما يتوجه على غيرهم.وإن قدر أن فيه ما يخرج عن ذلك كما يذكره من يثبت العقول__________(١) ما بين النجمتين ساقط من (م) .(٢) ا، ب: ويمتنع.(٣) ا: المنفردة؛ ب: الفردة.." (٢)

"والنفوس، ويقول: إنها ليست أجساما، فالنفوس لا تفارق الأجسام، بل هي مقارنة لها مدبرة لها (١) فلا تفارق الحوادث.وأيضا: فالنفوس لا تنفك عن تصورات وإرادات حادثة، فهي دائما مقارنة للحوادث، والعقول علة لذلك مستلزمة لمعلولها لا يتقدم عليها (٢) بالزمان، فيمتنع أن يكون في العالم ما يسبق الحوادث، فيمتنع أن يكون شيء منه قديما أزليا سابقا للحوادث، وحينئذ فالمبدع لشيء منه يمتنع أن يبدعه بدون إبداع لوازمه، ولوازمه يمتنع وجودها في الأزل، فيمتنع وجود شيء منه في الأزل.فإذا قيل: فهو علة تامة **أزلية** للفلك مع حركته، لزم أن يكون علة **أزلية** تامة للفلك مع حركته، فتكون حركته **أزلية**، والحركة لا توجد إلا شيئا فشيئا، فيمتنع أن يكون جميع حركته **أزلية** (٣) .وإذا (٤) قيل: هو علة تامة **أزلية** للفلك دون حركته، احتاجت حركته إلى مبدع آخر، ولا مبدع (٥) غيره.وإن قيل: هو علة للحركة (٦) شيئا بعد شيء، لم يكن علة تامة للحركة في الأزل، لكن يصير علة تامة لشيء منها بحسب وجوده، فتكون عليته

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٢٨/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٣٠/١

وفاعليته وإرادته حادثة بعد أن لم تكن، فيمتنع أن يكون علة تامة في___________(١) عبارة " مدبرة لها ": ساقطة من (م) فقط.(٢) ن، م: عليه.(٣) ن: أن يكون جميعها أزلية؛ م: أن يكون جميعا أزليا؛ ا: أن تكون جميع حركتها أزلية.(٤) ا، ب: فإن.(٥) عبارة " ولا مبدع ": ساقطة من (ب) فقط.(٦) ا، ب: الحركة.." (١)

"الأزل، وهذا القول [ظاهر] (١) ، لا ينازع فيه من فهمه، وهو مما يبين امتناع كونه علة تامة أزلية لكل موجود، وامتناع كونه علة تامة للفلك مع حركته الدائمة.وهم لا يقولون: (٢) إنه في الأزل علة لكل موجود، بل يقولون: إنه في الأزل علة لما كان قديما بعينه كالأفلاك، وهو دائما علة لنوع الحوادث، ويصير علة تامة للحادث المعين بعد أن لم يكن علة تامة له، فهذا حقيقة قولهم.فيقال لهم: كونه يصير علة تامة لشيء بعد أن لم يكن علة له من غير أمر يحدث منه ممتنع لذاته؛ لأنه لا محدث للحوادث سواه، فيمتنع أن غيره يحدث فاعليته، وكونه علة فلا يحدث كونه فاعلا للمعين إلا هو، فيلزم أن يكون هو المحدث؛ لكونه علة للمعين وفاعلا له، وهذه الفاعلية كانت بعد أن لم تكن، فيمتنع أن تكون صدرت عن علة تامة أزلية، لأن العلة الأزلية يقارنها معلولها.فتبين أنه يمتنع أن يصير فاعلا لشيء بعد أن لم يكن، مع القول بأنه لم يزل علة تامة أزلية، وأنه لا بد أن يقوم به من الأحوال ما يوجب كونه فاعلا لما يحدث عنه من الحوادث، سواء أحدثت (٣) بواسطة أم بغير واسطة.وأيضا: فإذا قدر أنه - كما يقولون - حاله قبل أن يحدث المعين ومع___________(١) ظاهر: ساقطة من (ن) فقط.(٢) أ، ب: وهم يقولون.(٣) ن، م: سواء حدث.." (٢)

"[شيء] (١) . سواء وهذا كما أنه سبحانه يلهم العباد أن يدعوه [فيدعونه] (٢) فيستجيب لهم، ويلهمهم أن يطيعوه فيطيعونه فيثيبهم، فهو سبحانه الفاعل للإجابة والإثابة كما أنه أولا جعل العباد داعين مطيعين، ولم يكن في شيء من ذلك مفتقرا إلى غيره ألبتة.وكل من تدبر هذه الأمور تبين له أنه سبحانه خالق كل شيء من الأعيان وصفاتها وأفعالها بأفعاله الاختيارية القائمة بنفسه كما دلت على ذلك نصوص الأنبياء، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، ووافقهم على ذلك أساطين الفلاسفة القدماء، وهذا مما يبين حدوث كل ما سواه وأنه ليس علة أزلية لمعلول قديم مع أنه دائم الفاعلية، ولا يلزم من دوام كونه فاعلا أن يكون معه مفعول معين قديم، بل هذا من أبطل الباطل.وهؤلاء المتفلسفة القائلون بقدم العالم عن موجب

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٣١/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٣٢/١

بذاته هو علة تامة أزلية [له] (٣) يسلمون أنه ليس علة تامة في الأزل لكل حادث، فإن هذا لا يقوله من يتصور ما يقول، فإن العلة التامة هي التي تستلزم معلولها وتستعقبه، فإذا كان المعلول حادثا بعد أن لم يكن لم يكن المستلزم له أزليا؛ لما في ذلك من تأخر المعلول (٤) وتراخيه زمانا لا نهاية له عن العلة التامة الأزلية، فإن كل حادث يوجد في العالم متأخر (٥) عن الأزل تأخرا لا نهاية له، فلو كانت علته التامة ثابتة في الأزل لكان المعلول____________(١) شيء: زيادة في (ا) ، (ب) .(٢) فيدعونه: ساقطة من (ن) ، (م) .(٣) له: ساقطة من (ن) ، (م) .(٤) ن: المعقول؛ م: المفعول، وكلاهما تحريف.(٥) ن، م: متأخرا.." (١)

"متأخرا عن العلة التامة تأخرا لا نهاية له، والعلة التامة لا يكون بينها وبين معلولها فصل أصلا، بل النزاع: هل يكون معها في الزمان أو يكون عقبها في الزمان (١) ، ويكون معها (٢) كالجزء الثاني من الزمان مع الذي قبله؟ . هذا مما يتكلم فيه الناس إذ كانوا (٣) متفقين على أنه متأخر عنها (٤) تأخرا عقليا وأنه لا ينفصل عنها. وهل يتصل بها اتصالا زمانيا أو يقترن بها اقترانا زمانيا؟ هذا محل نظر الناس (٥) .والمقصود هنا أن كل ما يحدث العالم فلا تكون علته التامة المستلزمة تامة (٦) قبله بحيث يكون بينهما انفصال، فكيف تتقدم عليه (٧) تقدما لا نهاية له؟ لكن غاية ما يقولون: إنه علة تامة أزلية لما كان قديما من العالم كالأفلاك، وأما ما يحدث فيه فإنما يصير علة تامة له عند حدوثه.ويقولون: إن حدوث الأول شرط في حدوث الثاني كالماشي الذي يقطع أرضا بعد أرض، وكحركة الشمس [التي] تقطع (8) بها مسافة بعد مسافة، كالمتحرك (٩) لا يقطع المسافة الثانية حتى يقطع الأولى، فقطع____________(١) ن، م، ا: هل يكون معه في الزمان أو يكون عقبه. والمثبت من (ب) وهو الصواب، والمقصود هل يكون المعلول مع العلة في الزمان أو يكون عقب العلة.(٢) ن، م: ويكون معه؛ ا: وتكون معه؛ ب: يكون معها. ولعل الصواب ما أثبته.(٣) ا: إن كانوا؛ ب: وإن كانوا.(٤) ن، م، ا: على أنها متأخرة عنه.(٥) ن، م: القياس.(٦) ن، م: ثابتة.(٧) ن، م، ا: يتقدم عليها.(٨) ن، م: وكحركة الشمس تقطع؛ ا: وكحركة الشمس الذي تقطع(٩) ا: كالتحرك؛ ب: فالمتحرك.." (٢)

"الأولى بحركته شرط في قطع الثانية بحركته، والعلة التامة لقطع الثانية إنما وجدت بعد الأولى. وهذا غاية ما يقولونه ويعبرون عنه بعبارات، فتارة (١) يقولون: فيض العلة الأولى والمبدأ الأول أو واجب الوجود

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٣٦/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٣٧/١

- وهو الله تعالى - دائم، لكن يتأخر ليحصل الاستعداد والقوابل، وسبب الاستعداد والقوابل [عند] (٢) كثير منهم - أو أكثرهم - هو حركة الفلك، فليس عند هؤلاء سبب لتغيرات العالم إلا حركة الفلك - كما يقوله ابن سينا وأمثاله - وهذا هو المعروف عند أصحاب أرسطو.وأما آخرون أعلى من هؤلاء - كأبي البركات وغيره - فيقولون: بل سبب التغيرات ما يقوم بذات الرب من إرادات متجددة، بل ومن إدراكات، كما قد بسطه في كتابه المعتبر.فأولئك - كابن سينا وأمثاله - يقولون: هو بنفسه علة تامة أزلية للعالم بما فيه من الحوادث المتجددة، وإن الحادث الأول كان شرطا أعد القابل (٣) للحادث الثاني. وهذا القول في غاية الفساد، وهو أيضا في غاية المناقضة لأصولهم، وذلك أن علة الحادث الثاني لا بد أن تكون بتمامها موجودة عند وجوده، وعند وجود الحادث الثاني (٤) لم يتجدد للفاعل الأول أمر به يفعل إلا عدم الأول، ومجرد عدم الأول لم يوجد عندهم للفاعل لا قدرة ولا إرادة ولا___________(١) ا: بعبارة فتارة؛ ن: بعبارات تارة.(٢) عند: ساقطة من (ن) ، (م) .(٣) ن: القايل؛ م: للمقابل، وكلاهما تحريف.(٤) ا، ب: عند وجوده عند الحادث الثاني؛ م: عند وجوده وهذا الحادث الثاني.." (١)

"فإذا قالوا بعد هذا: إنه علة تامة أزلية، وإن فيضه عام لكنه (١) يتوقف على حدوث القوابل والاستعدادات، إما بحدوث الأشكال الفلكية والاتصالات الكوكبية، وإما بغير ذلك (٢)قيل لهم: إن قلتم: هو علة أزلية لهذا الحادث لزم وجوده في الأزل.وإن قلتم: لا يصير علة تامة إلا بحدوث القوابلقيل لكم: فإذا كان حدوث القوابل منه فهو المحدث لهما جميعا، فقبل إحداثهما لم يكن علة تامة لا لهذا ولا لهذا، ثم أحدثهما (٣) جميعا: القابل والمقبول، فإذا كان أحدثهما (٤) بدون تجدد شيء، لزم أن يكون لم يزل علة تامة لهما أو لم يصر علة تامة لهما، فيلزم إما قدم هذين الحادثين وإما عدمهما.فإنه إن لم يزل (٥) علتهما لزم قدمهما، وإن لم يحدث لزم عدمهما، وأنتم تجعلون علة هذين الحادثين حدثت بعد أن لم تكن، أي حدثت بتمامها بعد أن لم تكن (٦) ، وليس هنا شيء أوجب حدوث التمام (٧) ، فإن الفاعل للتمام (٨) حالة بعد التمام وحالة قبل التمام (٩) سواء، فيمتنع أن___________(١) ن، م: لكونه، وهو تحريف.(٢) ن، م: هذا.(٣) ن: إلا بحدث.(٤) ب (فقط) : إحداثهما.(٥) ب: فإن لم تزل. .؛ ا: فإنه لم تزل.(٦) ن، م: حدث تمامها بعد أن لم يكن؛ ا: حدث بتمامها بعد أن لم تكن.(٧) ن، م: التام.(٨) ن، م: التام.(٩) ن، م: بعد التمام وقبل التمام.." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٣٨/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٤٣/١

"تصور الممتنعات، بأن يقدر في الذهن تقديرا لا يتصور تحققه في الخارج، فإن تحققها (١) في الخارج ممتنع.وعلى هذا فإذا قيل: المحوج إلى المؤثر هو الإمكان أو هو الحدوث، لم يكن بين القولين منافاة، فإن كل ممكن حادث، وكل حادث ممكن، فهما متلازمان. ولهذا جمع بين القولين من قال: إن (٢) المحوج إلى المؤثر هو الإمكان والحدوث جميعا. فالأقوال الثلاثة صحيحة في نفس الأمر، وإنما وقع النزاع لما ظن من ظن أنه يكون الشيء ممكنا مع كونه غير حادث.وهذا الذي قرر في امتناع كون العالم قديما، وامتناع كون فاعله علة قديمة أزلية صحيح، سواء قيل: إنه مريد بإرادة أزلية مستلزمة لاقتران مرادها بها (٣) ، أو قيل: ليس بمريد، وسواء قيل: إنه علة للفلك مع حركته، أو للفلك بدون حركته.وهكذا القول في كل ما يقدر (٤) قديما معه، فإنه لا بد أن يكون مقارنا لشيء من الحوادث، أو ممكنا أن يقارنه شيء من الحوادث. وعلى التقديرين يمتنع أن يكون قديما مع الله [تعالى] (٥) ؛ لأن القديم لا يكون إلا عن موجب تام مستلزم لموجبه، وثبوت هذا في الأزل يقتضي أنه لا يحدث عنه شيء، والحوادث لا تحدث إلا عنه، فلا يكون موجبا أزليا__________(١) ب: تحققه.(٢) إن: ساقطة من (ا) ، (ب) .(٣) بها: ساقطة من (ا) ، (ب) .(٤) ن، م: وهذا القول فيما يقدر.(٥) تعالى: زيادة في (ا) ، (ب) .." [(١)]

"إلا إذا حدث عنه شيء، ولكن فاعل العالم يمتنع أن لا يحدث عنه شيء، فيمتنع أن يكون موجبا بالذات في الأزل.[الأقوال المختلفة في إرادة الله تعالى]وإذا قيل: هو مريد بإرادة أزلية مقارنة لمرادها الذي هو العالم، أو يتأخر (١) عنها مرادها الذي هو حوادثه، كان القول كذلك، فإنه إذا لم يكن له [إلا] (٢) إرادة أزلية مقارنة لمرادها (٣) ، امتنع أن تحدث عنه الحوادث، لكنه يمتنع أن لا تحدث عنه الحوادث، فيمتنع أن لا يكون له [إلا] (٤) إرادة أزلية مقارنة لمرادها، مع أن الإرادة لمفعولات لازمة للفاعل غير معقول (٥) ، بل إنما يعقل في حق الفاعل بإراداته أن يفعل (٦) شيئا بعد شيء، ولهذا لم يقل أحد: إن الرب (٧) يتكلم بمشيئته وقدرته، وإن الكلام المقدور المعين قديم لازم لذاته، فإذا لم يعقل هذا في المقدور القائم به، فكيف يعقل في المباين له؟ .وإذا قيل: له إرادة أزلية مقارنة للمراد، وإرادة أخرى حادثة [مع الحوادث] (٨) .قيل: فحدوث هذه الإرادة الحادثة: إن كان بتلك الإرادة الأزلية التي يجب مقارنة مرادها لها، كان ذلك ممتنعا؛ لأن الثانية حادثة، فيمتنع أن__________(١) ن: ومتأخر؛ م: أو متأخر.(٢) إلا: ساقطة من (ن) فقط.(٣) لمرادها: ساقطة من (ا) ، (ب) .(٤) إلا: ساقطة من (ن) ، (م) .(٥) ا،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٣٧٩

ن، م: غير مفعول. والمثبت من (ب) وهو الصواب.(٦) عبارة " أن يفعل " ساقطة من (ا) ، (ب) .(٧) ن: إن الرجل، وهو تحريف.(٨) عبارة " مع الحوادث " ساقطة من (ن) ، (م) .." (١)

"وإن قدر أن هذا المفعول غير تلك المفعولات، فإنه ملزوم لها لا يوجد بدونها ولا توجد إلا به، فهما متلازمان، وإذا تلازمت المفعولات، فتلازم أفعالها وإرادتها أولى، فيكون كل من القدماء الثلاثة: الإرادة المعينة (١) ، وفعلها، ومفعولها، ملزوما لحوادث لا نهاية لها لازما (٢) .وحينئذ فالذات في فعلها للمفعول المعين علة تامة أزلية موجبة له، وهي في سائر الحوادث ليست علة أزلية تحدث فاعليتها وتمام إيجابها شيئا بعد شيء.والذات موصوفة بغاية الكمال الممكن، فإن كان كمالها في أن يكون ما فيها بالقوة هو بالفعل، من غير اعتبار إمكان ذلك، ولا كون (٣) دوام الإحداث هو أكمل من أن لا يحدث عنها شيء - كما قد يقوله هؤلاء الفلاسفة - فيجب أن لا يحدث عنها شيء (* أصلا، ولا يكون في الوجود حادث. وإن كان كمالها في أن تحدث شيئا *) (٤) بعد شيء؛ لأن ذلك أكمل من أن [لا] (٥) يمكنها إحداث شيء بعد شيء، ولأن الفعل صفة كمال، والفعل لا يعقل إلا على هذا الوجه، ولأن حدوث الحوادث دائما أكمل من أن لا يحدث شيء، ولأن هذا الذي بالقوة هو جنس الفعل، وهذا بالفعل دائما.وأما كون كل من المفعولات أو شيء من المفعولات أزليا فهذا ليس__________(١) ن، م: العينية.(٢) لازما: ساقطة من (ب) فقط.(٣) ن، م: ولا يكون.(٤) ما بين النجمتين ساقط من (م) فقط.(٥) لا: ساقطة من (ن) فقط.." (٢)

"بل يمكن أن يقال مع ذلك: [إن] (١) الإرادة الحادثة يقارنها مرادها، كما يقولون: إن القدرة الحادثة يقارنها مقدورها، وإن كان من الناس من ينازع في ذلك.[التقديرات الثلاثة في مقارنة المراد للإرادة]والمقصود هنا: أنه إذا قيل بأن الإرادة يجب أن يقارنها مرادها (٢) ، كان [ذلك] (٣) دليلا على حدوث كل ما سوى الله. وإن قيل: يجوز أن يقارنها مرادها ويجوز أن لا يقارنها، أو قيل: يمتنع مقارنة مرادها لها، فعلى التقديرات الثلاثة يجب حدوث كل ما سوى الله.أما (٤) على تقدير وجوب مقارنة المراد للإرادة، فلأنه إن كانت الإرادة أزلية، لزم أن يكون جميع المرادات أزلية، فلا يحدث شيء، وهو خلاف الحس والعيان. وهذا مثل قولنا: لو كان موجبا بذاته أزليا (٥) ، أو علة تامة لمعلوله، لزم أن يكون جميع موجبه ومعلوله مقارنا له أزليا، فيمتنع حدوث شيء عنه.وإن كان هناك إرادة حادثة، فإن الكلام (٦) فيها كالكلام في غيرها من

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٣٨٠

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٣٨٣

الحوادث: إن حدثت عن تلك الإرادة **الأزلية** التي يجب مقارنة مرادها لها كان ممتنعا، وإن حدثت بلا إرادة ولا سبب حادث كان ذلك ممتنعا.فتبين أنه على القول بوجوب مقارنة المراد للإرادة يمتنع قدم شيء من__________(١) إن: زيادة في (ا) ، (ب) .(٢) ا، ب:. . الإرادة لا يجب أن يقارنها مرادها، وهو خطأ؛ م: الإرادة يجوز أن يقارنها مرادها وهو خطأ أيضا.(٣) ذلك: ساقطة من (ن) ، (م) .(٤) ن، م: وأما.(٥) ن، م: **أزلية**.(٦) ن، م: حادثة فالكلام.." (١)

"العالم، سواء قيل بقدم الإرادة أو حدوثها، أو قدم شيء منها وحدوث شيء آخر.وإن قيل بأن المراد يجوز مقارنته للإرادة ويجوز تأخره عنها، فإنه على هذا التقدير يجوز حدوث جميع (١) العالم بإرادة قديمة **أزلية** من غير تجدد شيء، كما تقول ذلك الكلابية ومن وافقهم من الأشعرية والكرامية والفقهاء المنسوبين إلى الأئمة الأربعة وغيرهم. وعلى هذا التقدير فإنه يجوز حدوث الحوادث بلا سبب حادث، وترجيح أحد المتماثلين على الآخر بمجرد الإرادة القديمة، وعلى هذا التقدير فإنه يبطل حجة القائلين بقدم العالم.وهؤلاء إنما قالوا هذا لاعتقادهم بطلان التسلسل في الآثار وامتناع حوادث لا أول لها. فإن كان ما قالوه حقا، وأنه يمتنع حوادث لا أول لها، لزم حينئذ حدوث العالم، وامتنع القول بقدمه؛ لأنه لا يخلو شيء منه عن مقارنة شيء من الحوادث. حتى العقول والنفوس عند من يقول بإثباتها، فإنها عندهم لا بد أن تقارن الحوادث، فإذا امتنع حوادث لا أول لها، كان ما لم يسبق الحوادث بمنزلتها، يمتنع قدمه كما يمتنع قدمها.وإن كان ما قاله هؤلاء باطلا، أمكن دوام الحوادث، وعلى هذا التقدير فيجوز مقارنة المراد للإرادة (٢) في الأزل، ويمتنع حدوث شيء إلا بسبب حادث، وحينئذ فيمتنع كون شيء (٣) من العالم أزليا، وإن جاز أن__________(١) جميع: ساقطة من (ا) ، (ب) .(٢) ن (فقط) : للإرادات.(٣) ا، م: الشيء.." (٢)

"يكون نوع الحوادث دائما لم يزل، فإن الأزل ليس هو عبارة عن شيء محدد، بل ما من وقت يقدر إلا وقبله وقت آخر، فلا يلزم من دوام النوع قدم شيء بعينه.وإنما قيل: يمتنع قدم شيء بعينه؛ لأنه إذا جاز أن يقارنها المراد في الأزل، وجب أن يقارنها المراد؛ لأن الإرادة التي يجوز مقارنة مرادها لها لا يتخلف عنها مرادها (١) إلا لنقص في القدرة، وإلا فإذا كانت القدرة تامة، والإرادة التي يمكن مقارنة مرادها لها حاصلة، لزم حصول المراد لوجود المقتضى التام للفعل، إذ لو لم يلزم (٢) مع كون المراد ممكنا، لكان

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٨٨/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٨٩/١

حصوله بعد ذلك يستلزم ترجيح أحد المتماثلين على الآخر بدون مرجح. وهو باطل على هذا التقدير.ولهذا كان الذين يقولون بامتناع شيء من الحوادث في الأزل، يقولون: إن حصول شيء من الإرادات (٣) في الأزل ممتنع، لا يقولون بأنه ممكن، وأنه يمكن مقارنة مراده له.لكن أورد الناس عليهم أنه إذا كان نسبة جميع الأوقات والحوادث إلى الإرادة **الأزلية** نسبة واحدة، فترجيح أحد الوقتين - أو ما يقدر (٤) فيه الوقت بالحدوث - ترجيح بلا مرجح، وتخصيص لأحد المتماثلين بلا مخصص.____________(١) ن: مرادها عنها؛ م: مرادها لها، وهو تحريف.(٢) ن، م: لو لم يكن.(٣) ا، ب: المرادات.(٤) ن، م: أما يقدر.." (١)

"وهذا الكلام لا يقدح في مقصودنا هنا، فإنا لم ننصر (١) هذا القول، ولكن بينا امتناع قدم شيء من العالم على كل تقدير، وأن دوام الحوادث سواء كان ممكنا أو ممتنعا، فإنه يجب حدوث كل شيء من العالم على التقديرين (٢) ، وأن الإرادة سواء قيل بوجوب مقارنة مرادها لها أو بجواز تأخره عنها، يلزم حدوث كل شيء من العالم على كل من التقديرين (٣) .فإن القائلين بتأخر مرادها، إنما قالوا ذلك فرارا من القول بدوام الحوادث ووجود حوادث لا أول لها. وعلى هذا التقدير فيلزم حدوث العالم، وإلا فلو جاز دوام الحوادث، لجاز عندهم وجود المراد في الأزل، ولو جاز ذلك لم يقولوا بتأخر المراد عن الإرادة القديمة **الأزلية**، مع ما في ذلك من ترجيح أحد المتماثلين على الآخر [بلا مرجح] (٤) وما في ذلك من الشناعة عليهم، ونسبة كثير من العقلاء إلى أنهم خالفوا صريح المعقول.فإنهم إنما صاروا إلى هذا القول (٥) ؛ لاعتقادهم امتناع حوادث لا أول لها، فاحتاجوا لذلك أن يثبتوا إرادة قديمة **أزلية** يتأخر عنها المراد، ويحدث بعد ذلك من غير سبب حادث، واحتاجوا أن يقولوا: إن نفس الإرادة تخصص أحد المتماثلين على الآخر.وإلا فلو اعتقدوا جواز دوام الحوادث وتسلسلها، لأمكن أن يقولوا بأنه____________(١) ا، ب: فإنا لم ننص، وهو خطأ؛ ن، م: فإنا ننصر. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.(٢) ن، م: على التقدير.(٣) ن: على كلا التقديرين؛ م: على كل التقديرين.(٤) بلا مرجح: زيادة في (م) .(٥) القول: ساقطة من (ا) ، (ب) .." (٢)

"كمال المعلول من كمال (١) العلة. وإذا لم يكن الكمال ممتنعا عليه، فلا بد أن يكون واجبا له، إذ لو كان ممكنا غير واجب ولا ممتنع لافتقر في ثبوته له إلى غيره، وما كان كذلك لم يكن واجب الوجود

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٣٩٠

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٣٩١

بنفسه، فما أمكن له من الكمال فهو واجب له.[امتناع مقارنة المفعول للواجب]ويمتنع (٢) أن يكون مفعوله مقارنا له أزليا معه لوجوه: أحدها: أن مفعوله مستلزم للحوادث لا ينفك عنها، وما يستلزم الحوادث يمتنع (٣) أن يكون معلولا لعلة تامة أزلية، فإن معلول العلة التامة الأزلية لا يتأخر منه (٤) شيء، ولو تأخر منه (٥) شيء لكانت علة (٦) بالقوة لا بالفعل، ولافتقرت في كونها فاعلة له إلى شيء منفصل عنها، وذلك ممتنع. فوجب أن يكون مفعولا له لا يكون عنه إلا شيئا (٧) بعد شيء (٨) ، فكل ما هو مفعول له فهو حادث بعد أن لم يكن، ولأن كونه مقارنا له في الأزل يمنع (٩) كونه مفعولا له، فإن كون الشيء مفعولا مقارنا ممتنع عقلا.ولا يعقل في الموجودات شيء معين هو علة تامة لمعلول مباين له__________(١) كمال: ساقطة من (ا) ، (ب) .(٢) ن (فقط) : ويمكن، وهو خطأ.(٣) ن (فقط) : يمكن، وهو خطأ.(٤) ن، م، ا: عنه، وهو خطأ. والصواب ما في (ب) . وهو الذي أثبته.(٥) ن: عليه؛ م: علته.(٦) ن: عليه؛ م: علته.(٧) ا، ب: مفعوله لا يكون إلا شيئا.(٨) ب (فقط) : بعد شيئا، وهو خطأ.(٩) ن، م: يمتنع.." (١)

"الله لومة لائم، وكان أزهد الناس باتفاق الخلق كما قيل فيه: رحم الله عمر لقد تركه الحق ما له [من] (١) صديق.[فصل كلام ابن المطهر بعد المقدمة وجوب اتباع مذهب الإمامية لوجوه][الوجه الأول حتى الرابع من وجوه قول الرافضي وإنما كان مذهب الإمامية واجب الاتباع](فصل) قال الرافضي (٢) : " وإنما كان مذهب الإمامية واجب الاتباع لوجوه: الأول: لما نظرنا في المذاهب وجدنا أحقها وأصدقها وأخلصها عن شوائب الباطل، وأعظمها تنزيها لله تعالى ولرسله (٣) ولأوصيائه، وأحسن المسائل الأصولية والفروعية مذهب الإمامية.لأنهم اعتقدوا أن الله هو المخصوص بالأزلية والقدم، وأن كل ما سواه محدث ؛ لأنه (٤) واحد، [وأنه] (٥) ليس بجسم [ولا جوهر، وأنه ليس بمركب ؛ لأن كل مركب محتاج (٦) إلى جزئه ؛ لأن جزأه__________(١) من: زيادة في (أ) ، (ب) .(٢) الكلام التالي في منهاج الكرامة ك ص ٨١ (م) – ٣٨ (م) (في مقدمة الجزء الأول من الطبعة الأولى لهذا الكتاب) . وفي (ن) ، (م) : ثم قال المصنف الرافضي.(٣) ن، م: لله ولرسوله.(٤) أنه: كذا في جميع النسخ، وفي (ك) : وأنه.(٥) وأنه: ساقطة من (ن) ، (م) .(٦) ك: يحتاج.." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤١٨/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٩٧/٢

"ينبغي أن يذكر ما يختص بالإمامة (١) ، كمسألة إثبات الاثنى عشر وعصمتهم.الوجه الرابع: أن يقال: ما في هذا الكلام من حق فأهل السنة قائلون به – أو جمهورهم – وما كان فيه من باطل فهو رد، فليس اعتقاد ما في هذا القول من الحق خارجا عن أقوال أهل السنة، ونحن نذكر ذلك مفصلا.[الوجه الخامس وفيه الرد التفصيلي على القسم الأول من كلام ابن المطهر][التعليق على قوله إن الله منزه عن مشابهة المخلوقات]الوجه الخامس: قوله: " إنهم اعتقدوا أن الله هو المخصوص **بالأزلية** والقدم (٢) ، وأن كل ما سواه محدث ؛ لأنه واحد، وأنه ليس بجسم ولا في مكان، وإلا لكان محدثا، بل نزهوه عن مشابهة (٣) المخلوقات " (٤) .فيقال له: هذا إشارة إلى مذهب الجهمية والمعتزلة، ومضمونه أنه ليس لله علم (٥) ولا قدرة ولا حياة، وأن أسماءه الحسنى: كالعليم والقدير والسميع والبصير والرءوف والرحيم ونحو ذلك، لا تدل على صفات له قائمة به، وأنه لا يتكلم ولا يرضى ولا يسخط، ولا يحب ولا يبغض، ولا يريد إلا ما يخلقه منفصلا عنه من الكلام والإرادة، وأنه لم يقم به كلام.وأما قوله: " إن الله منزه عن مشابهة المخلوقات "__________(١) ن: ما يختص بمسألة الإمامية ؛ م: ما يختص بمسألة الإمامة ؛ أ: ما يختص بالإمامية.(٢) ن، م: بالقدم **والأزلية**.(٣) ب: مشابهته، وفي (ن) ، (م) ، (أ) ، (ك) عند إيراد النص السابق: مشابهة.(٤) أورد ابن تيمية هنا بعض كلام ابن المطهر وورد النص بأكمله من قبل، ص [٠ – ٩] ٧ – ٩٨، وقارن (ك) ص ٨٢ (م) .(٥) ن، م: أن الله ليس له علم.." (١)

"فكذلك وجوده يخصه، والغلط نشأ من جهة [أخذ] (١) الوجود مطلقا، وأخذ الحقيقة مختصة، وكل منهما يمكن أخذه مطلقا ومختصا، فالمطلق مساو للمطلق، والمختص مساو للمختص، فالوجود المطلق مطابق للحقيقة المطلقة، ووجوده (٢) المختص مطابق لحقيقته المختصة، والمسمى بهذا وهذا واحد، وإن تعددت جهة التسمية، كما يقال: هذا هو ذاك فالمشار إليه واحد، لكن بوجهين مختلفين.[وأيضا فإذا اشتركا في مسمى الوجود الكلي، فإن أحدهما يمتاز عن الآخر بوجوده الذي يخصه، كما أن الحيوانين والإنسانين إذا اشتركا في مسمى الحيوانية والإنسانية، فإنه يمتاز أحدهما عن الآخر بحيوانية تخصه وإنسانية تخصه، فلو قدر أن الوجود الكلي ثابت في الخارج، لكان التمييز يحصل بوجود خاص، لا يحتاج أن يقال: هو مركب من وجود وماهية، فكيف والأمر بخلاف ذلك؟ .ومن قال: إنه وجود مطلق بشرط سلب كل أمر ثبوتي، فقوله أفسد من هذه الأقوال] (٣ (وهذه المعاني مبسوطة في غير هذا الموضع.والمقصود أن إثبات الأسماء والصفات لله، لا يستلزم أن يكون سبحانه مشبها مماثلا لخلقه.[التعليق على قوله أن الله هو

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٠٢/٢

المخصوص بالأزلية والقدم]وأما قوله: " إنهم اعتقدوا أن الله هو المخصوص بالأزلية والقدم " (٤)
.__________(١) أخذ: ساقطة من (ن) .(٢) أ: ووجود ؛ ب: والوجود.(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .(٤) هذه العبارة وردت ضمن كلامه السابق ص ٩٧ وهي في منهاج الكرامة ١/٨٢ (م) ، وفي هذين الموضعين: لأنهم اعتقدوا.." (١)

"فيقال: أولا: جميع المسلمين يعتقدون أن كل ما سوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن، وهو المختص بالقدم والأزلية.ثم يقال: ثانيا: الذي جاء به الكتاب والسنة هو توحيد الإلهية (١) ، فلا إله إلا هو، فهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، كما قال تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ [سورة البقرة: ١٦٣] ، وقال تعالى (٢) : ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد﴾ [سورة النحل: ٥١] ، وقال: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥] .ومثل هذا في القرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [سورة محمد: ١٩] ، وقوله: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ [سورة الصافات: ٣٥] .وبالجملة فهذا أول ما دعا إليه الرسول [وآخره] (٣) ؛ حيث قال: " «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا (٤) لا إله إلا الله وإني رسول الله» " (٥) .__________(١) ن، م: الذي جاء به الكتاب أن الله مخصوص بالإلهية.(٢) وقال تعالى: ساقطة من (ن) فقط.(٣) وآخره: ساقطة من (ن) .(٤) ن، م: يشهدوا.(٥) الحديث عن جماعة من الصحابة بروايات مختلفة في: البخاري ١/١٠ (كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة. . . إلخ) ، ٩/١٥ (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب قتل من أبى قبول الفرائض) ؛ مسلم ١/٥٢ - ٥٣ (كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس. . إلخ) . وقال السيوطي في " الجامع الصغير ": " متفق عليه، رواه الأربعة عن أبي هريرة وهو متواتر ".." (٢)

"وهذا من أظهر ما يعلم [بالاضطرار] (١) من دين النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهو توحيد الإلهية: أنه لا إله إلا الله (٢) .وأما كون القديم الأزلي واحدا، فهذا اللفظ لا يوجد لا في كتاب [الله] ولا في سنة [نبيه] (٣) ، بل (٤) ولا جاء اسم " القديم " في أسماء الله تعالى، وإن كان من أسمائه " الأول ".والأقوال نوعان: فما كان منصوصا في الكتاب [والسنة] (٥) ، وجب الإقرار به على كل مسلم، وما لم يكن له أصل في النص والإجماع، لم يجب قبوله ولا رده حتى يعرف معناه.فقول القائل: القديم الأزلي

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٢٠/٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٢١/٢

واحد، وإن الله مخصوص **بالأزلية** والقدم، لفظ مجمل. فإن أراد به أن الله بما يستحقه من صفاته اللازمة له هو القديم الأزلي دون مخلوقاته، فهذا حق. ولكن هذا مذهب أهل السنة والجماعة.وإن أراد به أن القديم الأزلي هو الذات التي لا صفات لها: لا حياة \ ٨ ١١) (٦) ولا علم ولا قدرة ؛ لأنه لو كان لها صف ا ت (٧) لكانت قد شاركتها في القدم، ولكانت إلها مثلها.___________(١) بالاضطرار: ساقطة من (ن) ، (م) .(٢) ن، م: إلا هو.(٣) ن، م: لا في كتاب ولا سنة.(٤) بل: ساقطة من (أ) ، (ب) .(٥) والسنة: ساقطة من (ن) ، (م) .(٦) ا، ب: التي لا صفة لها ولا حياة. . إلخ(٧) أ، ب: صفة.." (١)

"[كليا] (١) ، فهو مخطئ خطأ ظاهرا: سواء ادعى أن هذه الكليات مجردة عن الأعيان **أزلية** - كما يذكرونه عن أفلاطون (٢) ويسمون ذلك " المثل الأفلاطونية " أو ادعى أنها لا تكون إلا مقارنة للمعينات، أو ادعى (٣) أن المطلق جزء من المعين - كما يذكرونه عن أرسطو وشيعته، كابن سينا وأمثاله - ويقولون: إن النوع مركب من الجنس والفصل، [وإن] الإنسان (٤) مركب من الحيوان والناطق، والفرس مركب من الحيوان والصاهل، فإن هذا إن أريد به أن الإنسان متصف بهذا وهذا فهذا حق، ولكن الصفة لا تكون سبب وجود (٥) الموصوف ولا متقدمة عليه لا في الحس ولا في العقل، ولا يكون الجوهر القائم بنفسه مركبا من عرضين.وإن أراد به أن الإنسان الموجود في الخارج فيه جوهران قائمان بأنفسهما: أحدهما الحيوان، والآخر الناطق، فهذا مكابرة للعقل والحس.وإن أريد بهذا التركيب تركيب الإنسان العقلي المتصور (٦) في الأذهان لا الموجود في الأعيان فهذا صحيح، لكن ذلك الإنسان هو بحسب ما يركبه الذهن، فإن ركبه من الحيوان والناطق تركب منهما، وإن ركبه من الحيوان والصاهل تركب منهما، فدعوى المدعي: أن إحدى___________(١) كليا: ساقطة من النسخ الأربع، وإثباتها يقتضيه سياق الكلام.(٢) ن، م، أ: أفلاطن.(٣) ن: وادعى.(٤) ن، م: والإنسان.(٥) وجود: ساقطة من (أ) ، (ب) .(٦) ن: المصور ؛ م: المقصور.." (٢)

"ولفظ المادة والهيولي يعنى به عندهم هذه الصورة الصناعية، وهي عرض يحدث بفعل الآدميين، ويعنى به (١) الصورة الطبيعية وهي نفس الأجسام، وهي جواهر (٢) ومادة وما منها خلقت.وقد يعنى بالمادة [المادة] (٣) الكلية وهي ما تشترك فيه الأجسام من القدر ونحوه.وهذه كليات حاصلة في الأذهان، وهي في الخارج معينة: إما أعراض وإما جواهر.وقد يعنى بالمادة [المادة] (٤) **الأزلية** وهي المجردة عن

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٢٣/٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٩٠/٢

الصورة. وهذه يثبتها أفلاطن (٥) ، وسائر العقلاء أنكروها، وفي الحقيقة هي ثابتة في الذهن لا في الخارج، والأجسام مشتركة في كون كل واحد (٦) منها له قدر يخصه، فهي مشتركة في نوع المقدار لا في عينه، فصارت الأجسام مشتركة في المقدار، فقالوا: بينها مادة مشتركة [وهيولي مشتركة] (٧) ، ولم يهتدوا إلى الفرق بين الاشتراك في الكلي المطلق والاشتراك في الشيء المعين، فاشتراك الأجسام في الجسمية والامتداد والمقدار الذي يظن أنه المادة ونحو ذلك، كاشتراك الناس في الإنسانية، واشتراك الحيوانات (٨) في الحيوانية.__________(١) أ، ب: بها.(٢) ب: جوهر، والمثبت عن (أ) ، (ن) (م) .(٣) ما بين القوسين زيادة للإيضاح، والذي في الأصل صواب، حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه.(٤) ما بين القوسين زيادة للإيضاح، والذي في الأصل صواب، حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه.(٥) ب: أفلاطون، والمثبت عن (أ) ، (ن) ، (م) .(٦) واحد: ساقطة من (أ) ، (ب) .(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.(٨) ن، م: الحيوان.." [١]

"على أن أهل السنة يقولون (١) بالحق مطلقا، وأنه ما من قول يثبت بشرع (٢) وعقل إلا وقد قال به أئمة (٣) أهل السنة، وهذا هو المقصود في هذا المقام.[الوجه السادس وفيه أن أكثر متقدمي الإمامية كانوا مجسمة]الوجه السادس (٤) : أن يقال لهذا الإمامي: أنت قلت: مذهب الإمامية أحقها وأصدقها وأخلصها عن شوائب الباطل ؛ لأنهم اعتقدوا أن الله هو المخصوص **بالأزلية** والقدم، وأن [كل] (٥) ما سواه محدث ؛ لأنه واحد (٦) وليس بجسم ولا في مكان وإلا لكان محدثا.وقد تبين أن أكثر [متقدمي] (٧) الإمامية كانوا بضد هذا: كهشام بن الحكم، وهشام بن سالم، ويونس (٨) بن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين، وزراة بن أعين (٩)__________(١) ن، م: تقول.(٢) ن (فقط) : ثبت بشرع.(٣) ن، م: جمهور.(٤) ن، م: الخامس، وهو خطأ. وبدأ الكلام عن الوجه الخامس في ص ١٠٢.(٥) كل: ساقطة من (ن) فقط.(٦) ن (فقط) : أحد.(٧) متقدمي: ساقطة من (ن) فقط.(٨) م (فقط) : ويوسف، وهو خطأ.(٩) ن، م: وزرارة بن أبي أعين، وهو خطأ. وزارة بن أعين بن سنسن رأس الفرقة الزرارية من فوق الرافضة، كان أبوه عبدا روميا لرجل من بني شيبان وكان جده راهبا. قال ابن النديم (الفهرست، ص ٢٢٠) : " زرارة لقب واسمه عبد ربه. . . أكبر رجال الشيعة فقها وحديثا ومعرفة بالكلام والتشيع " وتوفي زرارة سنة ١٥٠. ويقال: إنه كان يقول بإمامة عبد الله بن جعفر ثم صار إلى الائتمام بموسى بن جعفر (الكاظم) . وسيذكر ابن تيمية بعد قليل مقالة للزرارية في أصول الدين نقلا عن الأشعري في المقالات. وانظر عن

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٢٠٣

زرارة الرجال للنجاشي، ص ١٣٢ – ١٣٣ ؛ رجال الطوسي، ص ١٢٣ – ١٢٤، ٢٠١، ٣٥٠ ؛ الفهرست للطوسي، ص ١٠٠ ؛ الرجال للكشي، ص ٨٨ – ١٠٧ ؛ اللباب لابن الأثير ٤٩٨/١ ؛ لسان الميزان ٤٧٣/٢ – ٤٧٤ ؛ الأعلام للزركلي ٧٥/٣ ؛ وانظر عن الزرارية مقالات الإسلاميين ١٠٠/١، ١٠٦ – ١٠٧ ؛ الفرق بين الفرق، ص ٤٣ ؛ الخطط للمقريزي ٣٥٣/٢ ؛ الملل والنحل ١٥٠/١.." (١)

"تكون العلة **الأزلية** التامة علة للملزوم (١) دون لازمه، وامتنع أيضا أن يكون علة للازمه ؛ لأن العلة التامة **الأزلية** لا تقتضي حدوث شيء، وإن (٢) لم تكن الحوادث من لوازمه كانت حادثة بعد أن لم تكن، فإن (٣) لم يكن لها محدث لزم حدوث الحوادث (٤) بلا محدث، وهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة، وإن كان لها محدث غير الواجب بنفسه، كان القول في حدوث إحداثه إياها كالقول في ذلك المحدث، وإن (٥) كان الواجب بنفسه هو المحدث فقد حدثت عنه الحوادث بعد أن لم تكن حادثة، وحينئذ فيكون قد تغير (٦) وصار محلا للحوادث بعد أن لم يكن، والعلة التامة **الأزلية** لا يجوز عليها التغير والانتقال من حال إلى حال، وذلك لأن تغيرها لا بد أن يكون بسبب حادث، والعلة التامة **[الأزلية]** (٧) لا يجوز أن يحدث فيها حادث، فإنه إن حدث (٨) بها مع أنه لم يتجدد شيء لزم الحدوث بلا سبب (٩) ، وإن لم يحدث بها لزم حدوث الحوادث بلا فاعل، فبطل أن تكون علة تامة **أزلية**، وإن جوز مجوز (١٠) عليها الانتقال من حال إلى حال، جاز أن يحدث العالم بعد أن لم يكن، فبطل (١١) حجة من يقول بقدم العالم.__________(١) ن: العلة **الأزلية** علة تامة للملزوم ؛ م: العلة **الأزلية** تامة للملزوم.(٢) ن، م: فإن.(٣) ن، م: وإن.(٤) ب، أ، ن، م،: الحادث(٥) ن، م: فإن.(٦) ع: فقد يكون قد تغير.(٧) **الأزلية**: ساقطة من (ن) .(٨) ب، أ: أحدث.(٩) ن: مع أنه لم يتجدد شيء من الوجود بلا سبب ؛ م: مع العلم أنه لم يتجدد شيء من الحدوث بلا سبب.(١٠) م: فيجوز، وهو تحريف.(١١) م: فتبطل.." (٢)

"وأيضا، فإنه على هذا التقدير (١) لا يكون المنتقل (٢) من حال إلى حال إلا فاعلا بالاختيار لا موجبا بالذات. وإيضاح هذا (٣) أن الحوادث إما أن يجوز دوامها لا إلى أول، وإما أن يجب أن يكون لها أول، فإن وجب أن يكون لها أول بطل مذهب القائلين بقدم العالم القائلين بأن حركات (٤) الأفلاك **أزلية**.وأيضا، فإذا وجب أن يكون لها أول لزم حدوث العالم لأنه متضمن للحوادث (٥) ، فإنه إما أن يكون مستلزما للحوادث أو (٦) تكون عارضة له، فإن كان مستلزما لها ثبت أنه لا يخلو عنها، فإذا (٧) كان لها

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٣٢/٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٧٤/٢

ابتداء كان له (٨) (* ابتداء لازما لا يخلو عن الحوادث لا يسبقها ولا يتقدم عليها، فإذا قدر (٩) أن الحوادث كلها كائنة بعد أن لم يكن حادث أصلا، كان المقرون بها الذي لم يتقدمها كائنا (١٠) بعد أن لم يكن قطعا *) (١١) ، وإن كانت الحوادث (١٢) عارضة للعالم (١٣) ثبت حدوث الحوادث بلا سبب، (* وإذا جاز حدوث الحوادث [كلها] (١٤) بلا سبب [حادث] (١٥) ، جاز حدوث العالم بلا سبب حادث *) (١٦) (١٧) ، (* فبطلت كل حجة توجب قدمه، وكان القائل بقدمه قائلا بلا حجة أصلا *) (١٨) .__________(١) ن، م: فإنه على هذا القول.(٢) ع: المتحول.(٣) ن، م: وإيضاح هذا القول.(٤) ب، أ: حركة.(٥) ن، م: يتضمن الحوادث.(٦) ع: وإما أن.(٧) ن: وإذا.(٨) ن: لها.(٩) ن، م: قلت.(١٠) ع: كائن، وهو خطأ.(١١) ما بين النجمتين ساقط من (أ) ، (ب) .(١٢) الحوادث: ساقطة من (ب) ، (أ) .(١٣) ب، أ: عارضة له.(١٤) كلها: ساقطة من (ب) ، (أ) ، (ن) .(١٥) حادث: ساقطة من (ن) ، (ع) .(١٦) ما بين النجمتين ساقط من (م) .(١٧) حادث: ساقطة من (ع) فقط.(١٨) الكلام بين النجمتين ساقط من (ب) ، (أ) .." (١)

"ففي الجملة جواز كونه فاعلا في الأزل، يستلزم جواز حدوث الحوادث في الأزل، ولهذا لم يعرف من قال بكونه فاعلا في الأزل مع امتناع دوام الحوادث، فإن القائلين بحدوث الأجسام عن تصور من تصورات النفس يقولون بدوام الحوادث في النفس، والقائلين بالقدماء الخمسة لا يقولون: إنه فاعل لها في الأزل، بل يقولون: إنها واجبة بنفسها، هذا هو المحكي عنهم، وقد يقولون: إنها معلولة له لا مفعولة له] (١) .فإذا قدر أنه فاعل للعالم في الأزل، وقدر امتناع الحدوث في الأزل، جمع بين [وجوب] (٢) كونه فاعلا، وامتناع كونه فاعلا.وإذا قيل (٣) : يفعل ما هو قديم ولا يفعل ما هو حادث.قيل: فعلى هذا التقدير يجوز تغيير القديم ؛ لأن التقدير أن المعلول القديم (٤) حدثت فيه الحوادث بعد أن لم تكن بلا سبب [حادث] (٥) ، والمعلول القديم (٦) لا يجوز تغييره فإنه يقتضي (٧ تغيير علته التامة **الأزلية** الموجبة له. ثم على هذا التقدير المتضمن إثبات قديم معلول لله أو ٧) (٧) إثبات قدماء معلولة (٨) عن الله مع حدوث الحوادث (٩ الدائمة في ذلك القديم، أو مع تجدد حدوث الحوادث ٩) (٩) فيها هو (١٠) قول بحدوث [هذا] (١١)__________(١) هنا ينتهي السقط المشار إليه آنفا في ص ٢٧٧.(٢) وجوب: ساقطة من (ن) ، (م) .(٣) ع: ثم إذا قيل.(٤) ب، أ: أن يكون القديم.(٥) بلا سبب حادث: ساقط من (ب) ، (أ) . وفي (ن) ، (م) : بلا سبب.(٦) ب، أ: بالقديم.(٧) : (٧ - ٧) ساقط من (ب) ، (أ) .(٨) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٢٧٥

ن، م: معلومة.(٩) (٩ - ٩) : ما بين المعقوفتين ساقط من (ب) ، (أ) .(١٠) ب، أ: وهو ؛ ن، م: وهذا.(١١) هذا: ساقطة من (ن) ، (م) .." (١)

"كان ممكنا أمكن حدوث كل ما سوى الله بعد أن لم يكن، وكانت هذه القدماء مما يجوز حدوثه.وأيضا، فعلى هذا القول يكون موجبا بذاته (١) لمعلولاته (٢) ع: لم يصر، وهو خطأ. فاعلا بالاختيار لغيرها، والقول بأحد القولين يناقض الآخر] (٣) . .وإن قيل: إن الحوادث يجوز دوامها، امتنع أن تكون علة أزلية لشيء منها، والعالم لا يخلو منها على هذا التقدير ع (فقط) : والعالم على التقديرين، وفي العبارة نقص وتحريف. بل هو مستلزم لها، فيمتنع أن يكون علة [تامة] تامة: (٤) . لها في الأزل، ويمتنع أن يكون علة للملزوم دون لازمه.(٧ وأيضا، فإن كل ما سوى الواجب يمكن وجوده وعدمه، وكل ما كان كذلك فإنه لا يكون إلا موجودا بعد عدمه ٧) (٥) . (٦) (٧) . [وأيضا، فإن القول بأن المفعول المعين يقارن فاعله أزلا وأبدا مما يعلم بطلانه بضرورة العقل، ولهذا كان هذا مما اتفق عليه جماهير العقلاء من الأولين والآخرين، حتى أرسطو وأصحابه القدماء ومن اتبعه من المتأخرين، فإنهم متفقون على أن كل ما أمكن وجوده وعدمه لا يكون__________(١) ب، ا: وأيضا فيكون موجبا بذاته على هذا القول.(٢) ب: لمعلولات ؛ أ: لمعلومات.، ٨ ثم يصير(٣) هنا ينتهي سقط (ن) ، (م) وهو الذي بدأ بعد عبارة " وهذا مبسوط في موضعه(٤) ساقط من (ع) ، (ن) ، (م)(٥) (٧ - ٧) ساقط من (ن) ، (م)(٦) .(٧) الكلام بعد القوس المعقوف ساقط من (ب) ، (أ) ، (ن) ، (م) ويوجد في (ع) ، وينتهي ص [٠ - ٩] ٨٥." (٢)

"وكثير من المعتزلة والكرامية، وهو قول الكلابية أيضا أئمة الأشعرية فيما ذكره أبو علي الثقفي وغيره على قول الكرامية: " وأثبتوا لله فعلا قائما بذاته غير المفعول، كما أثبتوا له إرادة قديمة قائمة بذاته " (١) ، وذكر سائر الاعتقاد الذي صنفوه لما جرى بينهم وبين ابن خزيمة نزاع في مسألة القرآن، لكن ما أدري هل ذلك قول ابن كلاب نفسه أو قالوه هم بناء على هذا الأصل المستقر عندهم؟] (٢) . .[مقالات الرافضة في خلق أعمال العباد]ثم القدر فيه نزاع بين الإمامية، كما بينهم النزاع في الصفات.قال أبو الحسن الأشعري (٣) \ ١١٠.: " واختلفت الرافضة في أعمال العباد (٤) . هل هي مخلوقة؟ ن: مخلوقة لله تعالى ؛ م: مخلوقة لله. وهي (٥) . ثلاث فرق: فالفرقة الأولى [منهم] وهم هشام بن الحكم (٦)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٢٧٨

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٢٨٠

:ـــــــــــــــــ(١) انظر ما سلف ٣٢٣/١ - ٣٢٥ عن قول الكلابية والكرامية بالإرادة القديمة **الأزلية** لله تعالى.(٢) هنا ينتهي السقط المشار إلى أوله في أول الصفحة السابقة(٣) في " المقالات " النص التالي في مقالات الإسلاميين ١(٤) ب، أ: واختلفت الرافضة في أفعال العباد ؛ ع: اختلف الروافض في أعمال العباد ؛ م: واختلف الرافضة في أعمال العباد. والمثبت عن (ن) وهو الموجود في " المقالات "(٥) المقالات: وهم(٦) ن، م: فالفرقة الأولى وهم هشام بن الحكم ؛ ب، أ: فالفرقة الأولى منهم هشام بن الحكم ؛ " المقالات ": فالفرقة الأولى منهم وهو هشام بن الحكم، والمثبت عن (ع) .." (١)

"قول هذا الإمامي وأمثاله من الرافضة المتأخرين والزيدية والمعتزلة والجهمية.وثالثها: قول من يقول *) (١) : إنه (٢) معنى واحد قديم قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية (٣) كان توراة (٤) ، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره (٥) .ورابعها: قول من يقول: إنه حروف وأصوات **أزلية** مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث. ذكره الأشعري في " المقالات " عن طائفة (٦) . وهو الذي يذكر عن السالمية ونحوهم. وهؤلاء قال طائفة منهم: إن تلك الأصوات القديمة هي الصوتـــــــــــــــ(١) ما بين النجمتين ساقط من (ب) ، (أ) .(٢) ب: بأنه.(٣) ب، أ، م: بالعبرانية.(٤) ع: إن عبر عنه بالعبرية كان توراة وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا.(٥) يقول الأشعري في المقالات ٢٣٣/٢: " قال عبد الله بن كلاب. . وإنه (القرآن) معنى واحد بالله عز وجل، وإن الرسم هو الحروف المتغايرة، وهو قراءة القرآن، وإنه خطأ أن يقال: كلام الله هو هو أو بعضه أو غيره، وإن العبارات عن كلام الله سبحانه تختلف وتتغاير، وكلام الله سبحانه ليس بمختلف ولا متغاير، كما أن ذكرنا لله عز وجل يختلف ويتغاير والمذكور لا يختلف ولا يتغاير، وإنما سمي كلام الله سبحانه عربيا لأن الرسم الذي هو العبارة عنه وهو قراءته عربي فسمي عربيا لعلة، وكذلك سمي عبرانيا لعلة، وهو أن الرسم الذي هو عبارة عنه عبراني، وكذلك سمي أمرا لعلة، وسمي نهيا لعلة، وخبرا لعلة، ولم يزل الله متكلما قبل أن يسمي كلامه أمرا، وقبل وجود العلة التي لها سمي كلامه أمرا، وكذلك القول في تسمية كلامه نهيا وخبرا. . ".(٦) انظر " المقالات " ٢٣٤/٢.." (٢)

"بنفسه، ولا يقوم به أمر يختاره ويقدر عليه، بل جعلتموه (١) كالجماد الذي لا تصرف (٢) (* له ولا فعل، وهم جعلوه كالجماد الذي لزمه وعلق به ما لا يمكنه دفعه عنه ولا قدرة له على التصرف *) (٣)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٩٩/٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٦٠/٢

فيه، فوافقتموهم على بعض باطلهم. ونحن قلنا بما يوافق العقل والنقل من كمال قدرته ومشيئته، وأنه قادر على الفعل بنفسه [وعلى التكلم بنفسه] (٤) كيف شاء، وقلنا: إنه لم يزل موصوفا بصفات الكمال متكلما إذا شاء (٥) ، فلا نقول: إن كلامه مخلوق منفصل عنه، فإن حقيقة هذا القول أنه لا يتكلم، ولا نقول: إن كلامه شيء واحد (٦) : أمر ونهي وخبر (* وأن معنى التوراة والإنجيل واحد، وأن الأمر والنهي صفة لشيء واحد *) (٧) ، فإن هذا مكابرة للعقل (٨) ، ولا نقول: إنه أصوات مقطعة (٩) متضادة **أزلية**، فإن الأصوات لا تبقى زمانين. وأيضا، فلو قلنا بهذا القول والذي قبله لزم أن يكون تكليم الله__________(١ (ب، ا، ن، م: وجعلتموه.(٢) في (ن) ، (م) : كالجماد الذي لا ينصرف، وبعد هذه العبارة كتبت في (ن) تسعة سطور تبين لي أنها تقابل سطورا في ص ٢٣٣ في (ب) ، وأخطأ الناسخ في كتابتها في هذا الموضع.(٣) ما بين النجمتين ساقط من (م) .(٤) ما بين المعقوفتين في (ع) ، (م) .(٥) ب، ا: متكلما ذاتا.(٦) ب: ولا نقول إنه شيء واحد ؛ ن، ا، م: ولا يقول إنه شيء واحد.(٧) ما بين النجمتين ساقط من (م) .(٨) ن، م: العقل.(٩) ب، ا: منقطعة.." (١)

"خلق ثان ولزم التسلسل، وأيضا، فيلزم قيام الحوادث به، وهذا عمدتهم في نفس الأمر.والرازي لم يكن له خبرة بأقوال طوائف المسلمين، إلا بقول المعتزلة والأشعرية وبعض أقوال الكرامية والشيعة، فلهذا لما ذكر هذه المسألة ذكر الخلاف فيها مع فقهاء ما وراء النهر، وقول هؤلاء هو قول جماهير طوائف المسلمين.والجمهور لهم في الجواب عن عمدة هؤلاء طرق: كل قوم بحسبهم. فطائفة قالت: بل الخلق الذي هو التكوين والفعل قديم والمكون المفعول محدث لأن (الخلق) (١) عندهم لا تقوم به الحوادث، وهذا قول كثير من هؤلاء من الحنفية والحنبلية والكلابية والصوفية وغيرهم. فإذا قالوا لهؤلاء: فيلزم قدم المكون قالوا: نقول في ذلك مثل ما قلتم في الإرادة **الأزلية**، قلتم: هي قديمة فإن (٢) كان المراد محدثا، كذلك التكوين قديم، وإن كان المكون محدثا.وطائفة قالت: بل الخلق والتكوين حادث إذا أراد الله خلق شيء وتكوينه، وهذا قول أكثر أهل الحديث وطوائف من أهل الكلام والفقه والتصوف. قالوا: لأن الله ذكر وجود أفعاله شيئا بعد شيء كقوله تعالى: (خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) [سورة الأعراف: ٥٤] وقوله: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٨٧/٢

أتينا طائعين﴾ [سورة فصلت ١١] ، وقوله:ـــــــــــــ(١) كلمة " الخلق " غير موجودة بالأصل وزدتها ليستقيم الكلام.(٢) فإن: كذا في الأصل، ولعل الصواب: وإن.." (١)

"فاعل، فلا يسميه باسم يسمى به العبد (١)] (٢) . وذهب أبو العباس الناشئ (٣) إلى ضد ذلك فقال: إنها حقيقة للرب مجاز للعبد (٤) .وزعم ابن حزم أن أسماء الله تعالى الحسنى لا تدل على المعاني، فلا يدل عليم على علم، ولا قدير على قدرة، بل هي أعلامـــــــــــــ(١) قال الشهرستاني (الملل والنحل ٧٩/١) عن الجهم: " وافق المعتزلة في نفي الصفات **الأزلية** وزاد عليهم بأشياء: منها قوله: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي تشبيها، فنفى كونه حيا عالما، وأثبت كونه قادرا فاعلا خالقا، لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق ".(٢) ما بين المعقوفتين في (ع) فقط.(٣) أبو العباس عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك الناشئ الأنباري، كان يقال له ابن شرشير، وتوفي سنة ٢٩٣ قال ابن حجر (لسان الميزان ٣٣٤/٣) : "كان من أهل الأنبار ونزل بغداد ثم انتقل إلى مصر ومات بها، وكان متكلما شاعرا مترسلا وله قصيدة أربعة آلاف بيت في الكلام. قال ابن النديم: يقال إنه كان ثنويا فسقط من طبقة أصحابه المتكلمين. قلت: ولا تغتر بقول ابن النديم فإن هذا من كبار المسلمين، وكان سبب تلقيبه بالناشئ أنه دخل وهو فتى مجلسا فناظر على طريقة المعتزلة فقطع خصمه فقام شيخ فقبل رأسه وقال: لا أعدمنا الله مثل هذا الناشئ، فبقي علما عليه. وله رد على داود بن علي رده عليه ابنه محمد بن داود، وغير ذلك ". وأما ابن النديم فذكره ضمن رؤساء المنانية (نسبة إلى ماني) المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة، فقال (٣٣٨) : " وممن تشهر أخيرا أبو عيسى الوراق وأبو العباس الناشئ ". وانظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢٧٧/٢ - ٢٧٩ ؛ إنباه الرواة ١٢٨/٢ - ١٢٩ ؛ تاريخ بغداد ٩٢/١ - ٩٣ ؛ شذرات الذهب ٢١٤/٢ - ٢١٥ ؛ العبر للذهبي ٩٥/٢ ؛ الأعلام ٢٦١/٤. وانظر ما ذكره عنه ابن حزم في: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه، ص ٤٣، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٥٩. وانظر مقدمة المحقق (ص ط) ؛ وانظر أيضا: المنية والأمل لابن المرتضى، ص ٥٤، فضل الاعتزال، ص ٢٩٩.(٤) ع: مجاز في العبد.." (٢)

"تام القدرة مريدا تام الإرادة، فلا يكفي في الإحداث مجرد وجود شيء متقدم (١) على الإحداث، فكيف يكفي مجرد عدم شيء يتقدم عدمه على الإحداث؟ بل لا بد حين الإحداث من المؤثر التام، ثم

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٩١/٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٨٣/٢

كذلك عند حدوث المؤثر التام لا بد له من مؤثر تام، فإذا لم يكن إلا علة تامة أزلية يقارنها معلولها، لزم حدوث الحوادث بلا محدث أصلا.وهذا يدل على أن الرب تعالى يتصف بما به يفعل الحوادث المخلوقة من الأقوال القائمة به الحاصلة بقدرته ومشيئته، (٢) كما قد بسط في موضعه.وهذا التفصيل في الإرادة والقدرة (٣) ، وتقسيمها إلى نوعين، يزيل الاشتباه والاضطراب الحاصل في هذا الباب.وعلى هذا ينبني تكليف ما لا يطاق، فإن (٤) من قال: القدرة لا تكون إلا مع الفعل، يقول: كل كافر وفاسق قد كلف ما لا يطيق (٥) . وليس هذا الإطلاق قول جمهور أهل السنة وأئمتهم، بل يقولون: إن الله تعالى قد أوجب الحج على المستطيع، حج أو لم يحج، وكذلك أوجب صيام الشهرين في الكفارة على المستطيع، كفر أو لم يكفر، وأوجب العبادات على القادرين دون العاجزين، فعلوا أو لم يفعلوا.وما لا يطاق يفسر بشيئين: يفسر بما لا يطاق (٦) للعجز عنه ؛ فهذا لم يكلفه____________(١) ب، أ: مقدم.(٢) م (فقط) : من الأفعال القائمة بقدرته ومشيئته.(٣) ع: الإرادة والمشيئة.(٤) ب، أ: وأن.(٥) ع، ن، م: ما لا يطاق.(٦) ب، أ: يفسر بشيئين ما لا يطاق.." (١)

"القادر المختار يرجح أحد طرفي مقدوره (١) بلا مرجح، وفرقوا بين القادر وغيره كما قالت القدرية، وقد يفرقون (٢) بين فعل الرب وفعل العبد بأن الرب يرجح بمشيئته (٣) القديمة التي هي من لوازم ذاته، بخلاف العبد فإن إرادته حادثة من غيره.ولكن قال أكثر الناس: هؤلاء الذين يقولون إن الإرادة القديمة الأزلية هي المرجحة من غير تجدد شيء قولهم من جنس قولهم، فإن الإرادة نسبتها إلى جميع ما يقدر وقتا للحوادث نسبة واحدة، ونسبتها إلى جميع الممكنات نسبة واحدة، فترجح أحد المتماثلين على الآخر ترجيحا بلا مرجح، وإذا قدر حال الفاعل قبل الفعل وحين الفعل سواء، ثم قدر اختصاص أحد الحالين بالفعل لزم الترجيح بلا مرجح، وهذا منتهى نظر هؤلاء الطوائف.ولهذا كان من لم يعرف كلامهم كالرازي وأمثاله مترددين (٤) بين علة الدهرية وقادر القدرية ومريد الكلابية، (٥) لا يجعلون الرب قادرا في الأزل على الفعل والكلام بمشيئته وقدرته (٦) . ولما كانت الجهمية والقدرية بهذه الحال [لا يجعلون الرب قادرا في الأزل على الفعل والكلام بمشيئته] (٧) جعلت (٨) الفلاسفة الدهرية كابن سينا وأمثاله (٩) هذا (١٠) عمدتهم في امتناع حدوث العالم____________(١) أ، ب: أحد مقدوريه.(٢) أ، ب: القدرية وفرقوا.(٣) ن: مشيئته، وهو خطأ.(٤) ب: ولهذا كان من لم يعرف إلا كلام الرازي وأمثاله مترددا، ولهذا

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٥٢

كان من لم يعرف إلا كلام الرازي وأمثاله متردد.(٥) ساقط من (ع) فقط.(٦) ساقط من (ع) فقط.(٧) ما بين المعقوفتين في (ع) فقط.(٨) ع: جعلته.(٩) ع: وأمثالهم.(١٠) أ، ب: هذه.." [(١)]

"وجود الأفلاك وغيرها، وهذا باطل فإنها موجودة مشهودة عيانا، وهم يسلمون هذا، ويقولون بأنها معلول علة قديمة، وهو موجب بالذات لا يتأخر عنه موجبه.وإذا كان هذا معلوما بالعقل الصريح وهم يوافقون عليه، بل هو أصل قولهم، قيل لهم: فما يستلزم الحوادث يمتنع أن يصدر عن موجب بالذات ؛ لأن الحوادث تحدث شيئا بعد شيء (١) ، وما يحدث شيئا فشيئا لا تكون أجزاؤه قديمة أزلية، فلا تكون صادرة عن موجب بالذات، [فامتنع أن تكون الحوادث صادرة عن موجب بالذات] (٢) ، وامتنع صدور شيء من العالم بدون الحوادث اللازمة له ؛ لأن وجود الملزوم بدون اللازم ممتنع. فتبين أنه يمتنع أن يكون الفلك قديما أزليا، ولا يمكن أن يقال: كان خاليا عن الحوادث في الأزل ثم حدثت فيه ؛ لأنه يقال حينئذ: فلا بد (٣) لتلك الحوادث من سبب، فالقول فيها كالقول في غيرها، فإن جاز أن يحدث بدون سبب حادث، أمكن ذلك في الفلك، وبطلت حجتهم، ولزم من ذلك ترجيح أحد المتماثلين بلا مرجح، وإن كان لا بد لها من سبب لزم التسلسل ودوام الحوادث، وأن الفلك وكل ما سوى الله لم يزل مقارنا للحوادث (٤) ، وكل ممكن قارن الحوادث امتنع أن يكون صادرا عن موجب بالذات، فامتنع أن يكون قديما.ــــــــــــــ(١) ع: لأن الحوادث لا تحدث إلا شيئا بعد شيء.(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) ، (ع) .(٣) ن، ع: لأنه يقال: فحينئذ لا بد.(٤) ن، م، ع: للحادث.." [(٢)]

"والقبح العقليين أنها ليست صفة ثبوتية للأفعال ولا مستلزمة صفة ثبوتية للأفعال، بل هي من الصفات النسبية الإضافية، فالحسن هو المقول فيه: افعله أو لا بأس بفعله، والقبيح هو المقول فيه: لا تفعله (١) .قالوا: وليس لمتعلق القول من القول صفة ثبوتية، وذكروا عن منازعيهم أنهم قالوا: الأحكام صفات ذاتية (٢) للأفعال، ونقضوا ذلك بجواز تبدل أحكام الفعل مع كون الجنس (٣) واحدا.وتحقيق الأمر أن الأحكام للأفعال ليست من الصفات اللازمة، بل [هي] (٤) من العارضة للأفعال بحسب ملاءمتها ومنافرتها، فالحسن والقبح بمعنى كون الشيء محبوبا ومكروها ونافعا وضارا، وملائما ومنافرا. وهذه صفة ثبوتية للموصوف، لكنها تتنوع بتنوع أحواله فليست لازمة له.ومن قال: إن الأفعال ليس فيها صفات تقتضي الحسن والقبح، فهو بمنزلة قوله: ليس في الأجسام صفات تقتضي التسخين والتبريد والإشباع والإرواء،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٢٠/٣

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٢٤/٣

فسلب صفات الأعيان المقتضية للآثار، كسلب صفات الأفعال المقتضية للآثار.وأما جمهور المسلمين الذين يثبتون طبائع الأعيان وصفاتها، فهكذا (٥) ، يثبتون ما في الأفعال من حسن وقبح باعتبار ملاءمتها ومنافرتها، كما__________(١) أ، ن: لا يفعله، م: لا تفعل.(٢) أ، ب: أزلية، وهو تحريف.(٣) ع: الحسن، وهو تحريف.(٤) هي ساقطة من (ن) ، (م) .(٥) م: فكذلك، ب: فإنهم.." (١)

"على قولين [معروفين] . فالأول (١) : قول السلف والجمهور. والثاني: قول ابن كلاب ومن تبعه (٢) .ثم تنازع أتباع ابن كلاب هل القديم الذي لا يتعلق بمشيئته (* وقدرته معنى قائم [بذاته] (٣) ، أو حروف (٤) ، أو حروف وأصوات أزلية؟ على قولين. [كما قد بسط في موضعه] (٥) .وإذا كان كذلك فمن قال: إنه لا يتعلق بمشيئته امتنع أن يقوم به غير *) (٦) ما اتصف به، والصدق عندهم هو العلم أو معنى يستلزمه العلم (٧) . ومعلوم أن علمه من لوازم ذاته، ولوازم العلم من لوازم ذاته، فيكون الصدق من لوازم ذاته (٨) ، فيمتنع اتصافه بنقيضه، فإن لازم الذات القديمة الواجبة بنفسها يمتنع (٩) عدمه كما يمتنع عدمها، فإن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم. وأيضا فالصدق والكذب حينئذ مثل البصر والعمى، والسمع والصمم، والكلام والخرس، وكما وجب أن يتصف بالبصر دون العمى، وبالسمع دون الصمم، وبالكلام دون الخرس (١٠) ، وجب أيضا أن يتصف (١١) بالصدق دون الكذب.__________(١) ن، م: على قولين، الأول.(٢) ن، م: تابعه.(٣) بذاته: ساقطة من (ن) .(٤) عبارة أو حروف ساقطة من (ب) فقط، وفي (ن) : قائم حروف.(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) .(٦) ما بين النجمتين ساقط من (م) .(٧) العلم: ساقطة من (أ) ، (ب) .(٨) ساقط من (أ) ، (ب) وسقطت عبارة " ولوازم العلم من لوازم ذاته " من (ع) .(٩) أ، ب: ممتنع.(١٠) ساقط من (أ) ، (ب) .(١١) وكما وجب أن يتصف ب: فوجب أن يتصف.." (٢)

"وهو (١) باطل، فإنه إذا لم ينته إلى حد الوجوب كان ممكنا فيحتاج إلى مرجح، فما ثم إلا واجب أو ممكن، والممكن يقبل الوجود والعدم.وطائفة ثالثة من القدرية [والجهمية ومن اتبعهم من أصحاب أبي الحسين (٢) وغيرهم من المتكلمين، وطوائف من أصحاب الأئمة الأربعة والشيعة وغيرهم] (٣) يقولون: القادر يرجح بلا مرجح، فيجعلون الإرادة حادثة بلا مرجح لحدوثها، ويجعلون إرادة الله حادثة لا في محل، ويجعلون الفعل معها ممكنا لا واجبا، وهذا من أصولهم التي اضطربوا فيها في مسألة فعل الله، وحدوث

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/١٧٨

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٢٢٣

العالم، وفي مسألة فعل (٤) العبد والقدر.الوجه الخامس: أن يقال: لفظ الموجب (٥) بالذات لفظ فيه إجمال، فإن عني به ما يعنيه الفلاسفة (٦) من أنه علة تامة مستلزمة (٧) للعالم فهذا باطل ؛ لأن العلة التامة تستلزم معلولها، ولو كان العالم معلولا لازما لعلة أزلية لم يكن فيه حوادث، فإن الحوادث لا تحدث (٨) عن علة تامة أزلية، وهذا خلاف المحسوس.____________(١) ن، م: وهذا.(٢) ع: أبي الحسن.(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .(٤) أ، ب: وفي حدوث فعل.(٥) ن، م: فالجواب أن يقال: لفظ الواجب.(٦) أ، ب: ما يعني به الفلاسفة.(٧) أ، ب: مستلزم.(٨) ن، م: لا تخلو.." (١)

"الوجه الثالث أن يقال: إن كان (١) الكلابية والأشعرية إنما قالوا هذا لموافقتهم المعتزلة في الأصل الذي اضطرهم إلى ذلك، فإنهم وافقوهم كما تقدم على صحة دليل حدوث الأجسام، فلزمهم أن يقولوا بحدوث ما لا يخلو عن الحوادث. ثم قالوا: وما يقوم به الحوادث لا يخلو منها.فإذا قيل: الجسم لم يخل عن الحركة والسكون، فإن الجسم إما أن يكون متحركا وإما أن يكون ساكنا.قالوا: والسكون الأزلي يمتنع زواله ؛ لأنه موجود أزلي (٢) وكل موجود أزلي يمتنع زواله، وكل جسم يجوز عليه الحركة، فإذا جاز عليه الحركة وهو (٣) أزلي وجب (٤) أن تكون حركته أزلية، لامتناع زوال السكون الأزلي (٥) ولو جاز أن تكون حركته أزلية (٦) لزم حوادث لا أول لها، وذلك ممتنع، فلزم من ذلك أن الباري لا تقوم به الحوادث ؛ لأنها (٧) لو قامت به لم يخل منها ؛ لأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، لامتناع حوادث لا أول لها.وقد علموا بالأدلة اليقينية أن الكلام يقوم بالمتكلم، كما يقوم العلم____________(١) إن كان: ساقطة من (أ) ، (ب) ، وفي (ن) : إن.(٢) أزلي: ساقطة من (ن) ، (م) .(٣) ن: فهو.(٤) م: لزم.(٥) أ، ب: الأول.(٦) أ، ب: ولو جاز عليه الحركة.(٧) أ: لكنها، ب: لكونه.." (٢)

"أولئك أثبتوا قرآنين: قرآنا قديما، وقرآنا مخلوقا. فأخذ هؤلاء يشنعون على أولئك بإثبات قرآنين.فقال لهم أولئك: فأنتم إذا جعلتم القرآن العربي - وهو قديم - كلام الله، لزم أن يكون مخلوقا، وكنتم موافقين للمعتزلة ؛ فإن قولكم: إن القرآن العربي قديم. ممتنع في صرائح العقول، ولم يقل ذلك أحد من السلف، ونحن وجميع الطوائف ننكر عليكم هذا القول، ونقول: إنكم ابتدعتموه وخالفتم به المعقول والمنقول، وإلا فكيف تكون السين المعينة المسبوقة بالباء المعينة قديمة أزلية (١) ، وتكون الحروف المتعاقبة قديمة،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٢٧٤

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٣٥٤

والصوت (٢) الذي كان في هذا الوقت قديما؟ ! .ولم يقل هذا أحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم، وإن كان بعض المتأخرين من أصحاب مالك والشافعي وأحمد يقولونه، ويقوله ابن سالم وأصحابه (٣) ، وطائفة من أهل الكلام والحديث ؛ فليس في هؤلاء أحد من السلف، وإن كان الشهرستاني ذكر في " نهاية الإقدام " أن هذا قول السلف والحنابلة، فليس هو قول السلف، ولا قول أحمد بن حنبل، ولا أصحابه القدماء، ولا جمهورهم.فصار كثير من هؤلاء الموافقين للسالمية، وأولئك الموافقين للكلابية، بينهم منازعات ومخاصمات، بل وفتن، وأصل ذلك قولهم جميعا: إن__________(١) ن: قديمة وأزلية.(٢) و، ر، ي: أو الصوت.(٣) سبق الكلام عن السالمية ١/١٥٦." (١)

"وما يثبتونه من المجردات المفارقات لا يحصل معهم منه غير النفس الناطقة ؛ فإنها تفارق بدنها. وما سوى ذلك فلا يثبت معهم على طريقهم إلا المجردات المعقولة في الأذهان، وهي الكليات المعقولة، ولكنهم يظنون ثبوت ذلك في الخارج، كما يظن شيعة أفلاطون (١) ثبوت المثل الأفلاطونية في الخارج، فتثبت (٢) كليات قديمة أزلية أبدية مفارقة (٣) كإنسان كلي.وهذا هو غلطهم (٤) ، حيث ظنوا ما هو في الأذهان موجودا في الأعيان، وكذلك ما يثبتونه من الجواهر العقلية، وهي أربعة: العقل، والنفس، والمادة، والصورة، وطائفة منهم كشيعة أفلاطون (٥) تثبت جوهرا عقليا هو الدهر، وجوهرا عقليا هو الخير، وتثبت جوهرا عقليا هو المادة الأولى المعارضة للصورة.وكل هذه العقليات التي يثبتونها إذا حققت غاية التحقيق تبين أنها أمور معقولة في النفس، فيتصورها في نفسه، فهي معقولات في قلبه، وهي مجردة عن جزئياتها الموجودة في الخارج ؛ فإن العقل دائما ينتزع من الأعيان المعينة المشهودة كليات مشتركة عقلية، كما يتصور زيدا وعمرا وبكرا، ثم يتصور إنسانا مشتركا كليا ينطبق على زيد وعمرو وبكر،__________(١) م، ر، و: أفلاطن.(٢) ن، و: فيثبت.(٣) ن، م: مقارنة، وهو خطأ.(٤) ح، ر: وعلى هذا من غلطهم.(٥) ن، م، و، ر: أفلاطن.." (٢)

"والعقل الأول (١) عندهم يمتنع عليه هذا. وقال: " «بك، آخذ، وبك أعطي، وبك الثواب» " وهذا العقل عندهم (* هو رب العالم كله، هو المبدع له كله، وهو معلول الأول، لا يختص به أربعة أعراض، بل هو عندهم *) (٢) مبدع الجواهر كلها: العلوية، والسفلية، والحسية (٣) ، والعقلية.والعقل في لغة المسلمين عرض قائم بغيره وإما قوة في النفس (٤) .وأما مصدر [العقل] (٥) : عقل يعقل عقلا، وأما العاقل فلا

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٢٠/٥

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٤٨/٥

يسمى في لغتهم العقل.وهؤلاء في اصطلاحهم العقل جوهر قائم بنفسه. وقد بسطنا الكلام على هذا، وبينا حقيقة أمرهم بالمعقول والمنقول، وأن ما يثبتونه من المفارقات عند التحقيق لا يرجع إلا إلى أمر وجودها في الأذهان لا في الأعيان، إلا النفس الناطقة، وقد أخطئوا في بعض صفاتها (٦) .وهؤلاء قولهم: إن العالم معلول علة قديمة أزلية واجبة الوجود، وإن العالم لازم لها، لكن حقيقة قولهم: إنه علة غائية، وإن الأفلاك تتحرك حركة إرادية شوقية للتشبه به، وهو محرك لها، كما يحرك__________(١) الأول: ساقطة من (س) ، (ب) .(٢) : ما بين النجمتين ساقط من (م) .(٣) ن، م: الحسية.(٤) ب: إما قوة النفس، وهو خطأ.(٥) العقل: ساقطة من (ن) ، (م) .(٦) انظر في هذا: الرسالة " السبعينية " لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى الكبرى، نشره فرج الله الكردي، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، ١٣٢٩. وانظر كتابي: مقارنة بين الغزالي وابن تيمية، ط. دار القلم، الكويت، ١٣٩٥ ١٩٧٥.." (١)

"مكتسبة، وهؤلاء يقولون (١) : إن النبوة عبارة عن ثلاث صفات، من حصلت له فهو نبي: أن يكون له قوة قدسية حدسية ينال بها العلم بلا تعلم، وأن تكون نفسه قوية لها تأثير في هيولى العالم، وأن يكون له قوة يتخيل بها ما يعقله، ومرئيا في نفسه، ومسموعا في نفسه.هذا كلام ابن سينا وأمثاله في النبوة، وعنه أخذ ذلك الغزالي في كتبه " المضنون بها على غير أهلها ".وهذا القدر الذي ذكروه يحصل لخلق كثير من آحاد الناس ومن المؤمنين، وليس هو من أفضل عموم المؤمنين، فضلا عن كونه نبيا، كما بسط في موضعه.وهؤلاء قالوا هذا لما احتاجوا إلى الكلام (٢) في النبوة على أصول سلفهم الدهرية، القائلين بأن الأفلاك قديمة أزلية، لا مفعولة لفاعل بقدرته واختياره، وأنكروا علمه بالجزئيات، ونحو ذلك من أصولهم الفاسدة ؛ فتكلم هؤلاء في النبوة على أصول أولئك.وأما القدماء - أرسطو وأمثاله - فليس لهم في النبوة كلام محصل. والواحد (٣) من هؤلاء يطلب أن يصير نبيا، كما كان السهروردي المقتول يطلب أن يصير نبيا، وكان قد جمع بين النظر والتأله، وسلك نحوا من مسلك الباطنية، وجمع بين فلسفة الفرس واليونان، وعظم أمر الأنوار، وقرب دين المجوس الأول، وهي نسخة الباطنية الإسماعيلية، وكان له__________(١) س، ب: ويقولون. .(٢) س، ب: في الكلام.(٣) ن، س، ب: فالواحد.." (٢)

"مشفقون﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨] ، فزعموا أن قوله - سبحانه - ليس تنزيها له عن اتخاذ الولد - بناء على أصلهم الفاسد، وهو أن الرب لا ينزه عن فعل من الأفعال - بل يجوز عليه كل ما يقدر عليه.وكذلك جعلوا

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٧/٨

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٤/٨

قول الأوزاعي وغيره: أن النزول ليس بفعل يشاؤه الله؛ لأنه عندهم من صفات الذات لا من صفات الفعل، بناء على أصلهم، وأن الأفعال الاختيارية لا تقوم بذات الله؛ فلو كان صفة فعل لزم ألا يقوم بذاته، بل يكون منفصلا عنه.وهؤلاء يقولون: النزول من صفات الذات، ومع هذا فهو عندهم أزلي كما يقولون مثل ذلك في الاستواء، والمجيء، والإتيان، والرضا، والغضب، والفرح، والضحك، وسائر ذلك: إن هذا جميعه صفات ذاتية لله، وإنها قديمة أزلية، لا تتعلق بمشيئته واختياره؛ بناء على أصلهم الذي وافقوا فيه ابن كلاب، وهو أن الرب لا يقوم بذاته ما يتعلق بمشيئته واختياره، بل من هؤلاء من يقول: إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا يقوم به فعل يحدث بمشيئته واختياره.بل من هؤلاء من يقول: إن الفعل قديم أزلي، وإنه مع ذلك يتعلق بمشيئته وقدرته، وأكثر العقلاء يقولون: فساد هذا معلوم بضرورة العقل؛ كما قالوا مثل ذلك في قول من قال من المتفلسفة: إن الفلك قديم أزلي، وأنه أبدعه بقدرته ومشيئته.وجمهور العقلاء يقولون: الشيء المعين من الأعيان والصفات إذا كان حاصلا بمشيئة الرب وقدرته لم يكن أزليا.فلما كان من أصل ابن كلاب ومن وافقه، كالحارث المحاسبي، وأبي العباس القلانسي، وأبي الحسن الأشعري، والقضاة أبي بكر بن الطيب، وأبي يعلى بن الفراء، وأبي جعفر السماني، وأبي الوليد الباجي وغيرهم من الأعيان، كأبي المعالي الجويني وأمثاله؛ وأبي الوفاء بن عقيل، وأبي الحسن بن الزاغوني وأمثالهما: أن الرب لا يقوم به ما يكون بمشيئته وقدرته، ويعبرون عن هذا بأنه لا تحله الحوادث، ووافقوا في ذلك للجهم ابن صفوان، وأتباعه من الجهمية والمعتزلة، صاروا فيما ورد في الكتاب والسنة من صفات الرب، على أحد قولين:إما أن يجعلوها كلها مخلوقات منفصلة عنه. فيقولون: كلام الله مخلوق بائن عنه، لا يقوم به." (١)

"كلام. وكذلك رضاه، وغضبه، وفرحه، ومجيئه وإتيانه، ونزوله وغير ذلك، هو مخلوق منفصل عنه، لا يتصف الرب بشيء يقوم به عندهم.وإذا قالوا: هذه الأمور من صفات الفعل، فمعناه: أنها منفصلة عن الله بائنة، وهي مضافة إليه، لا أنها صفات قائمة به.ولهذا يقول كثير منهم: إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول: آيات الصفات وأحاديث الصفات.وإما أن يجعلوا جميع هذه المعاني قديمة أزلية، ويقولون: نزوله ومجيئه، وإتيانه وفرحه، وغضبه ورضاه، ونحو ذلك: قديم أزلي، كما يقولون: إن القرآن قديم أزلي.ثم منهم من يجعله معنى واحدا، ومنهم من يجعله حروفا، أو حروفا وأصواتا قديمة أزلية، مع كونه مرتبا في نفسه. ويقولون: فرق بين ترتيب وجوده، وترتيب ماهيته، كما قد بسطنا الكلام على هذه الأمور في غير هذا الموضع على هذه الأقوال وقائليها، وأدلتها السمعية والعقلية في

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/٦٣

غير هذا الموضع.والمقصود هنا: أنه ليس شيء من هذه الأقوال قول الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا قول أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة ـ أئمة السنة والجماعة وأهل الحديث ـ كالأوزاعي، ومالك بن أنس، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وعبد الله بن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأمثالهم ـ بل أقوال السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ومن سلك سبيلهم من أئمة الدين، وعلماء المسلمين، موجودة في الكتب التي ينقل فيها أقوالهم بألفاظها، بالأسانيد المعروفة عنهم.كما يوجد ذلك في كتب كثيرة، مثل كتاب [السنة] و [الرد على الجهمية] لمحمد بن عبد الله الجعفي، شيخ البخاري؛ ولأبي داود السجستاني، ولعبد الله بن أحمد بن حنبل، ولأبي بكر الأثرم، ولحنبل بن إسحاق، ولحرب الكرماني، ولعثمان بن سعيد الدارمي، ولنعيم بن حماد الخزاعي، ولأبي بكر الخلال، ولأبي بكر بن خزيمة، ولعبد الرحمن بن أبي حاتم، ولأبي القاسم الطبراني، ولأبي الشيخ الأصبهاني، ولأبي عبد الله بن منده، ولأبي عمرو الطلمنكي، وأبي عمر بن عبد البر.." (١)

"وسواء قام به أو لم يقم به، يفتقر ذلك الخلق إلى خلق آخر، ويلزم التسلسل، هذا عمدتهم.وجواب السلف والجمهورعنها بمنع مقدماتها، كل طائفة تمنع مقدمة، ويلزمهم ذلك إلزاما لا محيد لهم عنه.أما الأولى: فقولهم: لو كان قديما لزم قدم المخلوق، يمنعهم ذلك من يقول: بأن الخلق فعل قديم يقوم بالخالق، والمخلوق محدث، كما يقول ذلك من يقوله من الكلابية والحنفية والحنبلية والشافعية والمالكية والصوفية وأهل الحديث، وقالوا: أنتم وافقتمونا على أن إرادته قديمة **أزلية** مع تأخر المراد، كذلك الخلق هو قديم أزلي وإن كان المخلوق متأخرا. ومهما قلتموه في الإرادة ألزمناكم نظيره في الخلق.وهذا جواب إلزامي جدلي لا حيلة لهم فيه.وأما المقدمة الثانية: وهي قولهم: لوكان حادثا قائما بالرب، لزم قيام الحوادث وهو ممتنع، فقد منعهم ذلك السلف وأئمة أهل الحديث، وأساطين الفلاسفة وكثير من متقدميهم ومتأخريهم، وكثير من أهل الكلام، كالهشامية والكرامية، وقالوا: لا نسلم انتفاء اللازم، وسيأتي الكلام إن شاء الله ـ تعالى ـ على ذلك في [الأصل الثاني] .وأماالثالث: فقولهم: إن لم تقم به فهو محال، فهذا لم يمنعهم إياه إلا طوائف من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، فمنهم من قال: بل الخلق يقوم بالمخلوق، ومنهم من يقول: بل الخلق ليس في محل، كما تقول المعتزلة البصريون: فعل بإرادة لا في محل، وهذا ممتنع لا أعرفه عن أحد من السلف وأهل الحديث والفقهاء والصوفية والفلاسفة.وأما المقدمة الرابعة وهي قولهم: الخلق الحادث يفتقر

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/٦٤

إلى خلق آخر، فقد منعهم من ذلك عامة من يقول بخلق حادث من أهل الحديث والكلام والفلسفة والفقه والتصوف وغيرهم، كأبي معاذ التومني، وزهير الإبرى، والهشامية، والكرامية، وداود بن على." (١)

"فإن حقيقة قولهم ـ إن الرب لم يكن قادرا، ولا كان الكلام والفعل ممكنا له، ولم يزل كذلك دائما مدة، أو تقدير مدة لا نهاية لها، ثم إنه تكلم وفعل من غير سبب اقتضى ذلك، وجعلوا مفعوله هو فعله، وجعلوا فعله وإرادة فعله قديمة أزلية والمفعول متأخرا، وجعلوا القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح ـ وكل هذا خلاف المعقول الصريح وخلاف الكتاب والسنة، وأنكروا صفاته ورؤيته، وقالوا: كلامه مخلوق، وهو خلاف دين الإسلام.والذين اتبعوهم وأثبتوا الصفات قالوا: يريد جميع المرادات بإرادة واحدة، وكل كلام تكلم به أو يتكلم به إنما هو شيء واحد لا يتعدد ولا يتبعض، وإذا رؤى رؤى لابمواجهة، ولا بمعاينة، وإنه لم يسمع ولم ير الأشياء حتى وجدت، ثم لما وجدت لم يقم به أمر موجود، بل حاله قبل أن يسمع ويبصر كحاله بعد ذلك، إلى أمثال هذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح والمنقول الصحيح.ثم لما رأت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء، وأن هذا هو الإسلام الذي عليه هؤلاء، وعلموا فساد هذا ـ أظهروا قولهم بقدم العالم، واحتجوا بأن تجدد الفعل بعد أن لم يكن ممتنع، بل لابد لكل متجدد من سبب حادث، وليس هناك سبب، فيكون الفعل دائما، ثم ادعوا دعوى كاذبة لم يحسن أولئك أن يبينوا فسادها وهو: أنه إذا كان دائما، لزم قدم الأفلاك والعناصر.ثم إنهم لما أرادوا تقرير [النبوة] جعلوها فيضا يفيض على نفس النبي من العقل الفعال أو غيره، من غير أن يكون رب العالمين يعلم له رسولا معينا، ولا يميز بين موسى وعيسى ومحمد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ ولا يعلم الجزئيات، ولا نزل من عنده ملك، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي أو هو العقل الفعال، وأنكروا أن تكون السموات والأرض خلقت في ستة أيام، وأن السموات تنشق وتنفطر، وغير ذلك مما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم.وزعموا أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إنما أراد به خطاب الجمهور، مما يخيل إليهم بما ينتفعون." (٢)

"حيث قالوا: إن الأفلاك قديمة أزلية وهي مع ذلك ممكنة، وكذلك ما فيها من الكواكب والنيرين. قالوا: فقول إبراهيم: ﴿لا أحب الآفلين﴾ أي: لا أحب الممكن المعلول وإن كان قديما أزليا. وأين في لفظ الأفول ما يدل على هذا المعنى؟ ولكن هذا شأن المحرفين للكلم عن مواضعه.وجاء بعدهم من جنس من زاد في التحريف فقال: المراد بـ[الكواكب والشمس والقمر] هوالنفس والعقل الفعال والعقل الأول. وقد ذكر

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٥٣

(٢) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٦٤

ذلك أبوحامد الغزالي في بعض كتبه، وحكاه عن غيره في بعضها، وقال هؤلاء: الكواكب والشمس والقمر لا يخفي على عاقل أنها ليست رب العالمين، بخلاف النفس والعقل.ودلالة لفظ الكواكب والشمس والقمر على هذه المعاني لو كانت موجودةمن عجائب تحريفات الملاحدة الباطنية، كما يتأولون العلميات مع العمليات، ويقولون: الصلوات الخمس معرفة أسرارنا، وصيام رمضان كتمان أسرارنا، والحج هو الزيارة لشيوخنا المقدسين. وفتح لهم هذا الباب [الجهمية] و [الرافضة] حيث صار بعضهم يقول: الإمام المبين: علي بن أبي طالب، والشجرة الملعونة في القرآن: بنو أمية، والبقرة المأمور بذبحها: عائشة، واللؤلؤ والمرجان: الحسن والحسين.وقد شاركهم في نحو هذه التحريفات طائفة من الصوفية وبعض المفسرين، كالذين يقولون: ﴿والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين﴾ [التين: ١-٣] ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ـ رضي الله عنهم ـ وكذلك قوله: ﴿كزرع أخرج شطأه﴾ أبو بكر ﴿فآزره﴾ عمر ﴿فاستغلظ﴾ هو عثمان ﴿فاستوى على سوقه﴾ [الفتح: ٢٩] هو علي، وقول بعض الصوفية: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه: ٢٤] هو القلب ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ [البقرة: ٦٧] هي: النفس. وأمثال هذه التحريفات. لكن منها مايكون معناه صحيحا، وإن لم يكن هو المراد باللفظ، وهو." (١)

"وكان أبو الحسن الأشعري لما رجع عن الاعتزال، سلك طريقة أبي محمد بن كلاب، فصار طائفة ينتسبون إلى السنة والحديث من السالمية وغيرهم كأبي علي الأهوازي، يذكرون في مثالب أبي الحسن أشياء هي من افتراء المعتزلة وغيرهم عليه؛ لأن الأشعري بين من تناقض أقوال المعتزلة وفسادها مالم يبينه غيره، حتى جعلهم في قمع السمسمة.وابن كلاب لما رد على الجهمية، لم يهتد لفساد أصل الكلام المحدث الذي ابتدعوه في دين الإسلام، بل وافقهم عليه. وهؤلاء الذين يذمون ابن كلاب والأشعري بالباطل هم من أهل الحديث. والسالمية من الحنبلية والشافعية والمالكية وغيرهم كثير منهم موافق لابن كلاب والأشعرى على هذا، موافق للجهمية على أصل قولهم الذي ابتدعوه. وهم إذا تكلموا في [مسألة القرآن] وأنه غير مخلوق، أخذوا كلام ابن كلاب والأشعري فناظروا به المعتزلة والجهمية، وأخذوا كلام الجهمية والمعتزلة فناظروا به هؤلاء، وركبوا قولا محدثا من قول هؤلاء وهؤلاء لم يذهب إليه أحد من السلف، ووافقوا ابن كلاب والأشعري وغيرهما على قولهم: إن القرآن قديم، واحتجوا بما ذكره هؤلاء على فساد قول المعتزلة والجهمية وغيرهم، وهم مع هؤلاء. وجمهور المسلمين يقولون: إن القرآن العربي كلام الله، وقد تكلم الله به بحرف وصوت، فقالوا: إن الحروف والأصوات قديمة الأعيان، أو الحروف بلا أصوات، وأن [الباء والسين

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٦٨

والميم] مع تعاقبها في ذاتها فهي أزلية الأعيان لم تزل ولا تزال؛ كما بسطت الكلام على أقوال الناس في القرآن في موضع آخر.والمقصود هنا التنبيه على أصل مقالات الطوائف، وابن كلاب أحدث ما أحدثه لما اضطره إلى ذلك من دخول أصل كلام الجهمية في قلبه، وقد بين فساد قولهم بنفي علو الله ونفي صفاته. وصنف كتبا كثيرة في أصل التوحيد والصفات، وبين أدلة كثيرة عقلية على فساد قول الجهمية، وبين فيها أن علو الله على خلقه، ومباينته لهم، من المعلوم بالفطرة والأدلة العقلية القياسية، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.وكذلك ذكرها الحارث." (١)

"وقد ذكر القاضي أبو بكر بن الباقلاني وغيره من كشف أسرار الباطنية، وهتك أستارهم، فإنه كان منهم من النفاة الباطنية الخرمية، وصاروا يحتجون في كلامهم وكتبهم بحجج قد ذكرها أرسطو وأتباعه من الفلاسفة، وهو أن الحركة يمتنع أن يكون لها ابتداء، ويمتنع أن يكون للزمان ابتداء، ويمتنع أن يصير الفاعل فاعلا بعد أن لم يكن فاعلا، فصار هؤلاء الفلاسفة وهؤلاء المتكلمون كلاهما يستدل على قوله بالحركة.

فأرسطو وأتباعه يقولون: إن الحركة يمتنع أن يحدث نوعها بعد أن لم يكن، ويمتنع أن يصير الفاعل فاعلا بعد أن لم يكن؛ ولأنه من المعلوم بصريح المعقول أن الذات إذا كانت لا تفعل شيئا ثم فعلت بعد أن لم تفعل، فلا بد من حدوث حادث من الحوادث، وإلا فإذا قدرت على حالها وكانت لا تفعل، فهي الآن لا تفعل، فإذا كانت الآن تفعل، لزم دوام فعلها.

ويقولون: [قبل وبعد] مستلزم للزمان، فمن قال بحدوث الزمان لزمه القول بقدمه من حيث هو قائل بحدوثه.

ويقولون: الزمان مقدار الحركة فيلزم من قدمه قدمها، ويلزم من قدم الحركة قدم المتحرك. وهو الجسم. فيلزم ثبوت جسم قديم، ثم يجعلون ذلك الجسم القديم هو الفلك، ولكن ليس لهم على هذا حجة، كما قد بسط في موضع آخر.

وصار المتكلمون من الجهمية والمعتزلة والكلابية والكرامية يردون عليهم، ويدعون أن القادر المختار يرجح أحد المقدورين المتماثلين على الآخر المماثل له بلا سبب أصلا، وعلى هذا الأصل بنوا كون الله خالقا للمخلوقات.

ثم نفاة الصفات يقولون: رجح بمجرد القدرة، وكذلك أصل القدرية، والمعتزلة جمعت بين الأمرين. وأما المثبتة كالكلابية والكرامية فيدعون أنه رجح بمشيئة قديمة أزلية. وكلا القولين مما ينكره جمهور العقلاء. ولهذا صار كثير من المصنفين في هذا الباب، كالرازي، ومن قبله من أئمة الكلام والفلسفة. كالشهرستاني

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٧٢

ومن قبله من طوائف الكلام والفلسفة _ لا يوجد عندهم إلا العلة الفلسفية، أو القادرية المعتزلية أو الإرادية الكلابية، وكل." (١)

"وهذه العلة التي اعتل بها هشام في العلم أخذها عن بعض **الأزلية** لأن بعض **الأزلية** يثبت قدم الأشياء مع بارئها وقالوا: قولنا لم يزل الله عالماً بالأشياء يوجب أن تكون الأشياء لم تزل فلذلك قلنا بقدمها، فقال الفوطي: لما استحال قدم الأشياء لم يجز أن يقال لم يزل عالماً بها، وكان لا يثبت لله علماً ولا قدرة ولا حياة ولا سمعاً ولا بصراً ولا شيئاً من صفات الذات.وأنكر أكثر الروافض أن يكون الله سبحانه لم يزل عالماً وكانت أقيس لقولها من الفوطي فقالت بحدث العلم.وقالت عامة الروافض إلا شرذمة قليلة أن الله سبحانه لا يعلم ما يكون قبل أن يكون.وفريق منهم يقولون: لا يعلم الشيء حتى يؤثر أثره والتأثير عندهم الإرادة فإذا أراد الشيء علمه وإذا لم يرده لم يعلمه، ومعنى أنه أراد عندهم تحرك حركة فإذا تحرك تلك الحركة علم الشيء وإلا لم يجز الوصف له بأنه عالم به، وزعموا أنه لا يوصف بالعلم بما لا يكون.وفريق منهم يقولون: لا يعلم الله الشيء حتى يحدث له إرادة فإذا." (٢)

"المطلب السادس في أن لله تعالى صفات ثبوتية **أزلية**ذهبت الرافضة إلى أن ليس لله تعالى صفة، فلا حياة له ولا قدرة ولا علم ولا سمع ولا بصر، بل هو حي لا حياة له، وقادر لا قدرة له، وعالم لا علم له، وسميع لا سمع له، وبصير لا بصر له. وهو باطل.والحق ما ذهب إليه أهل السنة من أن له سبحانه صفات **أزلية** ثبوتية، وهي العلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والإرادة والكلام، وزادت الحنفية التكوين، والأشعرية البقاء. فإن النصوص دالة على وجود العلم والقدرة لقوله سبحانه: ﴿أنزله بعلمه﴾، ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾، ﴿إنما أنزل بعلم الله﴾، ﴿أن القوة لله﴾، ﴿هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ ولأن كل من هو عالم فله علم، إذ لا يعقل من العالم إلا ذلك، وكذا القادر وغيره.واحتجت الرافضة على مدعاهم بأنه لو كان له صفة فلا يخلو إما أن تكون قديمة أو حادثة؛ فعلى الأول يلزم تعدد القدماء، وهو ينافي التوحيد، وقد كفرت النصارى القائلين بتعدد القدماء، وعلى الثاني يلزم قيام الحوادث بذاته تعالى، وخلوه في الأزل من صفات الكمال. والجواب أن تعدد القدماء إنما ينافي التوحيد لو كانت ذواتا قديمة مستقلة بالألوهية، وله صفات وقدمها لقدم الذات، فلا ينافي التوحيد. وإن ما كفرت النصارى لأنهم افترقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة: إن الله هو المسيح بن مريم، وقالت فرقة: الآلهة ثلاثة، وقالت فرقة: الإله اثنان، كما نص عليه الكتاب

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٧٤

(٢) مقالات الإسلاميين ت ريتر، أبو الحسن الأشعري ص/٤٨٩

العزيز، ثم بعد ظهور الملة الحنيفية اتفقوا على أن الله تعالى هو جوهر واحد له أقانيم ثلاثة، يعنون بها الصفات، وهي الوجود والعلم والحياة، المعبر عنها بالأب والابن وروح القدس، ومثلوه بالسراج، وأن أقنوم العلم اتحد بجسد عيسى، وتدرعت بناسوته، ثم افترقوا على." (١)

"المطلب السابع في أن صفات الله تعالى قديمةذهبت الزرارية وبكير بن أعين وسليمان الجعفري ومحمد بن مسلم من عيون الإمامية ورواة شطر من أخبارهم وغيرهم إلى أن علمه تعالى وسمعه وبصره حادث. قال زرارة بن أعين: "لم يكن الله تعالى عالما في الأزل ولا سميعا ولا بصيرا حتى خلق لنفسه علما وسمعا وبصرا". وهو باطل.والحق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وغيرهم من الفرق الإسلامية من أن صفاته تعالى كلها أزلية، لأن كل ما يتصف به سبحانه يلزم أن يكون صفة كمال، لامتناع اتصافه تعالى بصفة النقص بالاتفاق، فلو كانت حادثة لكان سبحانه خاليا عنها في الأزل، والخلو عن صفة الكمال مع جواز الاتصاف بها نقص، ولا يجوز الاتصاف حال الخلو بكمال يكون زواله شرطا لحدوث هذا الكمال بأن يتصف دائما بنوع كمال تتعاقب أفراده من غير بداية ولا نهاية، لأنه على هذا لا يخلو الواجب عن الحادث في الأزل فيكون ناقصا، ولأن الحوادث المتعاقبة في الوجود الغير المتناهية ممتنعة، كما يدل عليه برهان التطبيق، ولأنه لا يخلو إما أن يكون كل من الصفات عين ذاته تعالى، أو مغايرة، أو لا عينه ولا غيره، فعلى الأول يلزم قدمها لقدم ذاته، وعلى الثاني والثالث فلا يخلو إما أن تكون واجبة لذاتها، أو ممكنة لذاتها، فإن كان الأول لزم قدمها لوجوب قدم الواجب، وإن كان الثاني فلابد لها من مؤثر، والمؤثر إما ذاته تعالى، أو غيره، والثاني محال لاستحالة احتياج الواجب إلى الغير، وإن كان الأول فلا يخلو إما أن يكون الله تعالى مؤثرا فيها بلا شرط، فيلزم قدمها لأنها عند قدم العلة التامة يلزم قدم المعلول، وإما أن يكون مؤثرا فيها بشرط قديم أو حادث، فعلى الأول يلزم قدم الصفة، وعلى الثاني يلزم التسلسل، وهو باطل؛ فثبت المطلوب. ولأنه روى الكليني عن أبي جعفر أنه قال: "كان الله ولا شيء غيره، ولم يزل عالما"،." (٢)

"المطلب الحادي عشر في أنه تعالى يتكلم والكلام صفة من صفاتهذهبت الكيسانية والزيدية والإمامية إلى أن كلامه تعالى مخلوق، لأنه كلام منتظم من الحروف المسموعة التي خلقها في جبريل أو النبي أو اللوح المحفوظ. وهو باطل.والحق ما ذهب إليه أهل السنة من أنه صفة أزلية قائمة بذاته تعالى غير مخلوقة، كسائر الصفات الثبوتية، منافية للسكوت والآفة والخرس وغير ذلك، وليست من جنس الحروف،

---

(١) السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة، الألوسي، محمود شكري ص/٣٤٩

(٢) السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة، الألوسي، محمود شكري ص/٣٥٢

والأصوات، والله تعالى متكلم بها، وهو كلام نفساني، وهذه العبارات دالة عليه، وتسمى العبارات كلامه أيضا على معنى أنها عبارات عن كلامه، وهو يتأدى بها، والاختلاف على العبارات دون المسمى على ما ذهب إليه الأشعرية، لأن معنى المتكلم لغة وعرفا من قام به الكلام، لا من أوجده، للقطع بأن موجد الحركة في جسم آخر لا يسمى متحركا، وقد أجمع المليون على أنه تعالى متكلم. والكلام القائم بذاته تعالى لا يكون هو اللفظي، عرى ما ذهبت إليه الأشعرية، فتعين أنه معنوي، وذلك ظاهر. ومن أنكر تعقل النفساني فهو من آفته. ولأنه إذا ثبت أنه تعالى متكلم لزم أن يكون الكلام صفة له، لأنه لا يشتق الفاعل لشيء باعتبار فعل غيره بالاستقراء.واحتج من خالف أهل الحق بأنه قد علم من الدين بالضرورة أن القرآن كلام منتظم مؤلف من حروف مسموعة مفتتح بالتسمية مختتم بالاستعاذة، ولقوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾، ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾، ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ والمسموع هو الكلام المؤلف من الحروف.والجواب أن لفظ القرآن يطلق بطريق الاشتراك على المؤلف الحادث، وهو المتعارف." (١)

"الفصل السادس عشر في أن النسخ من وظائف الشارعذهبت الاثنا عشرية وجمهور الإمامية إلى أن بعض الأحكام ينسخه خاتم الأئمة. وذهبت الحميرية إلى أن الإمام يجوز له أن ينسخ الأحكام كلها.واحتجوا على ذلك بما رواه محمد بن بابويه القمي عن أبي عبد الله أنه قال: "إن الله تبارك وتعالى آخى بين الأرواح في الأزل قبل أن يخلق الأجساد بألفي عام، فلو قد قام قائم أهل البيت ورث الأخ من الذين آخى بينهما في الأزل ولم يورث الأخ من الولادة".والجواب أن هذه الرواية كذب وافتراء. ومما يدل على ذلك أن التكاليف الشرعية لما كانت لازمة لعامة الناس لا بد أن تكون منوطة بالعلامة الظاهرة والأمور الجلية، كالتوالد والقرابة ونحوهما مما يدركه البشر، والمؤاخاة **الأزلية** لا يدركها العقل. ونص الإمام لا يمكن في كل فرد فرد.والحاصل أن قولهم هذا مخالف لظاهر العقل، لأن الإمام خليفة النبي في ترويج الشريعة وتعليمها، فإن كان له دخل في تبديل الأحكام وتغييرها فقد خالفه مع أنه ليس بشارع، وكذا النبي – صلى الله عليه وسلم – لقوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ فالناسخ هو الله تعالى، ولا يجوز لنبي ولا رسول أن ينسخ حكما فضلا عن الإمام. ونسأل الله تعالى التوفيق، نعم المولى ونعم الرفيق.." (٢)

---

(١) السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة، الألوسي، محمود شكري ص/٣٥٨

(٢) السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة، الألوسي، محمود شكري ص/٤٣٥

". . . . . ._____________= وقال في موضع آخر: "حدثني زيد بن أخزم الطائي قال: أنا أبو داود، قال: نا قرة بن خالد عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب: كم كانوا في بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مئة، قال: قلت: فإن جابر بن عبد الله قال: كانوا أربع عشرة مئة. قال: أوهم رحمه الله، هو الذي حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مئة، فكيف يجوز أن يرضى الله -عز وجل- عن أقوام، ويحمدهم، ويضرب لهم مثلًا في التوراة والإنجيل، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا أن يقولوا: إنه لم يعلم، وهذا هو شر الكافرين". اهـ. من "تأويل مختلف الحديث" ص (١٥٨، ١٥٩).قال الله مخبرًا عن رضاه عن الذين بايعوا يعة الرضوان: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].وقال -صلى الله عليه وسلم-: "لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها". رواه مسلم (٤/ ١٩٤٢). قال ابن تيمية -رحمه الله-: "وقد علم بالاضطرار أنه كان في هؤلاء السابقين الأولين: أبو بكر، وعمر، وعلي، وطلحة، والزبير، وبايع النبي - صلى الله عليه وسلم - بيده عن عثمان لأنه كان غائبًا قد أرسله إلى أهل مكة ليبلغهم رسالته، وبسببه بايع النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس لما بلغه أنهم قتلوه". اهـ. من "منهاج السنة" (٢/ ٢٧).وروى الشيعة عن أبي جعفر الباقر أن عدد الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة كان ألفًا ومائتين -وفي رواية- ألفًا وثلاثمائة.ولكن رغم تسليم الاثنى عشرية لهذه النصوص، فإنهم يرون أن الرضا الذي وقع في بيعة الرضوان، والمغفرة العامة لأهل بدر كلها مشروطة بسلامة العاقبة وعدم النكث.وترد عليهم المناظرة التي جرت بين إمامهم الخامس أبي جعفر الباقر وأحد الخوارج، فإن الباقر احتج على الخارجي بأحاديث في فضائل علي، والخارجي ردها بقوله: "أحدث الكفر بعدها"، فقال له أبو جعفر: "ثكلتك أمك، أخبرني عن الله أحب عليَّ بنَ أبي طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟ قال: لئن قلت: "لا" كفرت. قال: فقال: "قد علم"، قال: "فأحبه الله على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته؟ " فقال: "على أن يعمل بطاعته"، فقال له أبو جعفر: "فقم مخصومًا". اهـ. من "الروضة من الكافي" للكيلي ص (٤٢١).وكذلك الصحابة -رضي الله عنهم- قد أخبر الله بأنه رضي عنهم، وأمر بالاستغفار لهم، والرضا من الله صفة أزلية لا أول لها، وهو سبحانه لا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى، ومن رضي اللهُ عنه لا يسخط عليه أبدًا، وخبر الله لا يُنسخ ولا يُبدل، ولا يجوز أن يتناقض أبدًا، ومن دفع خبر الله برأيه ونظره كان ملحدًا، انظر: "درء تعارض العقل والنقل" (٥/ ٢٠٨)].

اهـ. بتصرف من "موسوعة الدفاع عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم" للدكتور عبد القادر ابن محمد عطا صوفي ص (١٩١ - ٢٠٠).." (١)

"يؤدي إلى التمثيل والتشبيه عند أهل الجهل والزيغ، ووجوب الإيمان بالله عز وجل بأسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه وأخبر عنه رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وأن أسامي الخلق وصفاتهم وافقتها في الاسم وباينتها في جميع المعاني، بحدوث خلقه وفنائهم، وأزلية الخالق وبقائه، وبما أظهر من صفاته، ومنع استدراك كيفيتها، فقال الله عز وجل: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ الشورى١١.) (١) اهـ.ولا أظن كلامه يحتاج إلى توضيح، فهو أوضح من أن يوضح.- الشيخ الإمام الحافظ أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجزي (٤٤٤ هـ)قال في رسالته إلى أهل زبيد: (الفصل الثامن: في بيان أن الذي يزعمون بشاعته من قولنا في الصفات ليس على ما زعموه، ومع ذلك فلازم لهم في إثبات الذات مثل ما يلزمون أصحابنا في الصفات.وقد زعموا أن أصحاب الحديث يعتقدون ما في الأحاديث من ذكر الصفات على ظاهرها ويثبتون لله سبحانه الكف وال أصابع والضحك والنزول وأنه في السماء فوق العرش وهذه من صفات الأجسام حتى قال بعض سقاطهم "ما بين شيوخ الحنابلة، وبين اليهود إلا خصلة واحدة".__________(١) التوحيد (٣/ ٧ - ٩).." (٢)

"فلم يسأله - صلى الله عليه وسلم - أحد من العرب بأسرهم قرويهم وبدويهم عن معنى شيء من ذلك، كما كانوا يسألونه - صلى الله عليه وسلم - عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج، وغير ذلك مما لله فيه سبحانه أمر وتهي، وكما سألوه - صلى الله عليه وسلم - عن أحوال القيامة والجنة والنار، إذ لو سأله إنسان منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنقل، كما نقلت الأحاديث الواردة عنه - صلى الله عليه وسلم - في أحكام الحلال والحرام، وفي الترغيب والترهيب، وأحوال القيامة، والملاحم والفتن، ونحو ذلك، مما تضمنته كتب الحديث، معاجمها ومسانيدها وجوامعها.ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية علم أنه يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة - رضي الله عنهم - على اختلاف طبقاتهم، كثرة عددهم أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه - صلى الله عليه وسلم -، بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات.نعم، ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو

---

(١) أصول بلا أصول، محمد إسماعيل المقدم ص/٦٠

(٢) الأشاعرة في ميزان أهل السنة، فيصل الجاسم ١/٢٠٧

صفة فعل، وإنما أثبتوا له تعالى صفات **أزلية**، من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعز والعظمة، وساقوا الكلام سوقا واحدا، وهكذا أثبتوا – رضي الله عنهم – ما أطلقه سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك، مع نفي مماثلة المخلوقين.." (١)

"ووصف نفسه بالعلم والقدرة والرحمة، ومنحها عباده للمعرفة عند الوجود فيهم، والنكرة عند وجود المضاد فيهم، فجعل ضد العلم في خلقه الجهل، وضد القدرة العجز، وضد الرحمة القسوة، فهي موجودة في الخلق غير جائزة على الخالق، فوافقت الأسماء وباينت المعاني من كل الجهات، ووصف الله عز وجل نفسه بالعلم، وأنه يعلم كل شيء من كل الجهات، لم يزل ولا يزال موصوفا بالعلم غير معلم، باق غير فان، والعبد مضطر إلى أن يتعلم مالم يعلم، ثم ينسى ثم يموت ويذهب علمه، والله موصوف بالعلم بجميع الأشياء من كل الجهات دائما باقيا.ففيما ذكرناه دليل على جميع الأسماء والصفات التي لم نذكرها، وإنما ينفي التمثيل والتشبيه النية والعلم بمباينة الصفات والمعاني، والفرق بين الخالق والمخلوق، وفي جميع الأشياء فيما يؤدي إلى التمثيل والتشبيه عند أهل الجهل والزيغ، ووجوب الإيمان بالله عز وجل بأسمائه وصفاته التي وصف ب١٥ نفسه وأخبر عنه رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وأن أسامي الخلق وصفاتهم وافقتها في الاسم وباينتها في جميع المعاني، بحدوث خلقه وفنائهم، **وأزلية** الخالق وبقائه، وبما أظهر من صفاته، ومنع استدراك كيفيتها، فقال الله عز وجل: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ الشورى١١) (١) اهـ.___________(١) التوحيد (٣/ ٧ – ٩).." (٢)

"رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وأن أسامي الخلق وصفاتهم وافقتها في الاسم وباينتها في جميع المعاني، بحدوث خلقه وفنائهم، **وأزلية** الخالق وبقائه، وبما أظهر من صفاته، ومنع استدراك كيفيتها، فقال الله عز وجل: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ الشورى١١) (١) اهـ.– الإمام المقرئ المحدث أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي (٤٢٩ هـ)قال الذهبي: (وقال أهل السنة في قوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ طه٥،: إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز.___________(١) التوحيد (٣/ ٧ – ٩).." (٣)

---

(١) الأشاعرة في ميزان أهل السنة، فيصل الجاسم ١/٢٢٤

(٢) الأشاعرة في ميزان أهل السنة، فيصل الجاسم ١/٣٤٠

(٣) الأشاعرة في ميزان أهل السنة، فيصل الجاسم ١/٣٧٧

"قال الأشعريان (ص٧٦): (ومن يطالع النظامية يعلم موافقتها لاعتقاد أهل السنة الأشاعرة، فمن أمثلة ذلك تنزيه الإمام الجويني لله تعالى عن الجهة، والمكان، والحيز، والحرف، والصوت، وظواهر المتشابه، ..... وكذلك الإمام الغزالي رحمه الله تعالى فكتابه "إلجام العوام" .... هو في حقيقة الأمر تأصيل لمسلك السادة الأشاعرة من حيث تنزيه الله تعالى عن سمات الحوادث مثل الجهة، والمكان، والحروف، والأصوات، وظواهر المتشابه، ...) اهـ.وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: (ولا يجوز أن يطلق على كلامه شيء من أمارات الحدث من حرف ولا صوت) (١) اهـ.وقال الغزالي في صفة الكلام لله: (فإنا معترفون باستحالة قيام الأصوات بذاته وباستحالة كونه متكلما بهذا الاعتبار .... وأما الحروف فهي حادثة .... وهو صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى ليس بحرف ولا صوت) (٢) اهـ.وقال البيجوري في شرح الجوهرة عن صفة الكلام لله: (صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت) (٣) اهـ.___________(١) الإنصاف (ص١١١).(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٤٢ - ١٧٤).(٣) شرح جوهرة التوحيد (ص١٢٩).." (١)

"قراءة في أقوال الآباء في مسألة الأقانيم (*)وتساءل المحققون عن سبب تسمية الأقانيم بهذه الأسماء، فكلمة (الابن والولادة) تلقي بظلال الحدوث والخلق في أذهان السامعين الذين يشغلهم سؤال: هل كان الأب أباً في الأزل، أم صار أباً بعد أن ولد ابناً؟ فالكتاب المقدس لا يذكر شيئاً في إزالة هذا الإشكال، وعن سبب تسمية الآب والابن بهذين الاسمين (١).وكان ترتليانوس يرى في أسماء الأقانيم ما يدل على حدوث فعل الولادة في وقت قديم، لكنه ليس في الأزل، ولذلك فهو يرفض أزلية الابن، فالآب: "كونه إلهاً على الدوام مجرداً، لا يجعله أباً ودياناً دائماً، لأنه لم يكن بمقدوره أن يكون أباً قبل أن يولد الابن، ولا بمقدوره أن يكون حكماً قبل أن تقع الخطيئة، لقد كان هناك زمان لم يكن للخطية وجود معه، ولا كان معه ابن، فالخطية جعلت الرب دياناً، والابن جعله أباً" (٢).وأما الأسقف سابليوس فقد تخلص من المشكلة حين جعل الأسماء دالة على مراحل زمنية لنفس الإله، فالله "ظهر في العهد القديم بصفته آب، وفي العهد الجديد بصفته ابن، وفي تأسيس الكنيسة بصفته روح القدس".ورفضت الكنيسة هذا وغيره، وفضلت الهروب إلى عالم الأسرار، فالقس توفيق جيد يصور رأيها: "تسمية الثالوث باسم الآب والابن والروح القدس تعتبر أعماقاً إلهية وأسراراً سماوية لا يجوز لنا أن نفلسف في تفكيكها وتحليلها، أو نلحق بها أفكاراً من عندياتنا .. "، وبذلك يكون قد تخلص من هذا الكرب الكبير الذي غرق في لجته الآباء الأوائل.لكن

---

(١) الأشاعرة في ميزان أهل السنة، فيصل الجاسم ٤٨٦/١

المشكلة لن تنتهي بهذه السهولة، فقد حار فلاسفة المسيحية أيضاً في تعريف كلمة (أقنوم)، التي ابتدعوها، ولم يتوصلوا إلى معنى دقيق لها إلا في أواسط القرن الرابع (٣)، فهذه اللفظة (أقنوم) غريبة عن الكتاب المقدس لم يعلِّم عنها الكتاب شيئاً، فالتثليث وفلسفته وكافة مصطلحاته من ابتداعات الكنيسة، وهو نتاج سجال فكري طويل بين الآباء في القرون الثلاثة بعد المسيح عليه السلام، ولو شئت أن أبرهن ذلك فإنه يمكنني أن أدرج كافة المصطلحات الواردة في قانون الإيمان (الأقانيم – التثليث – الطبيعتين – الناسوت – اللاهوت – الجوهر)، فكل هذه الكلمات مجهولة عند المسيح وعند غيره من كتبة أسفار الكتاب المقدس، إذ لم يعرف الأنبياء ولا المسيح ولا تلاميذه عنها شيئاً.لكن الأغرب من هذا والأعجب أن نعلم أن أسماء الأقانيم (الآب، الابن، الروح القدس) لم ترد أبداً في العهد القديم الذي يمثل رسالة الله إلى بني إسرائيل طوال ١٥٠٠ سنة قبل المسيح، ولو جهدنا في البحث في الكتاب المقدس كله عن المفردات التي تطرحها الكنيسة (الله الابن، الله الروح القدس، الله الكلمة) لما وجدنا لها أثراً في الكتاب كله.تساوي الأقانيمأشرعت المسيحية منذ رفع المسيح وضياع كتابه بعيداً عن هدي الله، واستحسن فلاسفتها ما عند الوثنيات من عقائد أشربوها، فسرت بينهم أفكار لا علاقة للكتاب المقدس بها، وكان من أهمها فكرة الأقانيم ذات الجوهر الواحد، من غير أن يدور بخلدهم أن تكون هذه الأقانيم الإلهية متساوية في قدرها وسلطانها.ولو شئنا أن نذكر القارئ ببعض هؤلاء الآباء فإنه يحسن بنا أن نبدأ بالأب يوستينوس (الشهيد) المقتول في روما سنة ١٦٥، فهذا (الأب) يقول في محاورته لليهودي تريفون: "اللوغوس أصبح ابناً إلهياً، ولكنه خاضع للآب" (٤)، فهو يقول بمذهب (التبني) الذي يرى بأن المسيح صار إلهاً، وقد ربطه بعض العلماء بحادثة العماد خصوصاً حين كلمه الله: "أنت ابني الحبيب بك سررت" (لوقا ٣/ ٢٢)، وما يهمنا هنا قوله: "ولكنه خاضع للآب "، وحجته في ذلك – ولا ريب – قول بولس: "متى أخضع له [أي للابن] الكل، فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل (لله)، كي يكون الله الكل في الكل" (كورنثوس (١) ١٥/ ٢٨) (٥).وهكذا فإن "يوستينوس يعتقد بأن الابن أدنى من الآب، وأن الروح القدس أقل من الابن، فقد كتب يقول: (إن الله اللوغوس هو إله وسيد أقل من الله الخالق للكون)، وعندما يتكلم عن الثالوث يضع الله السامي في المرتبة الأولى، والمسيح في المرتبة الثانية، والروح القدس في المرتبة الثالثة" (٦)، ويقول: "يسوع المسيح الذي صلب في عهد بيلاطس البنطي .. نرى فيه ابن الله، ونضعه في المنزلة الثانية، وفي الثالثة الروح النبوي [الروح القدس] ".ثم يرد على سخرية الرافضين لوضع المصلوب المهان في مرتبة بعد مرتبة الله العظيم واعتبارهم ذلك من ضرباً من الجنون، ويقول: "هذا سر لا تفهمونه، سنشرحه

لكم، فتفضلوا فاتبعونا" (٧).وعلى خطى يوستينوس مشى ترتليانوس (٢٢٥م) الذي أوجد مصطلح "التثليث" في المسيحية، فهذا "المعلم الأفريقي (ترتليانوس) قد أعطى المكانة الأولى في الثالوث للآب، والمكانة الثانية للابن، والمكانة الثالثة للروح القدس؛ إلا أنه أكد كثيراً وبشدة على حقيقة أن هؤلاء الثلاثة من جوهر واحد"، وكان يشبه الثالوث بنهر فيه ثلاث مجاري صغيرة، فالمجرى الصغير لا يساوي الكبير، مع أن الماء في الجميع واحد (٨).______________(*) قال مُعِدُّ الكتاب للشاملة: هذه الصفحة وما بعدها مما زاده المؤلف – في هذه النسخة الإلكترونية – عن المطبوع(١) انظر: الله في المسيحية، عوض سمعان، ص (١٦٦).(٢) Against Hermogenes, ‹The Ante-Nicene Fathers Vol. III , pp 479 Tertullian ,ch 3، وانظر الموسوعة الكاثوليكية، طبعة نيويورك، ١٩١٣م (١٤/ ٥٢٤)، وتاريخ الفكر المسيحي، القس الدكتور حنا جرجس الخضري (١/ ٥٢٩)، والنص من ترجمة الصديق الأستاذ علي الريس في كتابه القيم "نفي ألوهية الروح القدس"، ص (٧).(٣) موسوعة الأنبا غريغوريوس (اللاهوت المقارن)، ص (١٢٠).(٤) المصدر السابق (١/ ٤٥١)، وقد اقتبس منه هذا الاستدلال أوريجانوس: "الابن هو أقنوم متميز، يمكن القول بأنه [إله ثان] خاضع للأب" تاريخ الكنيسة، جون لويمر (٢/ ٦٧).(٥) تاريخ الفكر المسيحي، القس الدكتور حنا جرجس الخضري (١/ ٤٥١).(٦) المصدر السابق (١/ ٤٥٣)، وقد نقل ذلك عن كتاب يوستينوس "دفاعان عن المسيحية ضد الوثنيين".(٧) الدفاع عن المسيحية (الحوار مع تريفون)، يوستينوس، ص (٢٢).(٨) تاريخ الفكر المسيحي، القس الدكتور حنا جرجس الخضري (١/ ٥٣٠).." (١)

"الأقانيم عند الكاثوليكويلخص محررو قاموس الكتاب المقدس عقيدة النصارى الكاثوليك والبرتستانت في التثليث، فيقولون: "الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله ... شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى .. التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتاً أو ظاهرياً، بل أبدي وحقيقي .. التثليث لا يعني ثلاثة آلهة، بل إن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد ... الشخصيات الثلاث متساوون". (١)والكاثوليك يعتبرون أركان الثالوث ثلاث شخصيات أو ثلاث ذوات، لكل منها مهام منفصلة، وترجع إلى ذات واحدة موجودة في الأزل، ويرون لكل أقنوم وظيفة واختصاصاً، فهم يسندون للأب خلق العالم والمحافظة عليه، وللابن كفارة الذنوب وتخليص البشر، وأما الروح القدس فيتولى تثبيت قلب الإنسان على الحق وتحقيق الولادة الروحية الجديدة.وأما أبرز ما تختلف فيه الكنيسة الكاثوليكية عن

---

(١) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، منقذ السقار ص/

الأرثوذكسية المصرية فهو:- قولهم بأن المسيح له طبيعتان ومشيئتان: إلهية وإنسانية، فهو عند الكاثوليك إله تام وإنسان تام، وفيه اتحد الابن بناسوت المسيح.- الأب والابن وروح القدس هي الأقانيم الأزلية للإله، والمتحد منها بجسد المسيح الإنساني هو الابن فقط.- روح القدس انبثق من الأب والابن معاً، وهو مساوٍ للأب والابن.- الأرواح الخاطئة لن تدخل الجنة حتى تتطهر في جحيم صغير في مكانٍ ما من الأرض يسمى: "المطهر" تتطهر به أرواح العصاة، ثم تكون أهلاً لدخول الفردوس.ـــــــــــــــ(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص (٢٣٢).." (١)

"رابعاً: نصوص نسبت صفات الله إلى المسيحأ. أزلية المسيحويتحدث النصارى عن المسيح الإله الذي كان موجوداً في الأزل قبل الخليقة، ويستدلون لذلك بأمور، منها ما أورده يوحنا على لسان المسيح أنه قال: " إن إبراهيم تشوق إلى أن يرى يومي هذا، فقد رآني وابتهج بي، من قبل أن يكون إبراهيم؛ كنتُ أنا " (يوحنا ٨/ ٥٦ - ٥٨)، ففهموا منه - باطلاً - أن للمسيح - عليه السلام - وجوداً قبل إبراهيم، مما يعني - وفق فهمهم - أنه كائن أزلي.وأيدوا استشهادهم بما ذكره يوحنا عن المسيح: "هوذا يأتي مع السحاب، وستنظره كل عين، والذين طعنوه .. أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية" (الرؤيا ١/ ٧ - ٨). أي الأول والآخر.كما جاء في مقدمة يوحنا ما يفيد وجوداً أزلياً للمسيح قبل خلق العالم " في البدء كانت الكلمة، الكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله" (يوحنا ١/ ١ - ٢). فهذه النصوص مصرحة - حسب رأي النصارى - بأزلية المسيح وأبديته، وعليه فهي دليل ألوهيته.ويخالف المحققون في النتيجة التي توصل إليها النصارى، إذ ليس المقصود من الوجود قبل إبراهيم الوجود الحقيقي للمسيح كشخص، بل المقصود الوجود القدري والاصطفائي، أي أن اختيار الله للمسيح واصطفاؤه له قديم، كما في قول بولس عنه - حسب الرهبانية اليسوعية -: "وكان قبل اصطفي قبل إنشاء العالم" (بطرس (١) ١/ ٢٠)، ومثله قال بولس عن نفسه وأتباعه: "كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين" (أفسس ١/ ٤) أي اختارنا بقَدَره القديم كما اختار المسيح واصطفاه، ولا يفيد أنهم وجدوا أو أنه وُجِد حينذاك.." (٢)

"وممن شارك المسيح في هذه الأزلية المدعاة، ملكيصادق كاهن ساليم الذي تنقل الترجمة العربية المشتركة في حاشيتها أن "بعض التقاليد اليهودية تعتبره كائناً إلهياً ومخلصاً سماوياً، ومن هنا قال النص

(١) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، منقذ السقار ص/١٧

(٢) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، منقذ السقار ص/٦٧

[أي عبرانيين ٧/ ٣ الذي يأتي بعد قليل] على مثال ابن الله"، فما قصة هذا الملكيصادق؟تجيبنا مخطوطات قمران أن ملكيصادق وُلِد بطريقة عجيبة، فقد حملت به أمه العجوز صوفونيم من غير زرع بشر، لأن "الكاهن نير لم يكن قد نام معها منذ اليوم الذي كان الرب قد أقامه أمام الشعب، فشعرت بالعار، واختبأت الأيام كلها" ثم أخبرت صوفونيم زوجها بخبرحملها، وماتت فجأة بين يديه، فظهر جبريل لزوجها مبشراً "هذا الطفل الذي ولد منها هو ثمرة حقة، وسأستقبله في الجنة، حتى لا تكون أباً لهبة الله" فلما أراد دفنها نير بمعاونة أخيه نوح "خرج الطفل (ملكيصادق) من صوفونيم الميتة".وتنقل المخطوطات القمرانية أن الطفل "كان يتكلم بفمه ويبارك الرب"، ففرح نير به، وشكر الله "مبارك الرب إله آبائنا الذي لم يعاقب كهنوتي لأن كلمتك خلقت كاهناً عظيماً في رحم صوفونيم امرأتي" ثم لما بلغ الطفل الأربعين يوماً اختطف من الأرض "وقال الرب لميخائيل: انزل على الأرض، وخذ الطفل ملكيصادق الذي معه، وضعه محفوظاً في جنة عدن، لأن الوقت يقترب [وقت طوفان نوح]، وأنا سأفلت المياه كلها على الأرض .. وسأعيده في سلالة أخرى، وسيكون ملكيصادق رأس الكهنة في هذه السلالة"، وهكذا رفع الطفل إلى السماء، فلم تكن له نهاية على الأرض (١).هذا المخلوق العجيب (ملكيصادق) يصفه بولس **بالأزلية** والأبدية: "ملكيصادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي .. بلا أب، بلا أم، بلا نسب، لا بداءة أيام له، ولا نهاية حياة، بل هو مشبه بابن الله، هذا يبقى كاهناً إلى الأبد" (عبرانيين ٧/ ١ – ٣)، فلم لا يقول النصارى بألوهية ملكيصادق الذي يشبه بابن الله، لكثرة صور التشابه بينهما، بل هو متفوق على المسيح الذي يذكر النصارى أنه صلب ومات، وله أم بل وأب – حسب ما أورده متى ولوقا –، في حين أن ملكي صادق قد تنزه عن ذلك كله، ورفع إلى الجنة!والسؤال: لمَ لا يقول النصارى بمساواة المسيح لملكيصادق، فقد وضعهما الكتاب في منزلة واحدة "أقسم الرب ولن يندم: أنت [أيها المسيح] كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق" (المزمور ١١٠/ ٤)، فالمسيح وملكيصادق في مرتبة واحدة.ومن هؤلاء الذين كانوا قبل إبراهيم ويستحقون **الأزلية** – لو فهمت النصوص على ظاهرها – حكمة البشر أو النبي سليمان الحكيم حين قال عن نفسه وعن حكمة الله التي تجسدت فيه وفي غيره من البشر: "أنا الحكمة أسكن الذكاء، وأجد معرفة التدابير .. الرب قناني أول طريقه، من قبل أعماله منذ القديم، منذ الأزل مسحتُ، منذ البدء، منذ أوائل الأرض، إذ لم يكن ينابيع كثيرة المياه، ومن قبل أن تقرر الجبال أُبدئتُ، قبل التلال أُبدئتُ " (الأمثال ٨/ ١٢ – ٢٥)، فقد أضحى سليمان أو الحكمة البشرية – وفقاً للفهم الظاهري الحرفي – مسيحاً للرب منذ الأزل.وقول بعض النصارى أن سفر الأمثال كان يتحدث عن المسيح – عليه السلام – لا دليل عليه، فسفر الأمثال قد كتبه

سليمان كما في مقدمته "أمثال سليمان بن داود" (الأمثال ١/ ١)، وقد تكرر في مواضع متفرقة منه استمرار سليمان الحكيم في الحديث، وهو يقول: "يا ابني أصغ إلى حكمتي" (الأمثال ٥/ ١)، وانظر (الأمثال ١/ ٨، ٣/ ١، ٣/ ٢١، ٧/ ١ وغيرها)، فالمتحدث في السفر هو سليمان عليه السلام والحكمة المتجسدة فيه.وسليمان هو الموصوف بالحكمة في الكتاب المقدس، وأي حكمة؟ حكمة الله،__________(١) مخطوطات قمران، كتابات ما بين العهدين (٣/ ١٦٥).." (١)

"الترجمة الإنجليزية المسماة (THE GOOD NEWS BIBLE) :، والصادرة عام ١٩٧٨ – ١٩٧٧، تستخدم كلمة (خلقني)، فتقول: The lord created me" " بدلاً من قوله: (الرب قناني).وهو ذات الصنيع الذي صنعته نسخة الرهبانية اليسوعية، ففيها: "الرب خلقني أول طرقه، قبل أعماله"، وهكذا فهذه الحكمة مخلوقة قديماً، وهي مُبدأة من قبل الجبال والتلال.وفي حكمة ابن سيراخ "قبل كل شيء خُلقت الحكمة" (ابن سيراخ ١/ ٤)، وتحديداً "قبل الدهور، ومنذ البدء خلقني، وإلى الدهور لا أزول" (سيراخ ٢٤/ ٩)، فهي ليست حكمة الله **الأزلية**، بل حكمته التي أعطاها الحكماء فتجسدت فيهم، وفي مقدمتهم سليمان الحكيم، والذي "رأوا حكمة الله فيه " (الملوك (١) ٣/ ٢٨).والمتأمل بتجرد للنص؛ لن يجد صعوبة لفهم نوع الحكمة التي تتحدث في النص السالف، فهي ثمينة " لأن الحكمة خير من اللآلئ، وكل الجواهر لا تساويها" (الأمثال ٨/ ١١).وهي بشرية "فم الصديق ينبت الحكمة" (الأمثال ١٠/ ٣١).وأول درجات هذه الحكمة البشرية مخافة الله "بدء الحكمة مخافة الله" (الأمثال ٩/ ١٠).وأيضاً هذه الحكمة البشرية هي هبة الله للإنسان "الرب يعطي حكمة من فمه: المعرفة والفم" (الأمثال ٢/ ٦).." (٢)

"وبهذه الحكمة البشرية التي وهبها الله للإنسان ساد السادة من الملوك والقضاة والأغنياء على غيرهم "أنا الحكمة أسكن الذكاء .. لي المشورة والرأي، أنا الفهم لي القدرة، بي تملك الملوك، وتقضي العظماء عدلاً، بي تترأس الرؤساء والشرفاء، كل قضاة الأرض، أنا أحب الذين يحبونني، والذين يبكرون إليّ يجدونني، عندي الغنى والكرامة، قنية فاخرة فاخرة وحظ، ثمري خير من الذهب ومن الإبريز، وغلّتي خير من الفضة المختارة، في طريق العدل أتمشى، في وسط سبل الحق، فأورّث محبيّ رزقاً، وأملأ خزائنهم، الرب قناني أول طريقه ... " (الأمثال ٨/ ١٢ – ٢٢).فالمتأمل لهذا وغيره – لا ريب – يجزم بأن هذه الحكمة ليست صفة الله **الأزلية** القائمة به، إذ تلك لا تثمن بالجواهر واللآلئ، ولا تثمر الغنى والمال والملك والسلطان،

---

(١) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، منقذ السقار ص/٦٩

(٢) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، منقذ السقار ص/٧١

كما لا تنبت من فم البشر، ولا تشمل بالطبع مخافة الله لأنها صفة الله (١).الألف والياءأما نصوص سفر الرؤيا والتي ذكرت أن المسيح الألف والياء، وأنه الأول والآخر، فلا تصلح للدلالة في مثل هذه المسائل التي يتعلق بها مصير المليارات من البشر، فهي كما أشار العلامة ديدات وجميع ما في هذا السفر مجرد رؤيا منامية غريبة رآها يوحنا، ولا يمكن أن يعول عليها، فهي منام مخلط كسائر المنامات التي يراها الناس، فقد رأى يوحنا حيوانات لها أجنحة وعيون من أمام، وعيون من وراء، وحيوانات لها قرون بداخل قرون .. (انظر الرؤيا____________(١) ولربما أشكل على القارئ الكريم وصف سفر الأمثال للحكمة بأنها صانعة أو خالقة في قوله: "كنت عنده صانعاً، وكنت كل يوم لذّتِه فرحةً دائماً قدامه، فرِحة في مسكونة أرضه" (الأمثال ٨/ ٣٠ - ٣١)، لكنه في الحقيقة تحريف مقصود بغرض الإلباس والتدليس، فالنص في الرهبانية اليسوعية مختلف تماماً، إذ يقول: "وكنت عنده طفلاً، وكنت في نعيم يوماً فيوماً، ألعب أمامه في كل حين، ألعب على وجه أرضه"، وهو كما ترى لا يتحدث عن الحكمة الصانعة، بل عن الحكمة الطفولية التي تنشأ في الإنسان من سني لعبه وطفولته، وتترعرع وتنضج في قابل عمره.." (١)

"قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ (آل عمران: ٧) (١).والآية - التي اجتزؤوا منها ما تعلقوا به - تظهر بطلان استدلالهم بتمامها ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً - لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ (النساء: ١٧١ - ١٧٢)، فتلحظ أن أول الآية وآخرها يكذب النصارى في استدلالهم، ويصرح بعبودية المسيح لله تبارك وتعالى.والمسيح - عليه السلام - كلمة الله لأنه خلق بكلمة الله، فهو كلمة الله المخلوقة، وليس كلمة الله الخالقة، التي هي أمر التكوين (كن)، وهذا ما ذكره وبيّنه القرآن الكريم، حين شبه خلق المسيح ووجوده بخلق آدم ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من ترابٍ ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران: ٥٩).ومما يؤكد أن مقصود القرآن بالكلمة؛ كلمة الله التي كانت سبباً بوجوده، لا المعنى الفلسفي الذي يزعمه النصارى (اللوغس) قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿إن الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ (آل عمران: ٤٥)، فهو كلمة من الله،

---

(١) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، منقذ السقار ص/٧٢

وليس صفة الله **الأزلية**.ولذلك لما بشر الله زكريا عليه السلام بمجيء يحيى وصفه بأنه يصدق بكلمة من الله،ـــــــــــــــ(١) رواه الطبري في تفسيره (٣/ ١٧٧).." (١)

"نشأة التثليث في النصرانيةتؤمن سائر الفرق المسيحية الكبرى بأن الله واحد من حيث جوهره، لكنه ثالوث من حيث أقانيمه، فلكل أقنوم وظيفته واختصاصه، فالآب خلق العالم، والابن يفدي البشر ويكفر الذنوب، وأما الروح القدس فيتولى تثبيت قلب الإنسان على الحق وتحقيق الولادة الروحية الجديدة.والحق أن كل ما يقوله النصارى من أدلة على التثليث لا يسوغ الاستدلال بها، لأن من تنسب إليهم هذه الأسفار لم يعلموا عن التثليث شيئاً.فأول من أدخل تعبير (الثالوث) إلى النصرانية ترتليان (٢٢٥م) الذي ستعتبره الكنيسة فيما بعد هرطوقياً، كما ذكر ذلك عنه قاموس الكتاب المقدس، (١) وقد لقيت هذه العقيدة معارضة كبيرة من الذين تسميهم اليوم الكنيسة بالهراطقة، وكانت موضع سجال عنيف بينهم، انعقدت لأجله المجامع، وصدرت فيه الحرمانات الكنسية، وحكم بالهرطقة على كثيرين من آباء الكنيسة "وكان معظم الذين حُكِم عليهم بالهرطقة من أفاضل وأعظم المعلمين" (٢)، هؤلاء الأفاضل الذين قد يعتبرهم البعض اليوم في عداد الهراطقة رفضوا بعض الأفكار والفلسفات التي بدأت تسري في الكنيسة، وهم بالطبع لم يخالفوا الكتب المقدسة، إذ تخلو هذه الكتب من تقرير هذه العقائد، بل قد تدل على ضدها، وهذا في الحقيقة ما دفع المسيحيين الأوائل إلى التنكر لأفكار مسيحية مهمة كالتجسد **وأزلية** الابن وتساوي الأقانيم.لكن هذه المعارضت تلاشت وتهاوت تبين مطارق الحرمانات الكنسية وسندان وعصا الامبرطورية الرومانية؛ التي دعت أو سهلت انعقاد العديد من المجامع الكنسية التي قررت أهم المسائل العقدية كألوهية المسيح والتثليث، فقد أصبح التثليث عقيدة رسمية في أعقاب مجمعين مهمين؛ قرر في الأول منهما (مجمع نيقية) تأليه المسيح، وفي الثاني (مجمع القسطنطينية) تم تأليه روح القدس.أولاً: مجمع نيقية:انعقد مجمع نيقية عام ٣٢٥م بأمر من الامبرطور الوثني قسطنطين الذي كان قد أعلن قبل بضع سنوات قانون التسامح الديني في الامبرطورية، ورأى قسطنطين النزاعات بين الكنائس النصرانية تفتت شعب الامبرطورية وترهق كيان الدولة، فقرر الدعوة إلى مجمع عام تحضره الطوائف النصرانية المختلفة، وقد عقد المجمع بإشرافه الشخصي، وقام بافتتاحه، وحضره ٣١٨ أسقفاً من مختلف الكنائس المسيحية الشرقية، ولم يحضره من الغربيين إلا ثمانية فقط، واستمرت المداولات ثلاثة أشهر من غير أن يصل المجتمعون إلى رأي موحد.ــــــــــــــــ(١) وقد خالفه كثيرون من آباء الكنيسة حينذاك، منهم سبيليوس وغيره، وقد انتصر

---

(١) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، منقذ السقار ص/١٤٧

التثليث على التوحيد بعد تنصر قسطنطين في القرن الرابع. وأما ما قبل ترتليان فليس للتثليث أي ذكر. انظر: اليهودية والمسيحية، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص (٤١١، ٤١٦)، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد عبد الوهاب، ص (١٠).(٢) تاريخ الفكر المسيحي، القس الدكتور حنا جرجس الخضري (٣/ ٢١).." (١)

"الشنشاطي، والذي تولى أسقفية إنطاكية عام ٢٦٠م كما كان يشغل منصباً كبيراً في مملكة تدمر.ويلخص القس كيرد (ت ١٣٢٤م) عقيدة الشنشاطي، فيقول في كتابه "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة": "ملة تدعى البولية أو البوليانيون، وهي ملة بولس السميساطي بطريك إنطاكية، وهم الذين يؤمنون بأن الله إله واحد، جوهر واحد، أقنوم واحد، ولا يسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمون بالكلمة أنها مخلصة، ولا أنها من جوهر الأب، ولا يؤمنون بروح القدس المحيي، ويقولون: إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت مثل خلق آدم، وكمثل واحد منا في جوهره، وأن الابن ابتداؤه من مريم ... ونظروا إلى كل موضع من الكتب فيه ذكر أزلية الابن ولاهوته وأقانيم ثالوثه، فغيروا وكتبوا مكانه غيره كما يحبون، وعلى ما يوافق ديانتهم، ولم يغيروا أسماء الكتب ولا أسماء الرسل ولا حديثهم".وقد عقدت الكنسية ثلاث مجامع خلال خمس سنوات لإقناعه بالعدول عن مذهبه، آخرها مجمع في إنطاكية عام ٢٦٨م، وحضره بولس، ودافع فيه عن مذهبه، فطرد وعزل من جميع مناصبه، لكن أتباعه استمر وجودهم إلى القرن الميلادي السابع (١).كما ظهر في بداية القرن الميلادي الرابع عالم مترهب يدعى لوسيان، وكان يرى أن المسيح كائن سماوي أخرجه الله من العدم إلى الوجود، وتجلى فيه العقل الإلهي في كيفيته الشخصية، فكانت روحه غير بشرية، لكنه لم يكن الإله على الإطلاق (٢).__________(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية، حسني الأطير، ص (٥٥ - ٦٤)، اليهودية والمسيحية، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص (٣٩٨)، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح، علاء أبو بكر، ص (١٣١).(٢) انظر: ما هي النصرانية، محمد تقي العثماني، ص (٦٣ - ٦٤).." (٢)

"ويظهر في هذه الفرقة أثر العقائد المنحرفة الطاغية حينذاك، إذ لا يخلو قولهم في المسيح من شيء من الغلو في المسيح عليه السلام.ثانياً: التوحيد فيما بعد مجمع نيقية أ. الأريوسيةفي عام ٣٢٥م صدر أول قرار رسمي يؤله المسيح بعد تبني الامبرطور الوثني قسطنطين لهذا الرأي، ورفض ما سواه، واعتبر آريوس-

---

(١) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، منقذ السقار ص/١٧٧

(٢) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، منقذ السقار ص/١٨٦

الذي عقد المجمع من أجله – هرطوقياً.وآريوس من رهبان الكنيسة المصرية، وكان يقول: "إن الابن ليس مساوياً للأب في الأزلية، وليس من جوهره، وقد كان الأب في الصل (١) وحيداً، فأخرج الابن من العدم بإرادته، والآب لا يمكن أن يراه أو يكيفه أحد، ولا حتى الابن، لأن الذي له بداية لا يعرف الأزلي، والابن إله بحصوله على لاهوت مكتسب" (٢).وقد توفي آريوس ٣٣٦م، لكن دعوته انتشرت بعد وفاته، وأصبحت كما يقول الأستاذ حسني الأطير في كتابه الماتع "عقائد الفرق الموحدة في النصرانية": "أوشك العالم أن يكون كله أريوسياً – حسب قول الخصوم – لولا تدخل الأباطرة في العمل على ضرب تلك العقيدة واستئصال تبعيتها".ويقول أسد رستم في كتابه "كنيسة مدينة الله العظمى": "كان آريوس فيما يظهر عالماً زاهداً متقشفاً يجيد الوعظ والإرشاد، فالتف حوله عدد من المؤمنين، وانضم إليه______________(١) كلمة عبرية مشتق معناها من الظل، والمراد من النص أنه كان معه قبل بداية الخلق، حيث لم يكن نور ولا حياة. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص (٥٤٦).(٢) تاريخ الكنيسة القبطية، منسى يوحنا، ص (٢٥٣).." [١]

"والقمر والنجوم ... ".

ومثله يعتقد الآشوريون في الابن البكر"نرودك"، وكذا مؤلهو"أدوني"، و "لاؤكيون" وغيرهما.

ومثله في التراث المصري القديم أن الإله "أتوم" خلق كل شيء حي بواسطة الكلمة التي خلقت كل قوى الحياة، وكلما يؤكل، وكل ما يحبه أو يكرهه الإنسان (١).

رابعاً: الأزلية والأبدية للآلهة المتجسدة

ووصف يوحنا في رؤياه المسيح بأنه الأول والآخر والألف والياء. وهذا وصف يتطابق تماماً مع وصف الوثنيين آلهتهم المتجسدة التي يعتقدون أزليتها وأبديتها، ففي كتاب "كيتا" الهندي أن كرشنا قال: "لم يأت زمان لم أكن فيه موجوداً، أنا صنعت كل شيء، أنا الباقي والأبدي، والمبدئ والكائن قبل كل شيء، أنا الحاكم القوي على الكون، أنا الأزل ووسط وآخر كل شيء".

ومن توسلات أرجون لكرشنا: "أنت الباقي العظيم، الواجبة معرفتك، أنت القابض على الكائنات ... أنت الإله الكائن قبل الآلهة".

ويصفه كتاب "فشنو بوراني": "إنه بغير ابتداء ووسط وانتهاء".

وجاء في كتابات الهنود عن بوذا: " هو الألف والياء، ليس لوجوده ابتداء ولا انتهاء، وهو الرب المالك

---

(١) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، منقذ السقار ص/١٨٧

القادر الأبدي".

ومثله قيل في لاؤكين ولاوتز وارمزد وزوس المدعو "الألف والياء"، وغيرهم كثير (٢).

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير، ص (١١٩ – ١٢٠).

(٢) انظر المصدر السابق، ص (١٢٠ – ١٢١).." (١)

"٣٦ – رجال الرافضة ومؤلفو كتبهمهشام بن الحكم وهو قطعي وعلي بن منصور ويونس بن عبد الرحمن القمي والسكاك وأبو الأحوص داود بن راشد البصري١.ومن رواة الحديث: الفضل بن شاذان والحسين بن إشكيب والحسين بن سعيد.وقد انتحلهم أبو عيسى الوراق وابن الراوندي وألفا لهم كتبا في الإمامة.والتشيع غالب على أهل قم٢ وبلاد إدريس بن إدريس وهي طنجة٣ وما والاها والكوفة.___________١ منهاج السنة النبوية: ١/ ٢٤٠ والملل والنحل: ١/ ٢.١٥٥ قم –بضم القاف وتشديد الميم– مدينة أول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعري أهلها كلهم شيعة إمامية والأصل في ذلك أن سعد بن عبد الله بن سعد بن مالك بن عامر الأشعري كان قد ربي بالكوفة فانتقل منها إلى قم وكان إماميا وهو الذي نقل التشيع إلى أهلها فلا يوجد بها سني قط معجم البلدان لياقوت الحموي.٣ طنجة: بفتح الطاء وسكون النون مدينة أزلية آبارها ظاهرة بناؤها بـالـحجـارة قائمة على البحر والمدينة العامرة اليوم على ميل من البحر ولي لها سور وهي على ظهر الجبل. ماؤها في قناة يجري إليها عن موضع لا يعرفون منبعه على الحقيقة وهي خصبة بينها وبين سبتة مسيرة يوم واحد. معجم البلدان لياقوت الحموي.." (٢)

"٩٠ – قولهم في صفات الله الأزليةواختلف الذين قالوا: لم يزل الله عالما قادرا حيا من المعتزلة فيه أهو عالم قادر حي بنفسه أم بعلم وقدرة وحياة وما معنى القول عالم قادر حي.١ – فقال أكثر المعتزلة والخوارج وكثير من المرجئة وبعض الزيدية أن الله عالم قادر حي بنفسه لا بعلم وقدرة وحياة وأطلقوا أن لله علما بمعنى أنه عالم." (٣)

---

(١) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، منقذ السقار ص/٢١٠

(٢) مقالات الإسلاميين ت زرزور أبو الحسن الأشعري ٦٧/١

(٣) مقالات الإسلاميين ت زرزور أبو الحسن الأشعري ١٣٥/١

"غاية وكذلك قوله في سائر صفات الذات فقال في الله -عز وجل- بالمعاني وأنه عالم لمعان لا نهاية لها قادر حي سميع بصير لمعان لا غاية لها أخبرني بذلك عن محمد بن عيسى أبو عمر الفراتي.٥ - وقال هشام بن عمرو الفوطي أن الله لم يزل عالما قادرا حيا وكان إذا قيل له: أتقول أن الله لم يزل عالما بالأشياء أنكر ذلك وقال: أقول أنه لم يزل عالما أنه واحد ولا أقول بالأشياء لأن قولي بالأشياء إثبات أنها لم تزل وقولي أيضا بأن ستكون الأشياء إشارة إليها ولا يجوز أن أشير إلا إلى موجود.وكان يقول: إن ما عدم وتقضى شيء ولا أقول أن ما لم يكن ولك يوجد شيء.وكان لا يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل ولا يقول: إن الله يعذب بالنار.وهذه العلة التي اعتل بها هشام في العلم أخذها عن بعض الأزلية لأن بعض الأزلية يثبت قدم الأشياء مع بارئها وقالوا: قولنا لم يزل الله عالما بالأشياء يوجب أن تكون الأشياء لم تـزل فلذلك قلنا بقدمها فقال الفوطي: لما استحال قدم الأشياء لم يجز أن يقال لم يزل عالما بها وكان لا يثبت لله علما ولا قدرة ولا حياة ولا سمعا ولا بصرا ولا شيئا من صفات الذات.٦ - وأنكر أكثر الروافض أن يكون الله - سبحانه - لم يزل عالما وكانت أقيس لقولها من الفوطي فقالت بحدث العلم.٧ - وقالت عامة الروافض إلا شرذمة قليلة: إن الله - سبحانه - لا يعلم ما يكون قبل أن يكون.٨ - وفريق منهم يقولون: لا يعلم الشيء حتى يؤثر أثره والتأثير عندهم الإرادة فإذا أراد الشيء علمه وإذا لم يرده لم يعلمه ومعنى أنه أراد عندهم تحرك حركة فإذا تحرك تلك الحركة علم الشيء وإلا لم يجز الوصف له بأنه عالم به وزعموا أنه لا يوصف بالعلم بما لا يكون.٩ - وفريق منهم يقولون: لا يعلم الله الشيء حتى يحدث له إرادة فإذا أحدث له الإرادة لأن يكون كان عالما بأنه يكون وإن أحدث الإرادة لأن لا يكون كان عالما بأنه لا يكون وإن لم يحدث الإرادة لأن لا يكون ولا لأن يكون لم يكن عالما بأنه يكون ولا عالما بأنه لا يكون.١٠ - ومنهم من يقول: معنى يعلم هو معنى يفعل فإن قلت لهم: تقولون أنه لم." (١)

"وحول هذا النص الذي يثبت بشرية المسيح -عليه السلام- ويبطل ما زعمه النصارى عن التثليث يقول الشيخ عبد الله الترجمان بعد أن استدل بالنص السابق (مرقس ١٣/ ٣٢) هذا إقرار من عيسى -عليه السلام- بأنه ناقص علم حتى عن الملائكة وأن الله تعالى هو المنفرد بعلم الساعة وقيامتها، وأن عيسى -عليه السلام- لا يعلم إلا ما علمه الله تعالى (١).وغير ذلك من الأدلة التي ذكروها وتدل دلالة واضحة على التوحيد الحقيقي ونفي التثليث وأنه ممتنع ومستحيل في ذات الله سبحانه وتعالى (٢).والإمام ابن تيميه في محاوراته العقلية التي يبطل بها دعوى التثليث يرد على النصارى فيقول: إنهم يجمعون بين النقيضين

---

(١) مقالات الإسلاميين ت زرزور أبو الحسن الأشعري ٢/٣٦٦

عندما يقولون نحن نلعن من قال إنه الأب والأب هو الخالق ونلعن من قال هو الأب الخالق ومن قال ليس هو الخالق فيقول لهم إنكم بذلك تجمعون بين النقيضين: فتلعنون من جرد التوحيد بلا شرك ولا تثليث ومن أثبت التـثليث مع انفصال كل واحد عن الآخر؛ وتجمعون بذلك بين متناقضين أحدهما حق والآخر باطل وكل قول يتضمن جمع النقيضين (إثبات الشيء ونفيه) أو رفع النقيضين (الإثبات والنفي) فهو باطل (٣).ومن مظاهر تناقضهم أيضا: "زعمهم أن كلمة (الله) التي يفسرونها بعلمه أو حكمته وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته هي صفة له قديمة **أزلية** لم يزل ولا يزال موصوفا بها ويقولون مع ذلك: إن الكلمة هي مولودة منه فيجعلون علمه القديم الأزلي متولدا عنه، ولا يجعلون حياته القديمة **الأزلية** متولدة عنه، وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم بأنه أنواع كثيرة فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته يقال: إنها ابنه وولده ومتولد عنه، ونحو ذلك فتكون حياته أيضا ابنه وولده ومتولدا عنه وإن لم يكن كذلك فلا يكون علمه ابنه ولا ولده ولا متولدا عنه ... فعلم أن القوم في غاية التناقض في المعاني والألفاظ وأنهم مخالفون للكتب الإلهية كلها ولما فطر الله عليه عباده من المعقولات التي يسمونها نواميس عقلية ومخالفون لجميع لغات الآدميين وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم" (٤).____________(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب: أ/ عبد الله الترجمان الأندلسي، ص ٨٤.(٢) لمزيد من التفصيل انظر: إظهار الحق: ٢/ ٣٤٥ – ٣٥٠، الجواب الفسيح: ١/ ١٩٨ – ٢٠٠ وانظر: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب: ص ٨٤ – ٨٨، وأقانيم النصارى ص ٧٨ – ٨١.(٣) الجواب الصحيح: ٣/ ١٧٧، ١٧٨، بتصرف ٣/ ١٨٨ – ١٨٩ باختصار.(٤) المرجع السابق: ٣/ ١٦٢ – ١٩٣ بتصرف.." (١)

"ولنتكلم عن كل واحد من هذه العناصر فنقول أولا: عقيدة التثليث بألسنة وأقلام المسيحيين:قال الدكتور برست في (تاريخ الكتاب المقدس): "طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير. ويفهم من هذا أن الأقانيم الثلاثة عناصر متلازمة لذات الخالق.وقد فسر هذا المعنى القس بوتر في رسالة صغيرة سماها (الأصول والفروع) وإليك ما جاء فيها: "بعدما خلق الله العالم وتوج خليقته بالإنسان، لبث حينا من الدهر لا يعلن له سوى ما يختص بوحدانيته، كما يتبين ذلك من التوراة، على أنه

---

(١) جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر "عرض ونقد" رمضان الدسوقي ص/٣٥٣

لا يزال المدقق يرى بين سطورها إشارات وراء الوحدانية؛ لأنك إذا قرأت فيها بإمعان تجد هذه العبارات: كلمة الله، أو حكمة الله، أو روح القدس، ولم يعلم من نزلت إليهم التوراة ما تكنه هذه الكلمات من المعاني؛ لأنه لم يكن قد أتى الوقت المعين الذي قصد الله فيه إيضاحه على وجه الكمال والتفصيل.ومع ذلك فمن يقرأ التوراة في ضوء الإنجيل يقف على المراد؛ إذ يجدها تشير إلى أقانيم في اللاهوت، ثم جاء المسيح إلى العالم، ران بتعاليمه وأعماله المدونة في الإنجيل أن له نسبة سرية **أزلية** إلى الله، تفوق الإدراك، ونراه مسمى في أسفار اليهود كلمة الله، وهي ذات العبارة المعلنة في التوراة.ثم لما صعد إلى السماء أرسل روحه ليسكن بين المؤمنين، قد تبين أن لهذه الروح أيضا نسبة **أزلية** إلى الله فائقة كما للابن، ويسمى الروح القدس، وهي ذات العبارة المعلنة في التوراة كما ذكرنا.." (١)

"واللاهوتيون –حسب ما قررته الكلمة الإلهية– أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم حسب نص الكلمة **الأزلية**، ولكل منهم عمل خاص في البشر". انتهى كلامه من (تاريخ الكتاب المقدس).ونجد كاتب هذا الكلام يحاول ثلاث محاولات:أولاها: إثبات أن التوراة وجد فيها أصل التثليث، لوحت به ولم تصرح وأشارت إليه ولم توضح.وثانيهما: أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم هي في شعبها متغايرة، وإن كانت في جوهرها غير متغايرة.وثالثهما: أن العلاقة بين الأب والابن ليست ولادة بشرية، بل هي علاقة المحبة والاتحاد في الجوهر.ولقد كان بيان ذلك المعنى أوضح من هذا البيان، في قول القس إبراهيم سعيد في تفسير بشارة لوقا، فقد جاء في تفسير معنى كلمة ابن العلي، التي جاءت في "إنجيل لوقا" ما نصه: يليق أن نوضح بكلمات موجزة المعنى المراد بابن العلي أو ابن الله، فلم يقصد بها ولادة طبيعية ذاتية من الله، وإلا لقيل: ولد الله، ولم يقصد بها ما يقال عادة عن المؤمنين جميعا أنهم أبناء الله؛ لأن نسبة المسيح لله هي غير نسبة المؤمنين عامة لله، ولم يقصد بها تفرقة في المقام من حيث الكبر والصغر، ولا الزمنية ولا في الجوهر.لكنه تعبير يكشف عن عمق المحبة السرية، التي بين المسيح والله، وهي محبة متبادلة، وما المحبة التي بين الأب والابن الطبيعيين سوى أثر من آثارها، وشعاع." (٢)

"يؤخذ على هذا المذهب: أنه جعل التصوف والسلبية، أفضل من صالح الأعمال؛ لأن ذلك طريق للاتحاد بالبراهمة.٤ – وحدة الوجود: التجريد الفلسفي ارتقى بالهنادكة إلى أن الإنسان يستطيع خلق الأفكار، والأنظمة، والمؤسسات كما يستطيع المحافظة عليها أو تدميرها، وبهذا يتحد الإنسان مع الآلهة،

---

(١) الأديان والمذاهب – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٣٠

(٢) الأديان والمذاهب – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٣٢

وتصير النفس عين القوة الخارقة:أ- الروح كالآلهة أزلية سرمدية مستمرة غير مخلوقة.ب- العلاقة بين الإنسان وبين الآلهة كالعلاقة بين شرارة النار والنار ذاتها وكالعلاقة بين البذرة والشجرة.ج- هذا الكون كله ليس إلا ظهور للوجود الحقيقي والروح الإنسانية جزء من الروح العليا.أفكار ومعتقدات أخرى مرتبطة بهذه القضية عند الهندوس: الأجساد تحرق بعد الموت؛ لأن ذلك يسمح بأن تتجه الروح إلى أعلى وبشكل عامودي؛ لتصل إلى الملكوت الأعلى في أقرب زمن، كما أن الاحتراق هو تخليص للروح من غلاف الجسم تخليصا تاما.عندما تتخلص الروح وتصعد يكون أمامها ثلاثة عوالم:١ - إن العالم الأعلى عالم الملائكة.٢ - إن عالم الناس مقر الآدميين بالحلول.٣ - وإن عالم جهنم وهذا لمرتكب الخطايا والذنوب.ليس هناك جهنم واحدة بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم.البعث في العالم الآخر: إنما هو للأرواح لا للأجساد يترقى البرهمي في أربع درجات:." (١)

"يقوم مذهب نيايا على مجموعة من الأفكار المنطقية، ولفظ نيايا تعني التدليل والبرهنة، فالهدف الأول لهذا المذهب، هو هداية العقل وتوجيهه نحو الصواب في القول المعتقد، وواضح قواعد النيايا المنطقية هو جنانا، الذي يصرح عن سعيه إلى بلوغ حالة النرفانا، عن طريق التفكير الصحيح والواضح.ويشبه مذهب "فيشيسكا" مذهب ديمقريطس، صاحب المذهب الذري في الفلسفة اليونانية، ولفظة فيشيسكا تعني آكل الذرات، وواضع المذهب هو كانادا، الذي اعتبر أن العالم يس فيه إلا ذرات وفراغ، وعن اجتماع الذرات بالفراغ وجدت الأشياء، ثم إن الذرات أزلية ومغايرة للروح، عندما تتعرض الروح على الذرات تتحقق الانعتاق والتحرر.ويعتبر مذهب سنخايا وهو أقدم المذاهب، أن المادة براكريتي تعارض الروح بورشا، وأن الأرواح الفردية لا متناهية ومتفردة، وهي تحقق الانعتاق والخلاص عن طريق تحللها، من علائق المادة واستعادة طهارتها الأولى، ويقول مذهب سناخيا بوجود قوى جوناز ثلاث للكائنات، تسبب الخير والانفعالات والبلادة في الأشياء، وتعني لفظة يوغا النير، ويقصد بها خضوع الإنسان لنير من نظام تقشفي قاس، يبلغ حالة الطهارة الكاملة من أدران المادة.." (٢)

"هذا وترتكز الديانة البراهمانية، على أمرين اثنين متممين لبعضهم البعض:الأول: الذات البراهمانية: التي تقول بتوحد الذات الفردية، مع الروح الأزلية السرمدية.والثاني: التناسخ أو تقمص الروح أو تعدد الولادات للروح الواحدة.وتسليط الضوء على هذين الأمرين، يفضي إلى الكشف عن مجمل المعتقدات

---

(١) الأديان الوضعية – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٥٣

(٢) الأديان الوضعية – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٦٥

الدينية البراهمانية.براهمة تصوره نصوص "الأبيناشاد"، على أنه الكائن الموجود، الكائن الأقوى والأعظم، والمبدأ الميتافيزيقي للوجود الكائن، الذي يفوق في وجوده، ويتجاوز كل الأوصاف الممكنة في لغة البشر، والذي تحيط به أدق التحديدات التي يقدمها العقل، إنه الموجود الذي يعجز العقل عن وصفه وتحديده، وتعتبر البراهمانية المؤسس الحقيقي لمذهب الحلول الفلسفي، إذ تؤكد بأن براهمة كروح يحل في جميع الأشياء، ويتحد معها وهو قائم فيها، وبذلك يصبح للذات أو الأنا الشخصية المعبرة عن براهمة، مفهوما ميتافيزيقي ا ينطبق على الذات والأنا البشرية، من جهة كونها المسكن للروح الكلية للعالم، والمنفتحة عليها في آن واحد، أي كون الروح الفردية تذوب في الروح الكلية يعني في براهمة.وبراهمة أو الروح الكلية للعالم، يحل في جميع الموجودات ويتحد معها، وهي لذلك تأخذ معنى روحيا، وتكتسب قدسيتها وسموها الوجودي، واتحاد براهمة مع الموجودات، يكسبها معنى **الأزلية** والديمومة، ويجعلها في حالة سعي دائمة للترقي والارتفاع إلى المطلق، في عمليات تنقية مستمرة مما فيها من أدران المادة، لبلوغ التوحد الكامل مع براهمة الروح المطلق والذوبان فيه.." (١)

"وفي نصوص "الأبينيشاد"، مقاطع رائعة في وضوحها ودقة تعبيرها، حول وحدة الوجود، منها "براهمة المبدأ الأول منه تولد المخلوقات، وبفضله تعيش إذ تولد، وإليه تؤول إذ تموت، عليك أن تدركه، إنه البراهمة، إن روح المخلقات واحدة، لكنها ماثلة في كل مخلوق، إنها في الوقت نفسه وحدة ومجموعة كما القمر، الذي يتلألؤ على صفحات المياه. وبراهمة هو الحقيقة ويشبه الشرارة التي تخرج من اللهب، ثم ترجع إليه من جديد، هي هذه الحقيقة، كما من اللهب تتطاير ألوف الشرارات المتوهجة مثل، هكذا من هذا الكائن الأبدي تولد الكائنات، التي لا تلبث أن تعد إليه من جديد، وعلى صعيد الأفراد فالأمل بالعودة إلى براهمة دائم الحضور، هو هذا أنت ومهما أحسست نفسك ضعيفا بائسا ووحيدا، تبقى جزءا حيا من الروح **الأزلية**".وحول وحدة الوجود: جاء في أحد النصوص من كلام براهمة "تتعلق بي، كما تتعلق مجموعة من الخرزات بخيط، أنا من الماء العذب طعمه، وأنا من القمر فضته، ومن الشمس ذهبها، أنا موضع العبادة في الفيدا، والهزة التي تشق أجواز الأثير، والقوة التي تكمن في نطفة الرجل، أنا الرائحة الطيبة الحلوة، التي تعبق في الأرض المبتلة، وأن من النار وهجها الأحمر، وأنا الهواء باعث الحياة، أنا القدسية فيما هو مقدس من الأرواح، أنا حكمة الحكيم وذكاء العليم، وعظمة العظيم وفخامة الفخيم، إن من يرى الأشياء رؤية الحكيم، يرى أن براهمة المقدس والبقرة والفيل والكلب النجس، والمنبوذ وهو يلتهم لحم

---

(١) الأديان الوضعية – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٦٩

الكلب، كلها كائن واحد".وفي وصف براهمة والتعريف به: ورد في أحد النصوص: "هذه هي الذات، التي لا يمكننا وصفها بهذه أو بتلك من الصفات، فهي لا تخضع لوصف لأنها غير." (١)

"رابعا: وحدة الوجود هذا المبدأ وثيق الصلة بالمبادئ السابقة، بل يمكن القول أن هذه المبادئ كلها وثيقة الصلة بعضها ببعض، وقد سبق عند الحديث عن الله في التفكير الهندوسي أن شرحنا كيف انبثق الكون عن الله، ثم شرحنا عند الكلام عن مبدأ الانطلاق، كيف يمكن أن يعود الإنسان إلى الإتحاد بالله.وفي ولويد مزيد ل إ يضاح الصلة بين الكون وبراهما؛ مما أدى إلى اعتقاده بوحدة الوجود وأن نقتبس من فلسفة الهند الخطوات التي قادت إلى هذا التفكير، فقد كان الناس يؤمنون بأن في لعالم قوة عظيمة يلزم التقرب لها بالعبادة والقرابين، وكانت هذه القوة تسمى براهما في مرحلة تالية لم تعد القرابين المادية ضرورية، بل حل محلها مراقبات على ظواهر كونية تخيلها الإنسان ضحايا، وذلك كالشمس، والنار، والهواء، وفي المرحلة الثالثة راقب الإنسان نفسه وتصورها قربانا يوصل إلى براهما.في المرحلة الرابعة تجردت المراقبات عن تصور القرابين، بل صار الناس يراقبون أنفسهم على أنهم القوة الكامنة العالمية المؤثرة، ثم وصلوا من التمثل إلى العينية، وأذعنوا أن النفس الشخصية هي عين القوة الحيوية العالمية، أو البراهما؛ فصار المفتكر والموضوع الخارجي شيئا واحد.وقد صور أستاذ هندي متخصص هذا الموضوع في مقال طويل نقتبس منه بعض الفقرات:خلقت الحياة هذه من الروح أتم؛ فالإنسان ليس جسمه أو حواسه؛ لأن هذه ليست إلا مركبا، وهي تتغير وتموت، وتبلى، بل الإنسان هو الروح وهي سرمدية أزلية أبدية مستمرة غير مخلوقة، وذكرت شروح "لويدا" أن الإنسان من حيث روحه جاء على فطرة الله براهما، وكما أن شرارة النار نار؛ فإن الإنسان من نوع الإله، وروحه لا يختلف عن الروح الأكبر، إلا كما تختلف البذرة عن الشجرة عندما تجرد الروح بالظواهر المادية تبدأ رحلتها للعودة للروح الأكبر؛ ولذلك يسمى تخلصها من الجسم طريق العودة،." (٢)

"إرجاع الروح لصاحبها إذا بلغت الحلقوم، فأين المادة التي يتشدقون بأنها هي الموجدة لهذا الكون؟! ولماذا لا يتوسلون إليها لإرجاع الروح بعد أن يصبح الجسد مادة هامدة؟!.أما ما يرددونه من أن كل الأشياء تحوي تناقضات داخلية مجتمعة في وحدة يسمونها وحدة الأضداد أو وحدة المتناقضات تتصارع فيما بينها، ثم ينتج عن ذلك الصراع تطور في صعود دائم لا ينتهي، فهو افتراض سخيف؛ إذ لا يوجد إلا في

---

(١) الأديان الوضعية – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٧٠

(٢) ال أديان الوضعية – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/١١١

الذهن، والذهن قد يتصور أن المستحيلات ممكنة أحيانا، ذلك أن اجتماع النقيضين أمر غير ممكن، إلا إذا صدقنا بأن الحرارة والبرودة تجتمع في النار، أو الحياة والموت يجتمع في الشخص في وقت واحد، وليس من هذا ارتفاع الضدين في وقت واحد فإنه ممكن، كقول الناس: هذا لا هو أبيض ولا هو أسود، أي هو على لون غير هذين اللونين أصفر أو أحمر مثلا، أما أن يقال: هذا أبيض وأسود أو ساكن ومتحرك في وقت واحد فهو مستحيل. أيض ا لقد غلا الشيوعيون في تقديس المادة وعتو عتوا كبيرا، إلى حد أنه تنطبق عليهم المقالة المشهورة: إذا حدث الشخص بما لا يعقل فصدق فلا عقل له.فأي عقل سليم وأي فطرة سليمة تصدق أن المادة الصماء هي الخالقة وهي الرازقة وهي المدبرة لجميع أمور هذا الكون؛ علويه وسفليه ظاهره وخفيه؟! مع اعترافهم هم أيضا بأن تلك المادة لا حياة لها ولا فكر ولا تدبير في البدايات الأولى لها، غير ما تخيلوه أنها بعد ذلك تطورت حتى أوصلت هذا الكون على ما هو عليه الآن، ثم يقولون: هي أزلية لا بداية لها ولكنهم يتوقفون حينما يقال لهم: إنها حادثة، ولا يستطيعون الجواب لأنهم متناقضون، وإذا أفحمهم العقلاء عن سر وجود هذا الكون قالوا بأن الكون وجد من العدم، ولا يبالون." (١)

"هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم وهذا مرفوض بداهة، وإما أن يكون هذا الكون أزلي الوجود ليس لنشأته بداية وهذا الاحتمال يساوي ما يقوله المؤمنون بالله من أزلية الخالق، لكن قوانين الكون تدل على أن أصله وأساسه مرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة، فهو إذا حدث من الأحداث، فلا يمكن إحالة وجود هذا الحدث المنظم البديعي إلى المصادفة عقلا، ولذلك فهذا الاحتمال باطل، وإما أن يكون لهذا الكون خالق أزلي أبدعه، وهو الاحتمال الذي تقبله العقول دون اعتراض، وليس يرد على إثبات هذا الاحتمال ما يبطله عقلا فوجب الاعتماد عليه.شبهات الملاحدة في إنكارهم وجود الله تعالالشبهة الأولى: دليل الجاذبية: فقد زعموا أن اكتشاف نظام الجاذبية –في عالم الفلك– أن هذا الكون محفوظ بقانون الجاذبية ومتماسك بسببها، وليس بقدرة إله خالق. لا شك أن هذا الفهم تافه إذ يقال لهم: هل نظام الجاذبية ينفي وجود إلـه خالق قادر، أما أنه على العكس يدل على وجود هذا الإله سبحانه وتعالى؟! الذي خلق الجاذبية ذاتها لتعمل وفق ما أراد وقدر لا وفق ما تريد هي، إذ لا إرادة لها ولا وجود لها من نفسها، فهي قد وجدت بعد أن لم تكن، وهذا الترتيب العجيب في الكون يفوق كل قدرة يفوق كل تدبير. لقد حير العقول وتضاءلت دون إدراكه الأفهام، فكيف ينسب هذا كله إلى الجاذبية المحدثة المخلوقة؟!.كما أن كثيرا من الملاحدة

(١) اتجاهات فكرية معاصرة – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/١٨٤

يعترفون بعجزهم عن الوصول -عن طريق الأبحاث والتجارب- إلى معرفة أسرار كثيرة من الحقائق المشاهدة في هذا الكون، وهذا الإقرار يلزمهم أن يقروا أيضا بحقيقة الإله بل وحقيقة الدين؛ لأنه يشتمل على." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثالث عشر

(التفسير المادي للتاريخ والأطوار المزعومة له والرد عليه)

علاقة التفسير المادي للتاريخ بنظرية التطور

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين، سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

والمادية التاريخية -كما هو واضح من تسميتها- هي محاولة لتفسير التاريخ البشري على الأسس المادية، التي يزعم الشيوعيون الملحدون أنها هي أساس وجود هذا الكون، فهم يقولون: إن المادة أزلية أبدية وأنها هي الخالقة لكل ما في الكون من مخلوقات، وأن الإنسان هو نتاج المادة والفكر نتاج المادة، وأن قوانين المادة هي بذاتها التي تحكم حياة البشر الاجتماعية، وأن الوضع المادي والاقتصادي هو الذي يكيف شكل الحياة البشرية في أي وقت من أوقاتها وفي أي طور من أطوارها، وأنه هو الأصل الذي تنبثق منه الأفكار والمشاعر والمؤسسات والنظم، التي ينشئها البشر في حياتهم، وأنه يأتي دائما سابقا لها ولا تجيء هي سابقة له بحال من الأحوال؛ لأن المادة تسبق الوعي ولا يمكن للوعي أن يسبق المادة، وأن الوضع المادي والاقتصادي في تطور دائم، ومن ثم فإن الأفكار والمشاعر والمؤسسات والنظم التي تنبثق عنه دائمة التطور كذلك، بحكم ارتباطها بالوضع المادي والاقتصادي وانبثاقها عنه.

والحقيقة أن هناك ارتباطا وثيقا بين المادية الجدلية والمادية التاريخية، بحيث يصعب الفصل بينهما، بل هم أنفسهم يقولون ذلك، فقد جاء في كتاب (المادية التاريخية): "إن المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية تظهران كعلم واحد وكفلسفة متكاملة، فلا المادية التاريخية معقولة بدون المادية الديالكتيكية، ولا المادية الديالكتيكية ممكنة بدون المادية التاريخية، فبماذا نفسر ذلك؟ -والكلام لا زال لصاحب الكتاب-:

---

(١) اتجاهات فكرية معاصرة - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٠١

أولا: لأنه لا يمكن وضع نظرة مادية ديالكتيكية عن العالم ككل إذا لم يتوفر التفسير المادي للحياة الاجتماعية، إذا لم يكن قد اكتشف أن المجتمع هو أيضا." (١)

---

(١) اتجاهات فكرية معاصرة – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٢٩